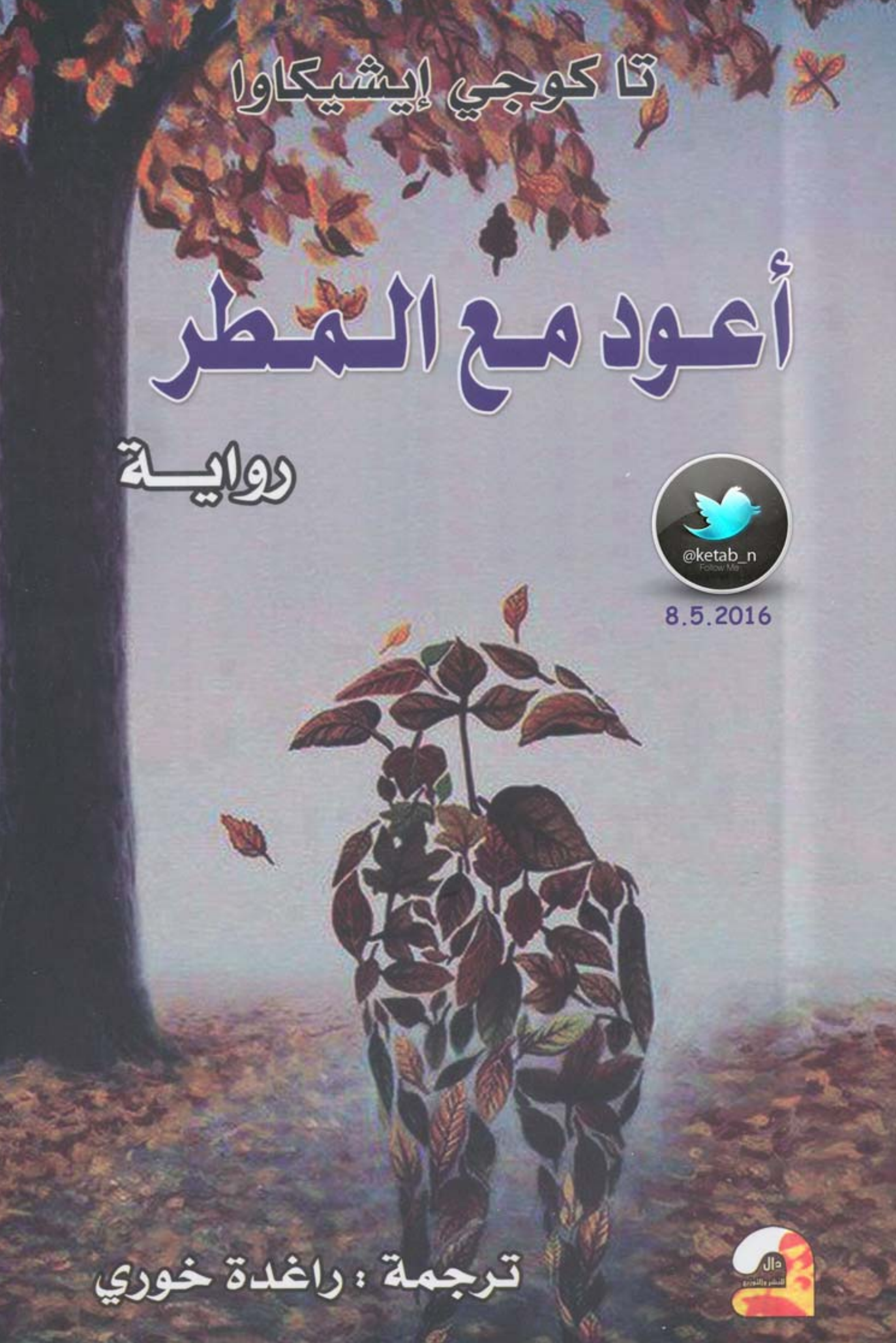

تا كوجي إيشيكاوا

أعود مع المطر

رواية

@ketab_n
Follow Me
8.5.2016

ترجمة : راغدة خوري

تاكوجي إيشيكاوا

أعود مع المطر

رواية

ترجمة: راغدة خوري

Twitter: @ketab_n

أعود مع المطر

Twitter: @ketab_n

♦ تاكوجي إيشيكاوا
♦ أعود مع المطر
♦ ترجمة: راغدة خوري
♦ التدقيق اللغوي: حسام بركات
♦ جميع الحقوق محفوظة للناشر©
♦ الطبعة الأولى 2015
♦الناشر : دال للنشـــر والتوزيـــع
سورية - دمشق- ص. ب: 29170
هاتف: 00963 936 092496
البريد الالكتروني: n_hammdan@yahoo.com

All rigyts reserved. No part of this publication may be reproduced or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, inclouding photocopying, recording, or any information storage and retrieval system, without permission in writing form the publisher.

Twitter: @ketab_n

1

هذا ما قلته لنفسي عندما ماتت "ميو":

من خلق كوكبنا ألم يصمم عالماً آخر غير عالمنا؟

كوكباً آخر يذهب إليه المتوفون.

الكوكب الأرشيف.

- " أرشوفي؟ " سأل يوجي.
- لا، أرشيف.
- أرشو...بدأ يوجي يقول، ثم بعد أن فكر لثوانٍ عاد ليضيف: ... حياة ؟
- لا يهم. إنه أشبه بمكتبة كبيرة، هادئة جداً، نظيفة جداً، وحسنة الترتيب. على أي حال هو بشكل عام مكان واسع جداً، يتألف البناء من ممرات تمتد على مدّ النظر. هناك، يعيش هؤلاء الذين غادروا عالمنا حياة هانئة. يمكنك القول أن هذا الكوكب، هو تقريباً مثل أعماق قلوبنا.
- أهو هكذا ؟ سأل يوجي

Twitter: @ketab_n

- أليس هذا ما قالوه عندما توفيت ميو؟ إنها هنا، في قلوبنا...
- هممم
- ذلك هو، هذا الكوكب، إنه المكان الذي يجمع كل المخلوقات المحفوظة في قلب كل قاطني هذا الكوكب للعيش فيه. طالما هناك أحد ما يفكر بشخص ما، فإن هذا الشخص سوف يستمر في البقاء على قيد الحياة.
- وإذا ما نسى هذا الشخص، الشخص الآخر ؟
- هممم... في هذه الحالة يتوجب عليه مغادرة ذلك الكوكب، وسيكون هذا بمثابة وداع نهائي. في المساء الأخير، يجتمعون كلهم ليقولوا له وداعاً.
- هل يأكلون الحلوى؟
- نعم، يأكلون الحلوى
- ويأكلون إيكورا؟

نعم، سوف يكون هناك إيكورا (كان يوجي يحب بشدة بيض سمك السلمون "
- وماذا أيضاً ؟
- هناك ما لذ وطاب، من كل الأنواع. لا تشغل بالك بالأمر.
- قل لي، هل جيم بوتون[1] هو الآخر على ذلك الكوكب؟

لماذا ؟
- لأني أعرفه، فهو " كما لو أنه في قلبي" أليس كذلك؟

هممم...

---

[11] مغامرات الصغير جيم بوتون الذي يحلم في تغيير العالم. شخصية من رواية خيالية للكاتب الألماني ميكائيل إيند

Twitter: @ketab_n

لا بد وأنه سألني هذا السؤال لأني قرأت له جيم بوتـون ولوكـاس سائق القاطرة بالأمس

أجبته : نعم، أعتقد ذلك.

- وإيما " هل هي هناك أيضاً؟
- لا، إيما ليست هناك. فهناك لا وجود إلا للبشر.
- آه...قال يوجي.
- هناك جيم بوتون، وأيضاً مومو. هنـاك الصـغيرة ذات القبعـة الحمراء، وآن فرانك بالطبع. حتى هتلـر ورودولـف هـيس هـم أيضـاً هناك دون شك. كما سقراط ونيوتن.
- لكن ماذا يفعلون جميعاً هناك؟
- ماذا يفعلون ؟ ينعمون بأيام هانئة.
- فقط؟ دون أن يفعلوا شيئاً؟
- على أي حال لا أعرف...أتساءل إن كان الجميع يفكرون بأمر ما.
- يفكرون؟ بماذا؟
- بأشياء معقدة للغاية. أمور تتطلب الكثير من الوقت قبل أن نجـد جوابـاً لهـا. متـى أصـبحوا هنـاك، يبـدؤون عـلى الفـور بالتفكير بشكل متواصل.
- حتى ماما أيضاً ؟
- لا، ماما تفكر بك.
- صحيح ؟
- نعم صحيح. لهذا فأنت أيضاً لن تنساها أبداً.
- لن أنساها أبداً.
- لكنك ما زلت صـغيراً، ولم يمـض عـلى بقائـك معهـا أكـثر مـن خمس سنوات....

Twitter: @ketab_n

- هممم...

- لهذا فسوف أحـكي لـك الكثير عـن مامـا. مـن أي نـوع مـن الفتيات كانت الماما، كيف التقينا، وكيف تزوجنا. ومن ثم، كم كانـت سعيدة عندما وُلدّت.

- هممم.

- أريد منك أن تذكر كل هذا. حين يتوجّب علـيّ لقـاء والـدتك ذات يوم، و أرحل بدوري عن هذا الكوكب، أريد منك قطعاً أن تتذكر. هل تفهم ؟

- هممم؟

- أوه، لا يهم.

Twitter: @ketab_n

2

- هل أنت جاهز للذهاب إلى المدرسة؟
- كيف؟
- هل أنت جاهز؟ هل ثبّت اسمك بالدبوس بشكل جيد؟
- هاه ؟

لماذا سمعه ثقيل؟ لم يكن يعاني من هذا الأمر عندما كانت "ميو" لم تزل هنا. أتساءل إن كان هذا يعود إلى تشتت ذهني لديه.

- حسناً، حان الوقت، هيا بنا ؟

أمسكت بيد يوجي، الذي كان قد سبق وغادر جزء منه إلى أرض الأحلام، كي نخرج من البناية.

سلّمت أمره إلى مشرف المجموعة الذي كان ينتظر أسفل الدرج، ونظرت إليهما وهما يبتعدان. يبدو يوجي إلى جانب هذا الصبي ذي الثانية عشرة من العمر كأنه طفل رضيع. وهو في السادسة، لم يزل يبدو صغيراً بالنسبة إلى سنه. كما لو أنه كان قد نسي أن ينمو.

Twitter: @ketab_n

عند رؤيته من ظهره، بدت رقبته كطائر الكركي. وكان لخصلات شعره التي ظهرت من تحت قبعته لون شاي الدارجيلينغ [2] بالحليب.

مع ذلك، فحتى شعر رأسه الذي كان يليق بأمير إنكليزي سوف يتغير بعد بضع سنوات، ليتحول إلى خصلات قافزة.

أنا نفسي سرت في هذا المسار. إنه عمل لا يحصى من المواد الكيميائية يفرزها سن البلوغ. في هذه الفترة سوف يكبر يوجي كثيراً هو أيضاً، وسوف يسبقني . ثم سوف يخرج مع فتاة شابة ستكون شبه أمه، سيحبان بعضهما بعضا، وإن سار كل شيء على ما يرام، سوف ينشآن في يوم ما نسخة عن نصف جيناته .

هذا ما فعله البشر منذ بدء الخليقة (في الحقيقة هذا ما فعله كل كائن حي) وسيدوم هذا الروتين طالما تستمر الأرض في الدوران.

ركبت دراجتي القديمة المركونة تحت الدرج، وبدأت أسير باتجاه المكتب القانوني حيث كنت أعمل، والذي لم يكن يبعد أكثر من خمس دقائق. كنت محظوظاً لأن المسافة كانت قريبة، لأني لا أتحمل وسائل النقل.

ها قد مضى عليّ ثماني سنوات وأنا أعمل في هذا المكتب.

كانت تلك مدة لا يستهان بها من الزمن. فقد تزوجت، وأصبح لدي طفل، ومن ثم غادرتْ زوجتي هذا الكوكب نحو كوكب آخر. ثماني سنوات كانت كافية ليحصل كل هذا.

---

[2] شاي الدارجيلينغ هو الأغلى والأكثر شهرة والأكثر والأغنى نكهة في العالم.

Twitter: @ketab_n

وهكذا وجدت نفسي أباً عازباً بصحبة صبي في السادسة من عمره. لكن مديري في العمل كان يُسهّل المهمة عليّ.

فهو منذ ثماني سنوات كان يبدو مسناً، وهو لم يزل رجلاً مسناً حتى اليوم، ولا شك أنه سيبقى كذلك حتى وفاته. لا أعرف كم عمره تماماً. يجب أن يكون قد بلغ الثمانين من العمر بالتأكيد.

كان يبدو كالقديس برنار حاملاً برميله من الخمر حول رقبته، إلا أنه بدلاً من برميل الخمر، كانت يحمل ذقناً مزدوجة يتباهى بها. بيد أنه كانت له الهيئة اللطيفة والودودة ذاتها، حتى أنه كان يغلق نصف عينيه الناعستين مثله.

ربما لو وّضع سان- برنار العجوز، بدلاً من رئيس العمل، خلف المكتب، لما انتبهت للأمر.

كنت دوماً ضعيف البنية، لكن بعد موت "ميو" ازددت هشاشة، لدرجة لم تعد لي القوة الكافية لأتنفس، ووصل بي الأمر بإهمال عملي لفترات طويلة. هذا اليوم أيضاً، كان لدي الإذن بمغادرة المكتب في الساعة الرابعة بعد الظهر كي أعود إلى المنزل. كان المدير يأخذ بعين الاعتبار عدم رغبتي في ترك يوجي وحيداً في المنزل عند عودته من المدرسة. كان هذا يعني قطع مبلغ صغير من راتبي، لكنه في المقابل كان يسمح لي بكسب الوقت الثمين الذي لا يُشترى بالمال.

سمعتهم يتحدثون على أنه في مدن أخرى كانوا يعرضون خدمات للحضانة بعد المدرسة ، لكن لم نكن نملك هنا نظاماً مشابهاً لهذا.

لذا، فقد كنت أردد لنفسي أنني محظوظ جداً.

Twitter: @ketab_n

في المكتب ألقيت التحية على الآنسة ناغاز- صان، التي كانت تصل باكراً.

- صباح الخير.
- صباح الخير.

كانت ناغاز تعمل في المكتب قبل تعييني، قالت لي إنها عُينت فور انتهائها من الجامعة، لا بد وأنها الآن في السادسة والعشرين من العمر. فتاة شابة محافظة وجديّة، يعكس وجهها الوديع بشكل تام طبيعتها العميقة.

أحياناً ينتابني القلق وأتساءل إن كانت هنا في المكان الصحيح وسط هؤلاء الشابات الفخورات والمنفتحات.

ألم تكن تخشى أن تجد نفسها في يوم ما مرمية خارج حدود هذا العالم بضربة مرفق، أو ركلة؟ كان هذا هو نوع الأفكار التي تنتابني بمجرد رؤيتها.

ولم يكن المدير قد وصل بعد.

صار يصل متأخراً أكثر فأكثر في الأيام الأخيرة. لكن لا أعتقد بأن لهذا علاقة ما في وتيرة مشيته.

لهذا، ولبعض الوقت، لم نكن غير شخصين في المكتب. هذا كل شيء. كان العدد ملائماً إذا أخذنا بعين الاعتبار مقدار العمل الواجب إنهاؤه.

عندما جلست إلى مكتبي، جلت بنظري على لوحة الإعلان لأتذكر ما كنت أنوي القيام به. " البنك الساعة الثانية بعد الظهر".

Twitter: @ketab_n

" استرجاع وثائق زبون" و أيضاً " الذهاب إلى القسم القانوني المحلي!" مجرد ملاحظات مخربشة بطريقة مقروءة، مُسجّلة من قبلي بالأمس، إلى اليوم.

كانت لدي ذاكرة ضعيفة، لهذا فقد اعتدت أن أترك ملاحظات للمهمات التي يجب عليّ القيام بها.

هذه الذاكرة الضعيفة لم تكن إلا عيباً من عيوبي المتعددة. إنها تشكل الدليل القاطع على أن الإرشادات المستخدمة في تشكيل بنيتي تحتوي على أخطاء. أخطاء في قطاع معين بشكل خاص.

ربما كانت ذاكرتي تمحى بضربة بياض واحدة، فلا يعود يصمد فوقها أي كتابة جديدة بأي قلم حبر. بالطبع، هذا ليس إلا استعارة، لكن أفكر أن الواقع قد لا يكون بعيداً عن ذلك.

على كل حال أنا لا أعرف إن كانت الكتابة هي غير واضحة المعالم، أم أن الصفات الكامنة تحتها هي التي كانت تطفو إلى السطح. لكن يصادف دوماً أن يكون في رأسي، بعض المواد الكيميائية القوية جداً التي تُفرز عشوائياً كي تعطي مكانها لمواقف لا يمكن التنبؤ بها . وهذا ما كان يجعلني من هؤلاء الأشخاص الذين ينفعلون بسهولة، والذين يشعرون بعاطفة غير ملائمة تماماً، وغير قادرة على حذف ما هو الأفضل نسيانه، والاحتفاظ بما هو ضروري تذكّره.

كان هذا الوضع غير مريح بالمرة. فأنشطتي تغدو محدودة، وهذا ما كان يرهقني، ويجعلني أرتكب دوماً أخطاء في عملي، ويبخس بالتالي من قدري ظلماً من قبل الآخرين.

Twitter: @ketab_n

بعبارة أخرى، كنت أعامل على أني غير كُفْء. لا أبرر كي أقول أن الخطأ يعود كلياً إلى إفرازاتي الكيميائية. هذا مزعج، إنهم يفهمونني بشكل خاطئ، إنما في نهاية الأمر، وإذا ما استندنا فقط إلى النتيجة النهائية لبدا هذا صحيحاً.

احتفظ بي المدير، الشهم، دوماً في العمل. وكانت ناغاز- صان تسهر عليّ سراً، وتبقي عينها على عملي.

أنا ممتن لهما للغاية

بعد أن أنهيت بعض المهام في المكتب، وضعت بعض الوثائق في جعبتي وخرجت. وقدت الدراجة حتى القسم القانوني المحلي.

لم يكن لدي رخصة قيادة. حاولت الحصول عليها وأنا في العام الدراسي الثاني في الجامعة، لكن لم أتمكن على الإطلاق من النجاح في تجاوز مرحلة الرخصة المؤقتة، فقبل بضعة أشهر من ذلك التاريخ بدأت انتبه إلى حالة الشذوذ في ذهني. ينقلب مفتاح التغيير مطلقاً صوت " كليك"، تضيء لمبة، ولا تلبث إبرة القياس لدي أن تعود إلى حالة الهلع من جديد. لهذا، فعندما كنت أحاول إجراء فحص إجازة السَوق، أكون في حالة من الفوضى العارمة. ربما لم يكن يناسبني إلا الحصول على الإجازة المؤقتة.

في ذلك اليوم، وأنا جالس قرب معلم القيادة، وبينما أنا آخذ مكاني في مقعد السائق، بدأ دمي يفرز مواده الكيميائية القوية الآنفة الذكر. شعرت بإثارة أكبر بكثير مما أنا بحاجة إليها، فلم أعد قادراً على التركيز كفاية. كان القلق يشبه شلالاً من أحجار الدومينو المتزايدة والمتعاظمة في الحجم مصحوبة بطاقة غير عادية.

Twitter: @ketab_n

حتى لو استطعنا تعريف هذه الحركة بالاستثنائية، إنما خصائصها الغريبة كانت فعلاً غريبة.

كنت أبدو وكأني سوف أموت.

كنت أتساءل بكل صدق إن لم يكن هذا صحيحاً.

في تلك الفترة، كنت أفكر بذلك يومياً عشرات المرات (وحتى الآن، هذا ما يحصل معي أحياناً، لبضع مرات في اليوم) .

لذا، فقد ألغيت فكرة تقديم الامتحان بعد أن تكرر حصول ذلك معي مرتين على التوالي، بعدها عدلت عن الحصول على رخصة القيادة.

في ساعة الغداء، جلست على مقعد في حديقة، وأكلت " البنتو"[3] الذي كنت قد جهزّته بنفسي. في حياتي اليومية الزاهدة، أحثّ نفسي على توفير كل ما استطعت توفيره. ومن ثم، فقد كنت أقع مريضاً بشكل نظامي كلما أكلت "بنتو" جاهزاً من أحد المحال التجارية الصغيرة. كان هذا عائداً إلى المواد الإضافية التي، وإن كانت تناسب البعض، إلا أنها كانت في حالتي ستصبح قاتلة.

أجهزة الاستشعار في جسدي أكثر حساسية من أجهزة الناس الطبيعيين، فأنا سريع التأثر بتغيير المناخ، بالرطوبة أو بالضغط الجوي. لهذا السبب، وكي أستعد مقدماً للأمر، كنت أضع ساعة يد مصحوبة بميزانٍ للحرارة.

يرعبني التيفون[4]. لهذا فأنا أكن إعجاباً شديداً لمقاومة الناس الطبيعيين. أحياناً، يحدث لي أن أشعر أني مجرد حيوان صغير نباتي في طريقه للانقراض بسبب حساسيته المفرطة.

---

[3] طعام في اليابان يشبه الوجبات السريعة، يعتمده الموظفون في غدائهم.

[4] تيفون : إعصار مداري في غرب المحيطين الهندي والهادي.

Twitter: @ketab_n

من المرجّح أن اسمي مكتوب في مكان ما ضمن لائحة حمراء تحت صفة الأنواع المهدّدة.

عندما حلّ ما بعد الظهر، قمت بزيارة بعض الزبائن قبل العودة إلى المكتب.

في هذه الأوقات أيضاً كنت أتأكد من أني ما زلت أتذكر ما يجب علي فعله. وضعت إشارة قرب اسم الزبون الذي كنت قد رأيته، كي أرى من بقي منهم، لأني إن لم أفعل ذلك فأنا أخاطر بأن أذهب مرتين عند الزبون نفسه، أو أيضاً بأن أعود إلى المكتب قبل أن أرى الآخرين.

سلّمت الوثائق التي استعدتها من عند الزبائن إلى ناغاز-صان، ثم أنهيت بعض الأعمال في المكتب. قارب يومي على الانتهاء، ولم يظهر المدير بعد.

قلت إلى اللقاء لناغاز- صان وجهّزت نفسي للخروج.

"عفواً" قاطعتني قائلة ناغاز- صان.

- ماذا هناك ؟ سألتها.

كانت تحاول أن تشدّ عدة مرات ياقتها وأطراف أكمامها بشكل خجول.

- هممم...أجابت. لا شيء.
- حقاً؟

فكرت للحظة، ثم قلت لها بابتسامة:

- إلى اللقاء.
- إلى اللقاء.

Twitter: @ketab_n

قدت دراجتي حتى الشقة حيث كان يوجي على وشك قراءة كتاب، وهو ممدد على التاتامي[5]. كان الكتاب عن مومو للكاتب ميكائيل إيند.

- هل باستطاعتك القراءة؟ سألته
- هاه ؟ قال يوجي ملتفتاً نحوي.
- هل تستطيع القراءة في هذا الكتاب ؟ سألته مجدداً.
- أستطيع، أجابني... قليلاً.

" سوف أذهب لأشتري شيئاً لأجل الطعام . قلت ليوجي وأنا أغير ملابس العمل لأرتدي عوضاً عنها سترة وبنطالاً من الجينز. ماذا تريد أن تأكل هذا المساء؟"

- أرز بالكاري.

فتحنا باب الغرفة وخرجنا إلى العتبة. قلت له ونحن نهبط الدرج :

- أرز بالكاري؟ أكلناه ما قبل البارحة!
- لكن أنا أريده.
- وأنا واثق بأننا تناولناه يوم الأحد أيضاً "
- نعم، لكن مع ذلك أريده.

- سوف يأخذ هذا وقتاً.

- لا يهم.

- حسن جداً .

[5] حصير مصنوعة من قاعدة سميكة من الأسل تستخدم في البيوت اليابانية.

Twitter: @ketab_n

ذهبنا إذن إلى مركز التسوق أمام المحطة، لشراء مكعبات الكاري الحمراء، وبصل، وجزر، وبطاطس. سرت حاملاً الحقيبة البلاستيكية بيدي اليسرى، وباليمنى أمسكت بيد يوجي. كانت راحة يده مبللة على الدوام بالقليل من العرق.

وبما أني من هؤلاء الأشخاص الذين يقلقون أكثر من اللازم، فقد كنت في كل مرة أسير فيها في الطريق، أمسك بشدة بيد يوجي ولا أتركها أبداً. وأقول له :

- السيارات خطيرة، يجب الانتباه جيداً.
- هممم.
- يموت عشرات الأشخاص يومياً بحوادث الطرقات.
- حقاً ؟
- أكيد. هذا إذا ما أخذنا بالاعتبار العدد نفسه من الأشخاص الذين يموتون في حوادث القطارات والطائرات، فسوف نقول إنّ هناك مشكلة خطيرة في مكان ما في وسائط النقل تلك، وسوف نعمل على منعها.
- إذاً، السيارات أيضاً سوف تختفي ؟
- على العكس، فأعدادها تتزايد باطّراد.
- لماذا؟
- أنا أيضاً أتساءل ...
- هذا غريب.
- فعلاً هذا غريب.

Twitter: @ketab_n

في طريق العودة توقفنا في الحديقة رقم 17 (كم من الحدائق يمكن لهذه المدينة أن تحوي؟ فقد رأيت حديقة رقم 21 ذات مرة أثناء جولاتي).

كالمعتاد كان البروفيسور Nombre وكلبه Pooh " بووه" في الحديقة.

لم أكن أعرف الاسم الحقيقي لـ " نومبر- صانسي" يبدو أنه حمل هذا اللقب من أيام شبابه، عندما كان يدرّس في المدرسة الابتدائية. في المرة الأولى التي ذكر لي فيها هذا اللقب قلت له :

- عدد؟ يعني كعدد الصفحات التي تشكّلها رواية ما، مثلاً ؟
- بالضبط. أجابني.

كان مصاباً دوماً برجفة خفيفة، كأنه كلب مبلل بالمطر. كان رجلاً طاعناً في السن، ربما لهذا السبب.

- لماذا لقّبوك بهذا اللقب؟

هزّ رأسه قليلاً، أو ربما ارتجف فقط بكل بساطة.

- أنا أيضاً أتساءل عن السبب...هل يا تُرى كان قصد الذين من حولي القول أن حياتي لم تكن إلا مجرد فراغ كبير؟ لا بد وأني قد سرت قدماً في حياتي إلا أنها لم تكن غير صفحات بيضاء، كما في كتاب فارغ لا يحوي إلا على أرقام الصفحات.
- حقاً ؟ سألته.

مسح الفراغ بنظرته الضبابية، غير الواضحة، تلك التي يتصف بها الأشخاص المسنون.

Twitter: @ketab_n

- لم أعش حياتي إلا من أجل أختي الصغيرة.

تثاءب بووه، الكلب الأشعث الجالس عند قدميه.

(لا بد وأن هذا الكلب يملك اسماً " حقيقياً " أيضاً. لكن يوجي سمّاه بشكل تعسفي بهذا الاسم : بووه)

- كان بين أصغر فرد في العائلة وبيني ثلاثة عشر عاماً، عندي أيضاً أخ بكر، لكن بعد الوفاة المتعاقبة لوالديّنا،غادر هذا الأخير المنزل بحثاً عن استقلاليته، ولم يبق غير أنا وأختي في المنزل.

كانت أختي منذ نعومة أظفارها ذات بنية ضعيفة، وقد شخّص الأطباء مرضها في تلك الفترة، وتوصلوا إلى أنها لن تعيش لتصل سن الخامسة عشرة"

- ماذا تعني كلمة " شخّص ". سأل يوجي الذي كان بجانبي يتابع الحديث.

وبما أني لم أعرف كيف أشرح له، أجبته قائلاً : يعني ما اعتقدوه.

- هذا هو الأمر إذن، قال يوجي مبتسماً.

لا بد وأنه كان يفكر بأمور أخرى مختلفة.

" عندما غادر أخي، كانت أختي في الرابعة عشرة من عمرها، وأنا في السابعة والعشرين . اتخذت قراري أننا سوف نبقى معاً نحن الاثنان، وأني سوف أعتني بها حتى النفس الأخير. كنت في أجمل أيام العمر، وشعرت بالعاطفة تجاه إحدى الفتيات. لكني كنت أفكر بأختي قبل الجميع، بينما جاءت اهتماماتي الأخرى في المرتبة الثانية.

Twitter: @ketab_n

هكذا عاتبت قلبي المتردد قائلاً. الحقيقة، هي أن علاج أختي كان مكلّف جداً. وأيضاً، حتى ولو كانت قد تطورت عاطفتي نحو تلك الفتاة، ما كان بإمكاننا أبداً بناء بيت مشترك. وهكذا مّرت الأيام وتبعتها الشهور بسرعة مذهلة.

قلت في نفسي أنه يجب علي أن أعمل شيئاً خاصاً. فالأيام تسير مسرعة، لدرجة اشتبهت أن هناك شخصاً ما ذكي جداً، في مكان ما، ينهب مخزون أيامي.

على أي حال، انتهى كل شيء بسرعة، قبل أن يكون لدي أي شيء لأكتبه في كتابي. في أول صفحة نستطيع أن نَدون الحوادث اليومية لرجل مضجر والتي لن يكون فيها أي شيء مهم ليُقال، قبل أن نضيف " شرّحه " (الشيء ذاته) على كل صفحة جديدة. هذا كل شيء.

هل تصدق هذا، أنت ؟ على هذا الشكل تابعت حياتي، وهكذا مرّت الثلاثة والثلاثون عاماً. توفيت أختي وهي في عمر الرابعة والأربعين، حينها كان يفصلني ثلاث سنوات عن عيد ميلادي الستين .

مع ذلك، أستطيع أن أؤكد أمراً واحداً وهو أن هذه الحياة، التي هي حياتي، لم يكن فيها شيء من " الفراغ ". فحياة رجل تافه دون قصص هي ممتلئة بالفحوى. وهي ليست فارغة. لأن حياتي، مهما بدت متواضعة، فقد عرفت الفرح، والعواطف.

كنت عندما أنتهي من عملي، أعود إلى البيت وأقصّ على أختي التي كانت تنتظر عودتي، حوادث يومي، و، كيف أقول...كانت متعة حقيقية بالنسبة لي.

Twitter: @ketab_n

ها هي حياتي. من يدري، ربما لو كانت لي حياة مغايرة، لكان شخص آخر هو من يجلس هنا الآن، فنحن بكل بساطة لا نستطيع اختيار حياتنا.

إذن، حتى هذا اليوم، كان البروفيسور "نومبر" يعيش حياته الخاصة، بصحبة كلبه العجوز الأشعث بووه.

كان يوجي يداعب أسفل ذقن بووه، وكالعادة، أصدر الكلب صوتاً غريباً، صوتاً يشبه اهتزازاً بسيطاً من الهواء، لكن مع بعض التحوير .

إن أردنا تسجيلها فذلك يبدو هكذا : " ؟~ "

سيشرح لي "نومبر" الأمر عما قليل قائلاً : أخضعه معلمه السابق لعملية استئصال حباله الصوتية.

عندما كانت كلاب الجوار تلقي عليه التحية صارخة " هاو هاو " كان بووه لا يستطيع أن يجيب بأكثر من "؟~" مع ذلك لم يكن يبدو هذا وكأنه يزعج الطرف الرئيسي الآخر .

- مرة أخرى كاري لوجبة المساء ؟ سألني " نومبر" وهو ينظر إلى كيسي التسوق.
- في الواقع نعم. وأنت ؟
- بالنسبة إلي العشاء هنا.

وأظهر لي كيساً من البلاستيك يحتوي على كعكة من السمك البحري الصغير المقلي.

Twitter: @ketab_n

" الطعام غير المباع سعره زهيد... يا لحسن الحظ."

أخفض أنفه إلى داخل الكيس واستنشق، فاكتسبت عيناه المغلقتان، كما صفحة وجهه، هيئة سعيدة.

" هذا أيضاً يمثل نوعاً من السعادة المتواضعة، أليس كذلك ؟"

بالرغم من ذلك، ولسبب مجهول، جعلتني هيئته السعيدة أشعر بالأسى. لا أدري ما السبب، وهذا ما كدّرني .

هل لأن سعادة "نومبر" بدت زاهدة ؟ أم لأن شخصاً مثله وصل إلى نهاية أيامه، يجب أن تكون جيوبه أكثر امتلاءً ربما؟

جلست مع "نومبر " على المقعد وتناقشنا بمواضيع متنوعة ونحن ننظر إلى يوجي وهو يلعب مع بووه. عندئذ سردت عليه المشروع الذي كان يُطبخ بهدوء في رأسي.

_ في الحقيقة، أفكر بكتابة رواية .

غيّر نومبر من وضعية جلسته على المقعد كي يبتعد عني قليلاً قبل أن يغضّن عينيه، محاولاً ضم كامل طيفي بنظرة واحدة. ثم، رفع يديه بصمت.

" رائع! هذا رائع ."

- أحقاً تجد هذا رائعاً ؟

" بالتأكيد، فالروايات هي غذاء القلب. إنها الضوء الذي ينير العتمة، الفرح الذي يتجاوز العشق.

Twitter: @ketab_n

- ليس هناك من أمور استثنائية. لنقل بالأحرى أني أنوي كتابة قصتنا، قصتي أنا وميو، كي يكون بإمكان يوجي قراءتها في يوم ما.

" هممم. يبدو لي هذا فكرة رائعة، فقد كانت امرأة مثيرة للإعجاب."

- صحيح .

كان يوجي يمسك بووه من رقبته وقد بدا وكأنه سيعض له أذنه، والكلب يكشّر بهيئة جدية ويخرج صوتاً " ؟~ ؟~ " .

- ضعفت ذاكرتي بشكل كبير، قد يكون هذا عائداً إلى المرض، تابعت قائلاً كتفسير للأمر. أريد أن أكتب القليل مما بقي في ذاكرتي عني وعنها قبل أن يجتاحها النسيان. "

وافق "نومبر" بحذر.

"إنه لأمر محزن أن ننسى. أنا أيضاً، سبق لي ونسيت الكثير من الأمور، للأسف. تسمح لنا الذكرى أن نعود لنعيش اللحظة في عقولنا مرة أخرى " قال نومبر مشيراً إلى رأسه."

بدت سُلامياته المرتعشة وكأنها تريد أن تخط كلمات على صدغه. وتابع قائلاً " فقدان ذكرياتنا يؤدي إلى فقداننا للقدرة على عيش تلك الأيام مرة جديدة. كما لو كانت الحياة تنزلق من بين أصابعنا."

أومأ برأسه عدة مرات كعلامة للتأكيد على كلماته قبل أن يتابع : لهذا فأنا أعتقد أن فكرة تسجيلها فكرة جيدة . سوف يكون لكتابك معنى أكبر بكثير مما لكتابي (هنا غمز لي غمزة تتناسب مع الكلام). على كل حال، مجمل الآداب التي أعتبرت من أفضل ما كُتب في القرن العشرين كان مردّها ذكريات الطفولة.

Twitter: @ketab_n

نهض "نومبر" ببطء عن مقعده. بدت له الحركة مؤلمة للغاية، كما لو أن قوة جاذبية الأرض قد تضاعفت من تحت أقدامه.

" حسناً، حان وقت عودتي، فهناك سعادة متواضعة بانتظاري "

ابتعد ببطء، بخطوات صغيرة. عندما انتبه بووه إليه، ركض إلى جانبه كي يتبعه.

- إلى اللقاء بروفيسور."

دون أن يلتفت، أشار إليّ بيده اليمنى، ومن ثم ذهب .

- إلى اللقاء بووه. صرخ يوجي

توقف بووه كي يستدير ويطلق نحوه واحدة من " ?~ " قبل أن يلحق بسيده.

قبل الذهاب إلى النوم، تحدثت مع يوجي عن كوكب الأرشيف. جمّعت التفاصيل الصغيرة، وأعطيتها شيئاً من الواقعية، بحيث شكّل كل استعلام ليوجي إضافة وزن لوجودها.

- قل لي، ما شكل هذا الكوكب ؟

بذريعة هذا السؤال، وصفت له هذا الكوكب بصورة ظلّية. قمت بتخطيط على خلفية إحدى النشرات ورسمت هكذا شكلاً وأنا أقول:

Twitter: @ketab_n

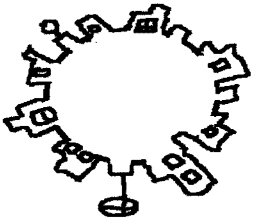

- كل الكوكب مجهز بأبنية شبيهة بالمكتبة على طول مساحته.
- لا يوجد بحر ولا جبال ؟
- كلا. أزيلت الجبال، واستُخدم ترابها لأجل ردم الأنهار والبحار. بعد أن تمّ التخلص من كل تلك الوعورة، بوشر في بناء الشقق.
- لماذا؟
- لأن هناك الكثير من السكان في ذلك الكوكب، ولم يكن يوجد مساحة إضافية.
- حقاً؟
- بالطبع. فكّر معي قليلاً. هناك الكثير من الأشخاص الذين يقطنون في قلبي، وقد غادروا هذا العالم، لكنهم مستمرون في العيش على كوكب الأرشيف.
- نعم، قلت لي هذا في السابق.
- إذا ما جمعنا دفعة واحدة كل الأشخاص الذين يسكنون في قلوب كل العالم، برأيك، كم يساوي ذلك تقريباً ؟
- همممم...لا أعرف . وأخذ يفكر قليلاً.
- لنقل أن كل شخص يحتفظ بعشرة أشخاص في قلبه، فسيكون لدينا أكثر من 60 مليار شخص على كوكب الأرشيف.(أقل بقليل إن

Twitter: @ketab_n

أردنا حذف التكرارات، لكن كنت أشك بأن يوجي قادر أن يفهم، حتى ولو شرحت له ذلك.)

- كم يعني 60 ملياراً ؟

- هيا لنرى... في مدرستك مثلاً، هناك ما يقارب الألف طالب في الشعبة الأولى للصف السادس. تراهم جميعاً مجتمعين عند قرع الجرس، أليس كذلك ؟

- صحيح.

- في هذه الحالة، إذا أخذت مدرستك كمثال...انتظر لحظة (عددّت الأصفار على أصابع يديّ) حسناً، يجب أن تضربهم بـ 60 مليون.

- يعني كم، 60 مليون ؟

(سؤال منطقي)

- انظر... أترى الزجاجة البلاستيكية المملوءة بقطع من فئة الين الواحد، الموجودة على التلفاز؟

- نعم. منذ مدة وأنا أجّمعها.

- في الوا قع، يجب أن يكون هناك تقريباً مليون قطعة من فئة الين الواحد. إذن، الستون مليون تساوي ستون ألف زجاجة مليئة بالقطع النقدية.

- لكن وبعد، ماذا يعني ستون ألف؟

(سؤال جيد).

- نعم...ستون ألف...دعنا نرى...آه! غالباً ما نذهب نحن الاثنان إلى المكتبة، أليس كذلك؟

- هذا صحيح.

Twitter: @ketab_n

- سمعتهم يقولون إنّ فيها ما يعادل الستين ألف كتاب .
- كل الكتب التي هناك؟
- نعم.
- إذاً هذا ما يساوي الستين ألف؟

بقي يوجي مستلقياً لفترة طويلة على الفوتون بالقرب من فوتـوني، مشتت الأفكار في أفكاره. بعد فترة صمت طويلة خلته فيها قـد نـام، سألني بصوت هامس : تاك- كون (هكذا كان يناديني)

- ماذا هناك؟
- هل أستطيع أن أطرح عليك سؤالاً آخر؟
- بالطبع؟
- أتعرف...تردد قبل أن يقول، ما هو أول سؤال طرحته عليك؟
- عفواً؟
- هممم.
- أنا أيضاً نسيت.
- حسناً.
- هيا هل ننام؟
- حسناً.

في ليلة أخرى، عندما سألني يوجي : لكن، هذا – الأحد ما - لمـاذا خلق كوكب الأرشيف ذاك؟

(ها هو كوكب الأرشيف يعود ليجد سبباً آخر له في البقاء.)

- قلت لك إن أبنية هذا الكوكب تشبه المكتبة، أليس كذلك ؟

Twitter: @ketab_n

- هممم.
- في الحقيقة، الكوكب كله عبارة عن مكتبة.
- حقاً؟
- نعم. فهذا " الأحد ما " الذي خلق كوكب الأرشيف يحب كثيراً الأشياء من تلك الأنواع. لهذا يكتب سكان هذا الكوكب الكثير من الكتب لأجله. كما سبق وقلت لك، هم جميعاً مشغولون بالتفكير. خذ مثلاً أرسطو، أو نيوتن، إنهما يفكران بمسائل معقدة. منذ زمن.
- آه صحيح؟
- بالطبع. قلت لك إن أفلاطون وكثيرون غيره يتابعون التفكير بمسائل معقدة لم يكونوا قد وجدوا لها حلاً وهم على الأرض منذ ما يقارب المئات من السنين. وطالما بقي أهل الأرض يتذكرونهم، يبقى في استطاعتهم متابعة التفكير.
- هممم.
- وعندما سيجدون أجوبة لتلك المسائل، سيكتبون كتاباً. وهذا أيضاً سوف يتم حفظه في المكتبة.
- وكتاب ماما؟
- ماما أيضاً تكتب كتاباً، بالطبع. كتاب عني وعنك.
- وهذا " الأحد ما " سوف يقرأ كتابها؟
- أكيد. فهذا " الأحد ما" يحب بشكل خاص هذا النوع من الكتب. لأننا نتعلم منها كل شيء عن الحب الإنساني.
- حقاً؟ وجيم بوتون، ماذا يكتب؟
- يكتب كتاباً عن القطارات، بالتأكيد...
- والصغيرة ذات القبعة الحمراء؟

Twitter: @ketab_n

- أعتقد، أنه كتابٌ عن الذئاب.
- أهذا أكيد ؟
- نعم أكيد . هي تكتب كتاباً تشرح فيه كيفية التعرف على جدّات الذئاب . إنه دليل عملي، بشكل ما.
- حقاً؟
- دون شك.

في عطلة الأسبوع ذهبنا للتنزه في غابة خارج البلدة.

كانت حيوانات التانوكي[6]، وابن عرس، كما القوارض الصغيرة تعيش هناك في سرير من الخضرة غني بأوراق من شجر العبهر[7] الياباني والسنديان. كانت البرك التي تحيط بالغابة ممتلئة بأسماك القنومة، والكارب، وأنواع أخرى، وهم يتأملون مملكتهم بحبور، ويتماوجون بزعانفهم بأمان.

يعبر الغابة العديد من الطرقات المتعرجة التي تتشابك كالمتاهة. عند حافة أحد الطرقات الضيقة تقع حانة معزولة كانوا يقدمون فيها الساكي. كانت مبنية من الزنك والخشب المعاد تصنيعه، وقد ذابت فعلياً في الغابة. كان بابها مغطى بأغصان الكرمة المتشابكة، وسطحها مختفٍ تحت أوراق الجذوع الضخمة لشجر السنديان. ويصدر منها بشكل دائم نوعٌ من الدمدمة المنخفضة - بوم، بوم، بشييت...

كنت أجري مرتدياً سروالاً قصيراً باهت اللون، وتي- شرت يحمل ماركة م- ك- ف (الأحرف الأولى من معهد كندي *للفضاء*، التي جلبها

---

[6] كلب الراكون الياباني ويدعى أيضا : تانوكي
[7] شجر دائم الخضرة ينمو في التربة العميقة.

Twitter: @ketab_n

لي أحد الأصدقاء كهدية للذكرى) لم يعد لي نفس القدرة على التحمل كما في السابق، لكن كان بمقدوري الاحتفاظ على الوتيرة ذاتها خلال ما يقارب الساعة، شرط أن أحتفظ بهيئة هادئة لست دقائق في الكيلومتر الواحد. كان يوجي خلفي، يتبعني، وهو على دراجته الصغيرة. وبما أننا كنا قد أزلنا منها منذ وقت قريب العجلات الصغيرة، فإنه لم يكن مرتاحاً بقيادتها كما يجب، وتعوزه الثقة.

كان الطريق الضيق مغطى بالأوراق الميتة، وبالأغصان المتكسّرة. كنت أستطيع القفز فوق كل تلك العوائق بسهولة، لكن كان يتوجب على يوجي النزول بشكل منتظم عن دراجته كي يفتلها. كنت أسمعه يتذمر من وراء ظهري قائلاً:

- انتظرني تاك- كون! لا تتركني وحدي!"

خففت من وتيرة الجري كي أنتظره ، وقلت : أنت تعلم تماماً أني لن أتركك وحدك.

- نعم. لكن...
- هيا، تعال.

عاودنا تقدمنا في قلب الغابة وزدنا من سرعتنا.

بعد أن تابعنا طريقنا قرابة أربعين دقيقة كما لو كنا نرسم كل درب بشحطة قلم، خرجنا في الطرف الآخر من الغابة، حيث كان هناك ما يشبه آثار معمل بيرة - ركام على الأرض مغطى بخرسانة عارية- كان باستطاعتنا رؤية بقايا الأعمدة التي كانت تحمل الآلات الضخمة. فوق المساحة الواسعة الكلسية كانت ترتفع البقايا المعزولة

Twitter: @ketab_n

للمبنى. كان هذا الأخير مهدماً تقريباً، هناك فقط، باب لم يزل موجوداً، كما صندوق رسائل ملتوٍ يأخذ الشكل التالي :

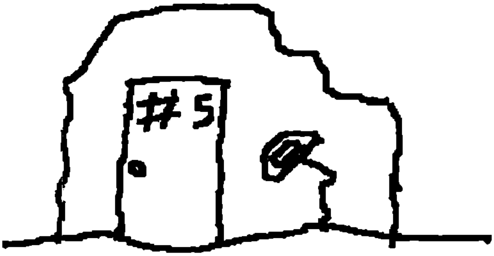

هل كان هذا مصنع رقم 5، أو مستودع رقم 5، لم يكن لدي أي فكرة، بالتأكيد لا يوجد شيء على الإطلاق في الجانب الآخر من الجدار.

كان يوجي غالباً ما يجد هناك بعض العزقات، والمسامير الكبيرة، كما بعض أطراف رقّاص حلزوني (كان يصادف له أحياناً أن يعثر على مسننات، في الأيام الجميلة.)

كنت أتأمله، ووركيه منحنيان فوق الأعمدة. كانت " ميو " أيضاً تأتي إلى هنا من قبل.

كان يوجي يعكف على هذا النشاط مذ كان في الثانية من العمر تقريباً، مع ذلك لا يبدو أن البراغي والمسننات، والمسامير قد تناقصت. إنه لغزٌ تام، فالقطع الصغيرة كانت دائماً هنا.

Twitter: @ketab_n

يعود يوجي إلى البيت بجيوب ممتلئة من هذه الأشياء، يطمرها داخل حفرة خلف شقتنا. لا بد وأنه أصبح لديه كمية معتبرة، مطمورة على عمق 30 سم تحت الأرض، فأنا متأكدٌ من ذلك.

سأكون فضولياً لرؤية تعبير وجه ذلك الذي سوف سيكتشفها في يوم من الأيام.

" هل أستطيع أن أسألك سؤلاً ؟ قلت ليوجي.

- ماذا ؟
- لماذا تفعل ذلك؟

حدّق في وجهي كما لو كنت فعلاً شخصاً غبياً أمامه، وأجابني قائلاً:

" هذا طبيعي، أليس كذلك ؟ لأن هذا أمراً مسلياً."

- هممم.

كان ذلك قبل أسبوع من رحيل " ميو" إلى كوكب الأرشيف (هذا التعبير يعزيني قليلاً) قالت لي ما يشبه هذا : " لن أغدو من اليوم وصاعداً من سكان هذا العالم، لكن عندما يعود موسم المطر، فإني سأعود دون شك لأرى كيف تتدبران أمركما أنتما الاثنان."

كان يهطل مطر بارد في ذلك اليوم من شهر حزيران.

" لهذا، أرجوك، ابذل قصارى جهدك لتصمد حتى ذلك الوقت. وسيكون يوجي وقتها في المرحلة الابتدائية في تلك الفترة، اصطحبه كما يجب إلى المدرسة. تأكد من أنه يأكل بشكل جيد في الصباح،

Twitter: @ketab_n

تحقق من أن أشياء ه كلها معه وأنه لم ينس شيئاً. هل تشعر بأنـك قادر على هذا ؟"

- أكيد، أجبتها.
- حقـاً؟ إن لم تقـم في غيـابي بـالأمور عـلى أفضـل وجـه فلـن أسامحك على هذا أبداً.

(ارتسم على وجهها ابتسامة صغيرة عند قول هذه الكلمات، ابتسامة كانت من الصغر بحيث كان من السهل أن تغيب عنا.)

" سيبقى بالي مشغولاً عليك، تابعت "ميو" قائلة."

طمأنتها قائلاً : سأتدبر أمري. سأكون قوياً. سأصبح أباً جيداً. لا تقلقي.

- حقاً؟
- هذا وعد.

هل أصبحت قوياً؟

هل أصبحت أباً جيداً؟.

سيرجع قريباً موسم الأمطار.

ذات يوم من أيام الاثنين من شهر حزيران.

اليوم أيضاً، كنا نطير نحو يوم جديد.

Twitter: @ketab_n

3

" يوجي، الفطور جاهز.

- هان؟
- عجّل وكلّ.

مررت قميصاً من على رأس يوجي الذي كان لم يـزل يفـرك عينيـه، وهو في قميصه الداخلي.

" هذا فطورك، هيّا كُلّ "

- هممم.
- هل تحققت من محفظتك؟
- هممم. كل شيء هنا.

مع ذلك، كان كل يوم، ينسى شيئاً ما، لا محالة.

- تا- كون؟
- ما الأمر ؟
- أيضاً بيض مقلي ونقانق.
- تماماً، إنه مغذي ولذيذ.
- لكن كل يوم الشيء ذاته...
- ماذا هناك؟

Twitter: @ketab_n

- لا شيء.
- يجب أن تسرع. لم يبق سوى ثماني دقائق.
- آه، حقاً؟
- آه، نعم.
- قل لي تا- كون، لدي بقعة من الكاتشاب على قميصي.
- لا تهتم للأمر. ما عليك إلا التفكير على أنها رسم.
- صحيح؟
- لم أغسل في الآونة الأخيرة، لهذا فليس لدي شيء آخر لأقترحه عليك. فعلى قميص آخر هناك بقعة صلصة أيضاً، وعلى ثالث هناك بقعة كاري.
- أوواه...
- لن يكون لدينا مثل هذه المشاكل لو أنت أكلت بشكل ملائم أكثر.
- حسناً، موافق، سوف أبقى في هذا القميص.

وأنا عائدٌ من جولتي، فاجأني هطول المطر. كان أول انهمار في الشتاء.عند وصولي إلى المكتب، جلبت لي ناغاز- صان منشفة، ومسحت لي كتفي وظهري.

- بذلتك...
- ما بها؟

بدت وكأن الكلمات التي كانت تتجهز لقولها قد أربكتها بشكل كبير. شدّت عدة مرات ياقتها وأكمام قميصها.

- ماذا هناك؟
- حسناً...

Twitter: @ketab_n

ترددت قليلاً قبل أن تتابع قائلة : ربما من الأفضل ترك البقع.

- آه نعم، ربما.

لم يبدو وكأن هذا القول قد طمأنها. ابتسمت لها بطريقة استفهامية، فحركت رأسها كمن يريد القول أن لا شيء هناك.

- إلى اللقاء، قلت لها وأنا أمدّ نحوها بالملفات الرسمية.
- أشكرك على عملك. تمتمت بصوت خافت وهي تضم الوثائق إلى صدرها.

كان المدير غافياً وراء مكتبه.

في المساء، تسلّحت بمظلة، وخرجنا لنتسوق أنا ويوجي.

" ماذا تريد أن تأكل على العشاء؟"

- كاري.
- هذا هوس...
- ماذا يعني هوس؟
- هذا يعني نقص في الإبداع.
- ماذا تريد القول؟
- أريد أن أقول أن هذا يبدو وكأنه البند الوحيد المُدرج ضمن قائمة الطعام في منزلنا الموقّر.
- حقاً؟
- حقاً.
- إذن ماذا تريد أن تجهّز؟
- ماذا لو وضعنا ضمن قائمة خياراتنا وجبة كانت حتى الساعة ممنوعة؟

Twitter: @ketab_n

- واووه، سيكون رائعاً!
- هواء جديد..
- كيف ذلك؟
- هذا ما قاله رئيس أمريكي، منذ زمن. ابنه هو الرئيس الآن.
- حقاً؟
- أجل.

منذ الساعة، بدأنا نتبادل وجهات نظرنا، وتوقفنا عند وجبة لم يكن قد تخيلها ولا مرة ضمن وجبات منزلنا الموقّر: الملفوف المحشو. تبادلنا المهام كي نشتري المكونات في المركز التجاري. وكان المزاج احتفالياً. " هواء جديد، هواء جديد " ردد يوجي دون توقف.

كان الأستاذ " نومبر" كعادته في المتنزه رقم 17. مظلته السوداء في يده، يتأمل نبتة الأرطنسية التي كانت أزهارها تفيض عن البركة. بووه، الذي كان يكره المطر، فرّ ليجلس تحت المقعد.

- بروفيسور .

عند سماع صوتي التفت نحوي، وابتسامة على شفتيه.

- أرطنسية ؟
- أليست رائعة؟ قال لي، لأننا ننظر إليها فهي تتفتح بلطف، إنها رغبتهم الخاصة، الصادقة والمباشرة.

قام "نومبر" ببسط أفكاره، وتابع قائلاً : في الأصل، زهرة الأرطنسية هي نبتة ساحلية. لهذا السبب، دون شك، هي تحب الماء كثيراً.

Twitter: @ketab_n

ربما كان "نومبر" يلاحق، حتى اليوم هذا، وجه الشابة التي لم يستطع الارتباط بها. ألا يدعى هذا بشيء يشبه ما يسمى العشق؟ شخص ما لم نره منذ حقبة من الزمن، أو شخص غادر هذا العالم، ولم نزل نشتاق إليه.

مهما بدا هذا غامضاً، إلا أنه أمر حقيقي.

" وروايتك؟ هل بدأت بها؟ " سألني "نومبر"

- ليس بعد. فعندما أقرر أن أكتب يصبح الأمر صعباً. حتى ولو كان هناك الكثير من الأفكار التي أرغب في سكبها على الورق.

" ليس أمامك سوى الانتظار حتى يحين الوقت."

- يحين الوقت؟

"نعم، الوقت الذي تنسكب فيه الكلمات التي تملأ قلبك وحدها."

- هل تعتقد ذلك؟

"بالطبع. سوف ينتهي الأمر وتحلّ تلك اللحظة."

كان يوجي مقرفصاً يتحدث مع بووه وهو تحت مقعده. وكان بووه يستمع إليه بصمت. كان يقول له : قل لي، هل سمعت بالهواء الجديد؟

عند عودتنا إلى البيت، عاينت الوصفة وبدأت أجهّز الملفوف المحشو بمساعدة يوجي " وجبة لا تُفوت" هذا ما كان بإمكاننا قراءته على المغلف.

ومع ذلك فقد فوتناها.

Twitter: @ketab_n

سألني يوجي : قل لي؟

- ماذا؟
- هل للملفوف المحشو هذا المذاق؟
- لا، لا اعتقد.
- إنه سيء جداً.

أجبته : أنا أتفق تماماً معك.

تلا ذلك خمس دقائق من الصمت، أعقبتها بقولي : هل تعرف، أنا...

- ماذا؟
- لاحظت شيئاً ما.
- ما هو؟
- كأننا أخطأنا عندما قمنا بالتسوق.
- من أي ناحية؟
- أعتقد أنه في الواقع قمنا بشراء الخس عوضاً عن الملفوف...
- آه، حسناً...

تلا ذلك أيضاً خمس دقائق من الصمت، قال بعدها : أنا آسف.

- لا، لا تهتم، كان يجب علي الانتباه عندما طبختها.
- أتعتقد ذلك؟
- بالطبع.

قرأت ذات يوم في الجريدة أن هناك طفلاً واحداً من بين ثلاثة أطفال بريطانيين لا يستطيع التمييز بين الملفوف والخس. يبدو أن الأمير الصغير لمنزلنا الموقر، من هذه الفئة.

أنا أيضاً كنت كذلك.

Twitter: @ketab_n

4

علمت أن السينما القريبة من المنزل تعرض فيلم " مومو" . كانت تلك صالة مستقلة متخصصة بتكرار الأفلام. لكن هذا الشهر كان مخصصاً لاستعادة عروض أفلام الكاتب ميكائيل إيند.

هذا الأسبوع، كان مخصصاً لفيلم " مومو"، و الأسبوع التالي لفيلم " قصة بلا نهاية".

كان يوجي قد قال لي أنه يحب مشاهدة فيلم "مومو".

- لكن أنت تعلم تماماً أني لا أذهب إلى السينما.
- أعرف...
- لهذا، إن رغبت في رؤية الفيلم، فمن المستحسن أن تراه وحدك. موافق ؟
- موافق؟
- في هذه الحالة هل تريد الذهاب يوم الأحد؟
- رائع! شكراً، تاك- كون.

خرجنا يوم الأحد قبل ساعة من بدء العرض. أخذنا الطريق الذي يجتاز المنطقة الريفية، أنا راكبٌ دراجتي القديمة التي كنت أقودها

Twitter: @ketab_n

للذهاب إلى العمل، ويوجي دراجة الأطفال خاصته. لم تكن المدينة التالية تبعد أكثر من عشرة كم، كان لدينا الكثير من الوقت.

لم أكن أستطيع ركوب الحافلة أو القطار. فعندما أستقلها، وفي اللحظة التي يُغلق فيها الباب خلفي، وتبدأ العربة تزيد من سرعتها، كان يشبك مفتاحي التبديل، وتضيء لمبة التحذير، ويصبح ذعري قياسياً.

لا يقتصر الأمر على العربات فقط، لكن أعتقد أن الشيء نفسه سوف يحدث لي إن أنا أخذت قطار القرود[8] في مدينة الألعاب، أو ركبت متن سفينة البجعة[9] في منطقة سياحية.

كما سبق وقلت أنا لا أنجح في ركوب القطار أو الحافلة، أما بالنسبة للخط الحديدي الأحادي وللتلفريك، ولأنهما على ارتفاع عن سطح الأرض، فالأمر يزداد سوءاً. إنها ليست أكثر من تخمينات، لكن أعتقد أنه من المستحيل عليّ أخذ الطائرة، أو الإبحار على سطح غواصة، فهنا أنا متأكد أن الأمر سيصبح قاتلاً.

مجرد فكرة أن أجد نفسي سجين حجيرة تحلق بقوة دفع متحركة، مع إمكانية انفجارها تحت مؤخرتي، يرعبني.

لهذا، تُعدّ الكلبة لايكا التي قامت بالدوران حول الأرض على متن سفينة الفضاء سبوتنيك، مثلي الأعلى. أتمنى لو كان لدي ولو جزء قليلٌ من شجاعتها.

---

[8] قطار ألعاب للأطفال

[9] سفينة على شكل بجعة تُستخدم في الأماكن السياحية.

Twitter: @ketab_n

على أي حال، لم يكن ذلك مريح على الإطلاق. من بين كل القيود التي كانت تكبلني، كانت تلك هي الأمور الغير قادر على تجاوزها، والتي بسببها، لن يكون باستطاعتي أبداً الذهاب إلى القمر، أو الغطس في خندق ماريانا[10].

هذا مؤسف للغاية.

وصلنا إلى دار السينما قبل خمس دقائق من بدء العرض. أخذ منا الطريق أكثر من الوقت المخصص له، بسبب شدة الريح. كان يوجي يحاول جاهداً خفض رأسه وهو يدوس بقوة على الدّواسة، فوصلنا متأخرين أكثر بكثير من الوقت المتوقع.

أعطيته الشطائر التي كنا قد جلبناها معنا، واشتريت له علبة صودا من الموزّع. كان في نيتنا تناول الطعام معاً قبل أن يبدأ الفيلم، لكن لم يعد هناك وقت لذلك.

ابتعت بطاقة مخصصة للأطفال من النافذة، وقلت له : خذ، هيا متّع نفسك.

بدا يوجي مشوشاً من تغيير البرنامج المفاجئ. أخرجت بعض القطع النقدية من جيبي وأعطيتها له وأنا أقول : إن بقيت جائعاً بعد تناول الشطائر، باستطاعتك أن تشتري البوشار أو كعكة محلاة أو أي شيء ترغب به.

---

[10] خندق ماريانا: هو أعمق نقطة على سطح الكرة الأرضية، ويقع غرب المحيط الهادي إلى الشرق من جزر ماريانا. يبلغ طوله 2250 كم وعرضه 69 كم. وهو مستطيل الشكل.

Twitter: @ketab_n

- هممم.

أعلن الجرس عن بدء العرض. مدّ يوجي رقبته كي ينظر إلى الباب الذي يقود إلى الصالة. ومن ثم عاد والتفت، مدققاً في وجهي.

- هيا. سوف يبدأ العرض.

وضعت يدي على كتفه كي أشجّعه. أعطيت البطاقة للحاجب ودفعت يوجي من ظهره. نظر إليّ مرتين قبل أن يختفي داخل الصالة.

لو كنت فقط أستطيع مرافقته.

لكني كنت غير قادر على احتمال البقاء في صالة سينما. كما أني لا أستطيع الذهاب إلى حفل موسيقي، ولا أن أحضر زفاف كائن من يكون. وهذا كله بسبب أمور مغايرة عن تلك التي لا أستطيع فيها أخذ المصعد، أو تسلق طوابق بناء عالٍ .

أنا نفسي أجد ذلك غير منطقي، فلم تكن أعراض إصابتي فيها لتقل عن محركات الدفع الأوحد.

عندما أجد نفسي في مكان مكتظ بالناس حيث تفرض فيه المناسبة البقاء صامتين، أشعر برغبة مزعجة في أن أبدأ بالحديث بصوت عالٍ. أعتقد أن جميع الناس قد اختبروا شعوراً مماثلاً في لحظة كهذه أو في غيرها، لكن كان الأمر يتعلق بدرجة هذا الإحساس.

" آه، يا للقميص الجميل! " أو: " يا الهي، كان يكفي القليل كي تخرج " تلك الأنواع من الكلمات التي دون معنى والتي تمر في ذهني، وتحاول الخروج في مواقف كهذه، كي تسبب لي الإحراج. من ثم، لم

Twitter: @ketab_n

تلبث الأمور أن تأخذ المسير ذاته في داخلي، يشبك مفتاحي التبديل، تضيء اللمبة، ويشتد انزعاجي، ويصبح ذعري قياسياً.

لم يعد هذا يحدث معي مؤخراً، لكن عندما كنت في الجامعة، كان يصادف لي أن أقطع الباحة وأنا أتعرق، محاولاً طرد الكلمات التي تجول في رأسي: " يا للهول! " أو " لا أتذكر أني سمعته! ".

بالنتيجة، كان هذا هو السبب الوحيد الذي من أجله قطعت دراستي.

بعد أن نظرت إلى يوجي وهو يبتعد، مشيت حول السينما بحثاً عن مكان أقضي فيه وقتي. كانت الزاوية تختنق بالمحال، ومخازن الملحقات والأطعمة الجاهزة السريعة، وتتلاصق قرب بعضها البعض. خشيت أن يسبب لي كل هذا الدوار، لكنني كنت ملزماً أن أنتظر هنا حتى خروج يوجي. فضلاً عن ذلك، فقد أعطيته كل الشطائر، وبدأت أشعر بالجوع.

تابعت السير، قبل أن أقرر الدخول إلى أحد محال *الستار- باكس*، معتقداً بأن هذا سيحل الموضوع. احتفظت بهذه القناعة من مبدأ أن كل تلك المقاهي هي للـلا- مدخنين. كانت لواقطي حسّاسة لدخان السجائر التي تبدو لي مؤذية أكثر من غاز الفلفل.

إن رغبت جمهرة من الناس من أشباهي التظاهر في يوم ما (مسلحون بلوحات مكتوب عليها : آه يا للقميص الجميل!" أو " يا الهي، كادت الكلمة تخرج من فمي) فليس على رجال الشرطة إلا أن يحيطوا بنا، وسيجارة في فمهم، ليسيطروا علينا. سوف نتفرق ساعتها

Twitter: @ketab_n

بكل تأكيد ونحن نبكي بكاءً حاراً، ونركض بشكل دائري صارخين " كم هذا مرعب "

كانت تمنعني حالتي الجسدية من شرب القهوة (فالقاطع سوف يشبك بكبسة واحدة) فقط القليل من أنواع وجبات هذه الأماكن يمكن لها الدخول إلى منظومة جهازي الهضمي. لهذا فقد طلبت زجاجة من المياه المعدنية، وشطيرة BLT.[11]

حملت الصينية وعليها شرابي وشطيرتي، وذهبت لأجلس في آخر المقهى. كان في الصالة حوالي ثمانية عشر زبوناً. بينهم شابات مرتديات سترة وبنطالاً، بيد كلٍ منهن حاسب محمول، وشبّان يبدو أنهم من الطلبة، كتيّباتهم مفتوحة أمامهم، يحتسون قهوتهم وهم يقومون بعملٍ آخر. جلست وقلّدتهم، فاتحاً دفتري الذي كنت قد جلبته معي. ربّتُّ على صدري مستعداً للنزال، لأخرج المدفون فيه. ثم، وأنا أقضم قضمة من شطيرتي فكرت قليلاً.

بعد أن شربت جرعة ماء، كتبت رقم واحد على أول سطر من أول صفحة. كنت أنوي أن أبحث عن عنوان لكن أيضاً تركت مكانه فارغاً.

بدأت الكلمات الأولى تتدافع فوراً.

" هذا ما قلته عندما ماتت ميو" بعد أن كتبت هذا التعبير كان لديّ الإحساس أني أنسخ جملاً جاهزة مسبقاً، بحيث كانت كلماتها تتدفق وحدها.

---

[11] قطع من لحم الخنزير، الخس، والطماطم.

Twitter: @ketab_n

هكذا إذن، قلت لنفسي، هذا تماماً ما قاله لي البروفيسور نومبر :" الكلمات التي تملأ قلبك سوف تخرج من تلقاء نفسها"

كتبت حول موضوع الكوكب الأرشيف، عن يوجي، عن عملي، عن البروفيسور نومبر والكلب بووه، كما كتبت أيضاً عن رياضة الركض في نهاية الأسبوع وعن المعمل المنهار. كان في نيّتي أن أباشر مع حوادث أيامي الحالية، ثم أنتقل بالتدريج لذكرياتي مع ميو.

أبداً لم يسبق لي، حتى هذه اللحظة أن كتبت شيئاً آخر غير كلمات الجريدة، مع ذلك كانت الجمل تسيل من منبعها. تذكرت كاتبي المفضل، جون إيرفينغ، كما تذكرت كاتب روايات الخيال العلمي "كيرت فون غات " الذي رسخ في ذهني أقواله، والتي احتفظت بها كمرجع أثناء كتابتي.

شخصية يوجي وشخصية تاك-كون الموصوفتين في دفتر صغير بدتا أكثر سعادة من شخصية يوجي الحقيقية كما من شخصية تاك- كون الحقيقية.

لم أكن مرغماً أن أشير للأشياء الصعبة بالفعل. لهذا قلت أنهما عرفا الهناء. ومن ثم، كان من الممتع جداً أن أصفهما وهما بهذه الحالة.

تائه في أفكاري، وفّقت بين الزمن وبين الفضاء والكلمات بشكل يلائمنا. هذا الوقت الذي قدّمته لهما لم يكن بتعبير آخر سوى الوقت الذي كنت قد أضعته.

هذا مذهل ، عندما استعدّت وعيي، كانت الشمس قد بدأت بالمغيب. لم أستطع تصديق هذا.

Twitter: @ketab_n

" آه لا!" بنهوضي بقفزة واحدة قلبت زجاجة الماء على الطاولة. كانت تلك الزجاجة فارغة تماماً. نظر إلي الزبائن الآخرون نظرة شك.

بعد أن وضعت بسرعة دفتري وقلمي وممحاتي في الحقيبة، تخلصت من صينيتي وغادرت المقهى كالزوبعة. نظرت إلى ساعة يدي وأنا أركض فتبيّن لي أن عرض الفيلم كان قد انتهى منذ ما يقارب الساعة.

كنت أعلم تماماً أني من هؤلاء الأشخاص السريعي السهو عن الأمور لدرجة قد لا أعود وأتذكرها على الإطلاق، لكنّ بعضاً من هذه الأفكار المنسية كانت لا تغتفر.

لماذا أنا هكذا ؟ كيف وصل بي الحال إلى هذه الدرجة؟

أسرعت للقاء يوجي وأنا أصطدم بعدة مارّة موجّهاً لكل واحد منهم اعتذاراً.

لم يكن هناك أحد حول دار السينما. كان الوقت في منتصف العرض التالي، الوقت الذي تكون فيه الصالة مغلّقة وصمت كامل يغلفها.

رأيت يوجي جالساً وحده، وسط السلّم الرئيسي للعرض. على ركبتيه جعبته، التي كان يضمها إليه، ونظرته تائهة في الفراغ. كان فمه يتحرّك، كما لو كان يغنّي شيئاً ما، لكن صوته لم يكن مسموعاً.

- يوجي.

لم ينتبه لمناداتي. لم يرني إلا عندما اقتربت نحوه. كانت عيناه محمرّتين، وأنفه محمرّ، كما وجنتاه أيضاً. كان قد تمخّط عدة مرّات.

Twitter: @ketab_n

- أنا آسف، قلت له.
- هممم، أجابني.

ركعت كي أمسح بأصابعي أهدابه التي لم تزل ممتلئة بالدموع. أخرجت منديلاً من جيبي وجعلته يتمخّط، وأنا أقول : " تمخط من جانب واحد في كل مرة. إن أنت تمخّطت بقوة، فسوف تؤلم أذنيك"

- هممم.

ثم جلست قربه وقلت: أنا آسف.

- هممم.

أمسكت بيده الصغيرة، وكما هي دوماً، كانت رطبة ودافئة.

- شعرت بالقلق، قال أخيراً بصوت يخرج من أنفه، اعتقدت أن شيئاً ما قد حصل لك، وأنك مرمي في مكان ما دون حراك.
- حقاً؟
- همم. لهذا فقد بحثت عنك في كل مكان. لكني لم أجدك.
- آسف. ردّدت مرة أخرى.
- لكني أشعر الآن بالراحة. أجاب يوجي. كل شيء بخير أليس كذلك؟
- كل شيء بخير. لكني تصرّفت معك بطريقة فظيعة.

حرّك يوجي رأسه وقال: لا بأس، أنا أتحمّل الضربة.

- نعم، أنت مدهش.
- أنا، مدهش؟

Twitter: @ketab_n

- بل استثنائي. أنت أفضل مني بكثير.
- هذا ليس صحيحاً. احتجّ يوجي قائلاً. لقد بكيت، بكيت كثيراً.

عندما قال هذه الكلمات، عادت دموعه لتجري من جديد. مررت بيدي على شعره العنبري اللون المبلل بالعرق وضممته إلى صدري.

- سامحني لأني جعلتك تبكي.

توقف عن شهيقه، لكنه تابع البكاء بصمت. ثم، تمتم بصوت مخنوق ووجه محشور على صدري: أرجوك. لا تتركني وحدي. لا تنساني.

دون شك، سبّبت له للتو ذكرى حزينة، وهاهي مكافأتي. قلت في نفسي. ومع ذلك، سوف أسبب له غيرها. ففي طريق العودة، ونحن تقريباً في منتصفه، بدأت حالتي في التدهور.

يوجي، الذي كان قد استعاد نشاطه، كان على وشك أن يقصّ علي بطريقة أو بأخرى قصة الفيلم الذي شاهده للتو. كان الهواء يدفعنا إلى الخلف، ونحن نتقدم بسرعة كبيرة، كالقارب بشراعه المنفوخ.

في اللحظة التي انتبهت فيها لحالتي كان وضعي قد أصبح مقلقاً. فقد علق في أنفي رائحة كريهة، في نهاية منخريّ، وبدأت أفقد الإحساس بأصابع يديّ وقدميّ. ومما زاد في الأمر سوءاً، أني كنت أشعر ببرد فظيع. تابعت مع ذلك، للحظات، بإعطاء يوجي بعض الأجوبة القصيرة. في هذه الأثناء لم تعد أحداث حكايته تصل حتى عقلي.

Twitter: @ketab_n

استطعت أن أتماسك لخمس دقائق أخرى قبل أن أصل في النهاية إلى أقصى حدود احتمالي.

- يوجي... قاطعته قائلاً.
- ماذا؟
- قف.
- أوكي.

أوقفنا دراجتينا عند مفرق درب ضيّق عند تقاطع الطريق الإسفلتي. انهرت جالساً في مكاني.

انقطاع الطاقة، أو نفاذ الوقود بالنسبة إلى الأشخاص العاديين، يعني ببساطة أعراض نقص السكر في الدم، لكن بسبب حالتي الجسدية التي كانت تسير دوماً إلى الحدود القصوى، غدت هذه الأعراض نفسها مضروبة بعشرة أضعاف. ها أنا قد فقدت كل إحساس بذراعيّ وقدميّ وصولاً إلى المفاصل. لم أعد أستطيع تحمّل وضعية الجلوس، فتمدّدت على الأرض. في العادة، أنا أتحاشى حالة كهذه بتناولي خمس وجبات في اليوم، بكميات قليلة. لكن اليوم، وأنا مشتت الذهن، نسيت تماماً وجبة الساعة الثالثة بعد الظهر.

- تاك- كون، هل أنت بخير؟
- هم... لدي مشكلة صغيرة.
- حقاً؟
- يوجي...

قرفص كي يقترب بوجهه من وجهي.

Twitter: @ketab_n

- ماذا؟
- هل بقي معك نقود في جيبك؟
- نعم، اشتريت بوشار، لكن بقي معي بعض القروش.
- إذن في هذه الحالة، سوف تقدم لي خدمة؟
- همم.
- أريدك أن تأخذ دراجتك، وحدك، حتى أقرب كشك، وتشتري لي شيئاً ما لآكله.
- لتأكله؟
- تماماً، فقد نفذت بطاريتي. يجب عليّ أن أغيّرها إن أنا أردت الحراك من جديد.
- حقاً؟
- نعم، هل تستطيع القيام بذلك.
- بالطبع.
- إذن هيّا، اذهب فوراً.
- فهمت!

نهض يوجي وكأنه يتحقق من كلماتي وحاول للحظات أن يحدّق في عينيّ. وبجهد كبير، استطعت أن أرسم ابتسامة على وجهي.

- حسناً، سأذهب إذن، قال أخيراً.
- هممم... أنا أعتمد عليك.

ابتعد يوجي بدراجته.

- يوجي!

Twitter: @ketab_n

توقف عند صرختي مصدراً صوتاً بضغط المكابح.

- ماذا هناك؟
- أعتقد بأنك تعرف، لكن هذا لا يعني أن تشتري لي بطاريات، هاه.
- آه، حسناً.

(بالأخص هذه " الآه حسناً "، شكّلت رد فعل معاكس، لهذا فربما سيتحسّس إن أنا شرحت له مغزى ما قلت . ومع ذلك.. ما العمل؟)

- ستشتري لي شيئاً آكله. مثلاً، شيئاً ما حلو الطعم، إن استطعت.
- هممم.
- كعكاً مثلجاً، سيفي بالغرض..
- فهمت، أنت تحب هذه الأنواع، أليس كذلك تاك- كون.
- نعم.
- سأذهب.
- حسناً.

أعطى عندها دورة كاملة على الدواسة وابتعد بسرعة هائلة. أردت مناداته وأنا شبه فاقد التركيز لأقول له " لا تسرـ بسرعة.." لكنني تراجعت عن قراري عندما تذكرت ثقل سمعه.

وتمدّدت على الأرض.

" هذا خطير "

شكّلت برودة الأرض التي شعرت بها تحت ظهري، ورائحة العشب، الرابط الوحيد الذي جمعني مع العالم الحقيقي، تابعت الصلاة وأنا شبه فاقد الوعي لأجل سلامة يوجي.

Twitter: @ketab_n

كان يمر في ذهني باستمرار مشهد له، وهو مصدوم بسيارة، مسبباً في كل مرة ألماً حاداً في صدري. تحوّل وجيب قلبي إلى ارتجاج، خاضع للتباين بين الحين والآخر. كان هذا مرهقاً.

- " ميو" ناديتها في قلبي.

لم يكن هناك جواب.

"ميو"

عدت لأناديها من جديد، فقط كي أرى، ودوماً لا جواب. دون أن أعرف لماذا، أحزنني هذا جداً.

- تاك- كون؟

أعادني صوت يوجي إلى صوابي.

" اشتريت لك كعكة مثلّجة "

كان يتصبّب عرقاً، وكتفاه ترتعشان على إيقاع أنفاسه.

" شكراً لله " تمتمت.

- ماذا، ما الذي يجري؟
- هممم... لا شيء. من الآن فصاعداً أمنعك من الجري بسرعة على الدراجة.
- لكن...
- على كل حال، لا بأس هذه المرة. شكراً.

أجلست قسمي الأعلى حتى منتصفه وأكلت الكعكة المثلجة التي جلبها لي. كان الطقس بارداً جداً، واجتاح جسدي قشعريرة. ندمت

Twitter: @ketab_n

لأني لم أطلب منه أن يجلب شيئاً دافئاً، لكن مع ذلك أكلتها دون أن أنطق بكلمة.

ستحتاج المثلجات لوقت كي تتحلل وتهضم من قبل أعضائي. عدت لأستلقي من جديد، ووجهي متجه نحو السماء. تمدّد يوجي بالقرب مني.

كانت السماء قد اتشحت للتو بمظلّة نيلية اللون، تتراقص فيها النجوم كمصابيح تتمايل أعمدتها.

- تمام؟ سألني يوجي.
- همم، سوف أكون بخير بعد لحظات.
- حقاً. إذن، يجب أن نغني أغنية.
- كيف ذلك؟
- أغنية علمتني إياها أمي.
- لم أكن أعرف بالأمر.
- هل تريد ذلك؟
- حسناً، لكن...
- تستطيع أن تغنيها كي تتجدد قوتك، عندما تكون خائفاً، أو عندما يلم بك ألم ما.
- هل هي من أمك؟
- سبق وقلت لك.
- حسناً. ها أنا أسمعك.

عندئذ، وبصوت رقيق وواضح، راح يوجي يغني.

Twitter: @ketab_n

كان فيل يلعب

وقع في شبكة عنكبوت

ومن شدة ما كان يتسلّى

نادى للفيل الثاني

كان الفيلان يلعبان

وقعا في شبكة عنكبوت

ومن شدّة ما كانا يتسّليان

ناديا للفيل الثالث...

- قاطعته قائلاً : انتظر لحظة.
- ماذا هناك؟
- كم فيلاً تنوي أن تضيف إلى هذه الأغنية؟
- العدد الذي نريد. حتى نشعر بالتحسن.

تراءى أمام ناظري، وكأن في رأسي شبكة عنكبوت ضخمة، يلعب فيها مئات الأفيال.

قلت ليوجي : هل تعتقد أن الأفيال تتسلّى فعلاً؟

- نعم، ألا تعتقد؟ لهذا السبب هم يدعون أصدقاءهم، أليس كذلك؟
- هووف.
- غنّي معي، سوف تشعر بالتحسّن.

Twitter: @ketab_n

- حسناً.

ثلاثة أفيال تلعب

واقعة في شبكة عنكبوت

ومن شدة ما كانت تتسلى

نادت للفيل الرابع

تابعنا الغناء حتى وصلنا إلى خمس وستين فيلاً وقعت في شبكة عنكبوت.

وأنهينا هكذا:

كان خمسة وستون فيلاً تلعب

واقعة في شبكة عنكبوت

وكان الوقت قد تأخر كثيراً

بحيث قالت هيا نعد إلى البيت.

- تاك- كون ألا تشعر بالتحسن؟
- هاه؟
- ماذا؟
- هذا صحيح، فقد هدأت دون أن أنتبه لذلك.
- أرأيت؟ أليس هذا عبقرياً؟
- تماماً.
- نحن أيضاً تأخرنا. هل نعود؟

Twitter: @ketab_n

- أوكي.

سرنا جنباً إلى جنب في عتمة الليل دافعين دراجتينا. كانت الضفادع تغنّي بصوت عالٍ وببهجة. أتراه قد حصل معهم حادث سعيد ما؟

- أفتقد لأمي. قال يوجي.
- وأنا أشعر بالشيء ذاته...

عاود يوجي الكلام بعد لحظات:

- هل ماتت بسببي؟
- بالتأكيد لا.
- صحيح؟
- صحيح، ما الذي جعلك تفكّر بهذا الشكل؟
- لا شيء.

هذه المرّة كان دوري في معاودة بدء الكلام بعد لحظات:

- لا دخل لك بالموضوع على الإطلاق.
- أعرف.
- حسنٌ جداً.
- هممم.

سيأتي يوم يعرف فيه ما الذي حصل حقيقة، أنا أعرف ذلك. لا أدري ضمن أي مجموعة سوف يكون، وسوف يتولّى أحد ما إخباره. حالياً، لم تزل الأمور غامضة بالنسبة إليه، لكنه بدأ يتلقّى بعض شذرات من الحقيقة. لا بد وأن أحد الطائشين قد قال له شيئاً ما. مع

Twitter: @ketab_n

ذلك، لم يزل بعد صغيراً جداً ليعرف الحقيقة. أعتقد أني سأتابع الكذب عليه لبعض الوقت أيضاً. أظن أنه من الأفضل، قدر الإمكان، ألاّ يعرف الحقيقة إلا ساعة يقرأ هذه الرواية. وفي هذه الحال، سوف لن يكون عادلاً تماماً قولي أن يوجي هو السبب في موت ميو. أمام هذه المعطيات، من الصعب الاستدلال على السبب بدقة.

أمرٌ واحد كان مؤكّداً وهو أن كرة الروليت كانت قد وقفت على الرقم 13 أسود، من أين لنا معرفة السبب؟

من المستحيل الشرح بكلمة واحدة. ومن ثم، لم أكن أرغب في أن أرى عالمنا يضطرب بسبب هذه الروليت. ما هو مؤكّد، هو أن ولادة يوجي كانت فعلاً صعبة. منذ بداية الحمل، ظهرت تعقيدات عديدة لدرجة أنه في يوم الولادة، كان يجب على "ميو" التي تراجعت صحتها ، تلقّي كل أنواع الحقن. أشاروا عليها بالقيام بعملية قيصرية للسماح للجنين بالخروج من فتحة يقوم بها الجراح، لكن في النهاية، بعد ثلاثين ساعة من المخاض، جاء الطفل بالطريقة التقليدية. كان رضيعاً كاملاً معافى، يزن 3,900 غراماً.

بالمقابل، كانت والدته منهكة، فالعديد من أعضاء جسدها، تلك الأعضاء المسؤولة عن الترشيح والتحلل والتحييد، لم تعد تعمل بشكل صحيح.

غادرت عالمنا بعد خمس سنوات، لكن فعلاً لا أعرف ما هي العلاقة بين المضاعفات الحاصلة في أعضاء جسدها في ذلك الوقت والتعقيدات التي حصلت خلال الولادة. لأنه بالرغم من ذلك، كانت

Twitter: @ketab_n

تسترد من وقت لآخر عافيتها وقوتها، وعاشت حياة زوجة وأم طبيعية تماماً، لهذا فأنا لا أعتبر أن الخطأ هو خطأ يوجي في موتها .

وحتى لو افترضنا أنه بسبب حادث حصل أثناء ولادته، لقيت "ميو" هذا المصير بعد خمس سنوات من ذلك، لا يمكن لي أن أؤكد أن السبب يعود إلى يوجي.

فهو لم يفعل شيئاً.

فقد أتينا به إلى هذا العالم بناء على رغبتنا، ميو وأنا. في تلك اللحظة لم يكنِ يتنفس بعد، وعيناه لم تكن مفتوحتين بعد. كان نقيّاً كالثلج الذي لم يصل إلى الأرض. لهذا فلا يجب على يوجي أن يعاني أبداً من هذا الأمر.

Twitter: @ketab_n

5

في اليوم التالي، ذهبنا إلى الغابة كعادتنا.

هذا اليوم أيضاً، كان مصنع الجعة ساكي يُرسل قرقرته. كانت السماء مغطاة بالغيوم الرمادية. واتخذ الهواء الذي يهب من عمق الغابة رائحة الطوفان.

- كأنها ستمطر. قلت
- آه، حقاً؟

خففت من سرعتي كي أسير بالقرب من يوجي.

- أشعر برائحة المطر الغزير. يبدو أنها ستمطر. بدأ يوجي يشمشم الهواء وهو يقول: لست متأكّداً من ذلك.
- هيا لنسرع قليلاً.

كان من عاداتنا أن نقوم ببعض الالتفاف، ونجتاز مسافة لا بأس بها قبل أن نصل إلى المعمل المتهدّم، لكن هذا اليوم، أخذنا الطريق المباشر نحو وجهتنا.

كانت الغابة معتمة، وأوراق الكونارا[12] تغطي رؤوسنا مثل الكانوبيّة[13]. وكانت الأوراق الميتة تصر من الرطوبة فتسحق تحت خطواتنا.

---

[12] كونارا: أشجار سنديان ياباني.

Twitter: @ketab_n

لم يكن هناك عصفور يغرّد. ربما ابتلع الحزن العميق للسماء النغمات من الأفواه.

كل شيء كان هادئاً.

للحظة، راح الهواء يعصفُ، ويصفّر كما لو كان يريد لفت انتباهنا إليه، وأخذ يهزّ رؤوس الأشجار بهمهمة شبيهة بأصوات قطاف المشمش. كان هناك جذع شجرة مقطوعة يسدّ الطرق، ساعدت يوجي في رفع عجلته كي يمررها فوقها، لم تكن حدود الغابة بعيدة، وقد شارفنا على الوصول إلى المعمل المهدّم، والسماء لم تزل مكفهرّة. عندها، سقطت أول قطرة على كتفي، ملامسة وجهي.

" بدأت تمطر"

سرعان ما بدأ سيل المطر يشتّد. أطلق البيتون المبلل بالمطر رائحة حنين. لم تكن خرابة هذا المعمل الضخم تحوي أي مكان نلجأ إليه. كان من الأفضل لنا العودة إلى الغابة. باتخاذي قرار العودة على أعقابنا، ناديت ليوجي : " هيا بنا، سنعود"

لكنه لم يسمعني. كان رأسه يمتدّ للأمام بعناد، شعره ملتصق من الرطوبة، وهو يراقب شيئاً ما بطريقة جدّية. أكسبته عيناه وحاجباه المقطبان هيئة خاصة بشخص راشد وهو يتفحّص الأفق بكل كيانه.

تتبّعت الوجهة التي كان ينظر نحوها.

---

[13] الكانوبية: هي أواني استخدمها المصريون القدماء لحفظ أحشاء المتوفي بعد تحنيطه

Twitter: @ketab_n

كان هناك بقعة صغيرة ذات لون شاحب، منفصلة عن المنظر الرمادي المكتَسح من المطر. كانت تطفو أمام المقطع الوحيد المتبقي من جدار يسند الباب، رقم خمسة. مسحت برؤوس أصابعي القطرات الخفيفة التي كانت تعيق أهدابي، ركّزت نظري عليها من جديد. عندها، تعرفت فجأة على طيف أليف.

لم تكن عيناي تخذلاني. كانت "ميو".

متلفّحة بسترة صوفية بلون أزهار الكرز، كانت تقعي أمام الباب. أخفضت نظري ببطء نحو يوجي الذي بادلني النظر. كان جاحظ العينين، مفتوح الفم.

همس لي بصوت منخفض، كمن يريد أن يأتمنني على سر: هل هذا حقيقي، تاك- كون، رفرف عينيه بشدة، وهو متوتر. أمي..... قال وهو يشير نحوها، هل عادت أمي من كوكب الأرشيف أخيراً.

اقتربنا منها ونحن نرتجف. ليس من الخوف، ولا لأني كنت من هؤلاء الأزواج الذين لا يؤمنون بوجود شبح زوجته، إنما بالأحرى لأنه بدا لي أن بإمكان أي نسمة هواء محو وجودها.

بالتأكيد كان يوجي يفكر بالشيء نفسه، فقد تريّث، ولم يهرع لتقبيل ميو. أو ربما كان واعياً لطبيعة السعادة السريعة الزوال.

أما بالنسبة إليّ، كراشد ممتلئ صحة، لم أنسَ في تلك اللحظات حاجتي لضرورة إيجاد شرح عقلاني لكل هذا.

فكرة وجود النظير.

Twitter: @ketab_n

فكرة وجود شخص ما غريب قد يكون شبيهاً بميو، أو توأم حقيقي لم يكن بالفعل غريباً عنها. ففي حال كانت شخصاً غريباً، فالشبه تامٌ بينهما بحيث كان من الصعب علينا تصديق قصة الطيف. أما في حال التوأم الحقيقي، فقد كان من المستحيل ألا يكون لي علم بوجوده. كان لديها شقيق وشقيقة، وكانا هما الاثنان أكبر سناً منها ولا يشبهانها على الإطلاق. على عكسي، أنا الذي لم تكن تربطني بها أي صلة دم، كنت أبدو كأخيها الأكبر. كما لم يسبق لي على الإطلاق أن سمعت بوجود توأم ما، محجوز في مكان ما، مرتدياً قناعاً.[14]

أما نظرية أن ميو لم تزل على قيد الحياة وبصحة جيدة، فلم أكن لأصدقها.

إنها فكرة آسرة، لكنها مستحيلة. كوني بهذه الحالة سهرت على رأس امرأة أخرى، حضرت جنازة امرأة أخرى، وتحدثت إلى قبر امرأة أخرى.

لم أكن بهذا الغباء.

النظرية الأخرى- تلك التي تخصّ الارتهان أو الاستنساخ - تظهر كما في أنواع الروايات التي يجسدها " ديفيد دوشفيني [15]" ... عفواً، المخبر السري " فيلدر" والتي يصدقها، لكني لست من هذا النوع.

---

[14] نسبة إلى القناع الذهبي الذي يقال بأن الأخ التوأم للملك لويس الرابع كان يضعه مُجبرا وهو في السجن لمنع كشف شخصيته.

[15] ديفيد دوشفني: كاتب ومخرج وممثل اميركي. يمثل دور الشرطي ميلدر في FBI يعمل في ملفات غير عادية في مسلسل اميركي.

Twitter: @ketab_n

هذا ما كنت أفكر به وأنا أتقدم خطوة خطوة، لكن الفكرة التي بدت الأكثر قابلية للتصديق هي أن هذه المرأة ليست إلا طيفاً لزوجتي. لأنها، كما قالت لي بنفسها: عندما سيحين موعد سقوط المطر التالي، سأعود من كل بدّ لأرى كيف تدبران أمركما أنتما الاثنان.

إذن، ها هي تفي بوعدها، بعودتها لرؤيتنا، في يوم ماطر من أيام شهر حزيران.

بعد أن اقتربتُ لدرجة أستطيع معها لمسها فقط بيدي، رأيتها بوضوح. كانت المرأة التي تجلس القرفصاء لديها شامتان فوق أذنها اليسرى. ثم، رأيت الطرف الأبيض لقواطعها المزدوجة يظهر من بين شفتيها المنفرجتين.

لم تكن مجرّد امرأة غريبة تشبه "ميو" ولا توأمها ولا تلك المستنسخة عنها.

كانت تلك ميو بشحمها ولحمها.

إن بدا التعبير لكم غير وافٍ، أستطيع إعادة تشكيله هكذا: المقصود هو وجود كائن مزوّد بقلب ميو، بشكلها الخارجي، وأيضاً، على الأرجح، مع ذكرياتها أيضاً.

كانت تبدو حقيقية جداً بالنسبة إلى طيف بملامحها المحدّدة، وكي تكتمل الصورة، كانت تتمتع بصحة جيدة. لا أستطيع مقارنة رائحة عطر شعرها المثير للحنين إلى هذا الحد ولا بأي شيء، ولا التعبير عنه غير بـ " تلك الرائحة " كرسالة خاصّة، لا ترسلها إلا لي أنا.

Twitter: @ketab_n

رسالة فريدة في العالم، عدت لأشعر بها في هذه اللحظة.

بدت وكأنها لم تلحظ وجودنا، وهي مشغولة بتأمّل قطرات المطر عند قدميها بذهول. عندما نظرنا إليها عن قرب، بدت وجنتاها وقد امتلأتا قليلاً عما كانتا عليه قبل أن تغادرنا. كان وجهها شبيهاً بذاك الوجه ما قبل اجتياح المرض. بدت أكثر شباباً وممتلئة صحّة.

هذا الأمر يفتقد إلى المنطق.

شبح في كامل عافيته وشكله المحبّ للخير، غير قابل للتصديق، تماماً كالخبير المالي، أو مثل وودي آلان المتفائل. أتراها الأشباح حين تعود إلى الأرض وكأنها في أسعد أيامها؟

كانت ترتدي ثوباً أبيض تحت سترتها التي بلون أزهار الكرز. هل هذا هو الثوب الموحّد لسكان الأرشيف؟ هل كل ساكنيه إذن يرتدون ثياباً بيضاء؟ لطالما اعتقدنا أن للأشباح ثياباً موحدة وهي من اللون الأبيض، لكن قد يتوقع المرء أنهم ربما قد اعتمدوا شيئاً أكثر عصرية في الآونة الأخيرة.

" أمي؟ " ناداها يوجي بصوت ضعيف يرتجف، وهو غير قادر على التماسك لمدة أطول. رفعت "ميو" رأسها ونظرت إلينا ببطء وبطريقة محايدة، مجرّدة من العواطف، ثم أغلقت عينيها وعادت لتفتحهما من جديد قبل أن تميل برأسها قليلاً.

كانت كل لفتة من لفتاتها بالنسبة إليّ مثيرة جداً للحنين، وقيمة جداً، بحيث شعرت أني على وشك البكاء. فإن كان هذا يخصّ طيفاً، فهو لا يمكن تمييزه عن زوجتي. كنت ساحبه أيضاً، دون شك.

Twitter: @ketab_n

مددت نحوها يدي برفق، لأتأكّد من وجودها. بدت هيئتها خائفة، وقد تسمّر جسدها.

هل هناك مشكلة ما؟ هل تشكّل ملامسة البشر بالنسبة إليهم خرقاً للقوانين ؟

ومع ذلك لم أتمكن من التحكّم بنبضات قلبي، وضعت يدي على كتفها. وعلى عكس ما توقّعت، لم يحدث شيء.

شعرت بكتفها الضعيف في يدي، يرتعش من المطر، لكنه كان يشعّ بدفء منتشر. أذكر أني تلقيت مفاجأة طفيفة، فقد كنت سأجد الأمر أكثر منطقية لو أنني شعرت بلمسة أكثر برودة بسبب مطر حزيران ذاك، أو إن أنا أغلقت أصابعي على لون ضبابي لأزهار الكرز عوضاً عن كتفها.

على أي حال، كانت فعلاً موجودة هنا، تنبعث منها رائحة شذية، وقلبي كان يخفق بشدة.

تقدّم يوجي، هو الآخر، تدريجياً من "ميو" مادّاً نحوها يداً صغيرة أغلقها بحرص على حافة سترتها. رسمت ابتسامة على وجهها، لكن وجنتيها تجمّدتا، فلم يبق سوى تعبير واحد معلّق.

ماذا كان يعني هذا؟ شعورها الغريب بعدم الارتياح...

استولى عليّ القلق، حاولت مناداتها باسمها:

- "ميو؟

تأمّلتني، فاتحة بشكل خفيف شفتيها الناعمتين، تاركة قاطعيها المزدوجين يظهران.

Twitter: @ketab_n

- "ميو"...؟ همستُ. هل هذا اسمي؟

كان هذا بالفعل صوتها، واضحاً وحاداً، مرتعشاً بشكل طفيف عند نهاية الكلمات، ومألوفاً جداً. أمام تأثير هذا الصوت الحنون، شعرت في البداية برغبة متعاظمة في البكاء، لكن معاني كلماتها فاجأتني، وحجبت دموعي.

- ما معنى " هل هذا اسمي"؟ ألا تتذكرينه؟
- هممم؟ قال يوجي.
- يبدو الأمر هكذا . أجابت "ميو".
- آه صحيح؟ قال يوجي.
- في الواقع أنا لا أذكر شيئاً على الإطلاق...

حرّكت يدي في كل الاتجاهات، دون معنى وتابعت قائلاً: لا شيء على الإطلاق؟

- يبدو لي ذلك.

رسمت على شفتيها ابتسامة مليئة بسخرية ذاتية، كمن شعر بخيبة أمل نتيجة خسارته في اليانصيب.

- "إذن؟ سألتُ. من تكونان؟
- ماذا يعني "من نكون "؟ اعترضت قائلاً، ودوماً غير راضٍ بشكل تام. أنا زوجك، ويوجي يكون ابنك.
- نعم ابنك، أكّد يوجي قائلاً.
- هذا غير ممكن.
- أجل هذا هو الأمر. أجبت قائلاً.

Twitter: @ketab_n

- بالتأكيد، هذا صحيح، أكّد يوجي مرّة أخرى.

رفعت "ميو" أمام وجهينا باطن يدها كمن يريد إيقاف كلماتنا، بينما كانت تمسك رأسها باليد الأخرى.

" عندما رأيتكما، كنتما بالفعل هناك؟"

بعينيها المغلقتين، وهيئتها الجادّة، راحت تلملم ذكرياتها.

"كان ذلك منذ متى، منذ عشر دقائق؟ مذ ذاك الوقت، وأنا أراجع أفكاري، وأشعر بعدم قدرتي على تذكر أي شيء كان. أين أنا، وما الذي أفعله هنا، والأدهى من ذلك من أكون، جالسة هنا أحفر في رأسي؟

عند سماعي هذه الكلمات، بدأت أفكر. إذن، في هذه الحالة، هي نزلت في هذا المكان منذ عشر دقائق خلت، ويبدو وكأنها في هذه اللحظة بعينها، تركت ذكرياتها على كوكب الأرشيف، بطريقة ما أو بأخرى.

ربما هذا يعني أنها قد نسيت حتى أنها شبح.

بعبارة أخرى... ماذا تعني هذه القصّة إذن؟

" هل أتيت إلى هنا معكما؟"

- بالفعل، قلت لها، مبتسماً، ومندهشاً من سرعة قراري.
- هاه؟... بادر يوجي القول.

أمسكتُ برقبته الصغيرة فصمت.

Twitter: @ketab_n

- لقد أتينا معاً، نحن الثلاثة. إنها نزهتنا يوم الأحد.

"حقاً؟ "

- نعم، وافقت قائلاً. ثم أنا ويوجي ذهبنا لنجري في الغابة وتركناك هنا. وعندما عدنا، رأيناك على هذه الحال. لا بد وأنك صدمت رأسك سهواً في مكان ما وأنت تتلفتين.

" هذا يعني أن هذه الصدمة كانت كافية لجعلي أفقد ذاكرتي؟

- يبدو ذلك، نعم.
- حقاً؟ سأل يوجي.

أحكمت قبضتي على رقبته، فبقي صامتاً.

- على كل حال، دعونا نذهب إلى البيت. سوف تعود إليك ذاكرتك، هذا مؤكّد.

"أتعتقد ذلك؟"

- بل أنا متأكد من ذلك.

كانت ثيابها ملتصقة على فخذيها، نهضتْ ببطء، تاركة الماء يقطر من أطراف ثوبها.

- هيا، لنسرع في العودة، سوف تصابين بالبرد.

"هذا صحيح."

ستكون سعيدة أكثر إن هي لم تعرف شيئاً. من غير المجدي إخبارها بذكريات مؤلمة.

Twitter: @ketab_n

بعدها ، بدأت أتذكر قولاً كانت قد كرّرته أمامي عدّة مرّات:" سوف أعود مع فصل المطر" . في ذاك الوقت، كانت تلك هي آخر كلماتها.

هذا ما قالته.

" حقيقة، سوف أزورك بصحبة المطر كي أتأكد أنكما تتدبّران أمركما بشكل جيد، أنت تعرف تمام المعرفة بأن الحرارة لا تلائمني"

إن كانت قد نسيت من أين جاءت، فلربما تنسى بالمقابل أن تعود إلى كوكب الأرشيف. عندئذ، نستطيع أن نعيش معاً، وإلى الأبد، يوجي، وأنا، و"ميو". نحن الثلاثة للأبد. فمسألة أن تكون زوجتي طيفاً لا يشكّل بحق أي مشكلة بالنسبة لي، إن أمكننا العيش معاً نحن الثلاثة.

تقدّم يوجي وميو جنباً إلى جنب على طول حافة الدرب الحراجي، بينما كنت أتبعهما، دافعاً بالعجلة ورائي. في البداية كان يوجي متوتراً لدرجة بدا معها أنه غير قادر على السكون. أخيراً، تمالك نفسه ومدّ يده نحو "ميو"، التي، بمجرّد أن لمحتها أمسكت بها. يوجي الذي استرخى، رفع عينيه نحوها، فوجّهت إليه ابتسامة رقيقة. في هذه اللحظة، لم يعد يوجي قادراً على التماسك أكثر من ذلك، فراح يبكي بكاءً حاراً. إنما لم يكن ذلك دونما سبب، بل لأنها كانت المرّة الأولى التي يمسك فيها بيد أمه منذ عام.

التفتت ونظرت نحوي كمن يريد أن يسأل " ما الذي يجري؟"

" لن تلبثي أن تفهمي ... شرحت لها، فيوجي بكّاء كبير".

Twitter: @ketab_n

بقولي ذلك، كنت قد هيأت مسبقاً شرحاً مناسباً إن صادف وبكى في وقت غير مناسب.

عدت للقول: هو فقط مشوّش، بفقدان ذاكرتك المفاجئ.

- حقاً؟ سأل يوجي وهو يشهق في البكاء.

تابعت دون أن أعيره اهتماماً:

- لا تحمّلي الأمر أكثر ما ينبغي، كوني ببساطة رقيقة معه، كما هي عادتك حتى اليوم.

أذعنت للأمر، كما لو كانت تقول "مفهوم"

ثم وضعتْ يدها على ظهر يوجي النحيف كي تحضنه بذراعها. عند شعوره بدفء أمه، ترك نفسه، اجتاحه بلادة ناعمة، كالسكران من دموعه. بمعاودة تفكيره بالأمر، عرف بأنه قد عاش سابقاً تجربة فقدان والدته، وبما أن لمّ جمع الشمل هذا كان مهدداً بأن يقود مرة أخرى إلى الوداع، فمن الواضح أننا سنجهّز أنفسنا للحزن مرة أخرى في وقت لاحق.

" قبل قدوم الصيف" هكذا أكّدت قائلة. إن كانت كلماتها صادقة، فليس أمامنا سوى القليل من الوقت.

(عند وصولنا إلى المنزل، كدت أفسد عليهما الأمر)

أمسكت بجزء من ثوب "ميو" وضغطت بوجهي على وركها، كما لو كنت أريد تقليد يوجي الذي كان يجهش في البكاء.

Twitter: @ketab_n

6

بمجرد وصولنا إلى المنزل، أخذت "ميو" إلى الغرفة الخلفية كي أشير لها عن محتويات كل جارور في الخزانة. كانت ثيابها لم تزل في مكانها، حتى بعد عام من وفاتها.

بدّلنا ثيابنا أنا ويوجي بسرعة في الغرفة الرئيسية قبل أن نغلق على أنفسنا المرحاض. كان هذا هو المكان الوحيد الذي اعتقدت أن بإمكاننا الكلام فيه دون أن تسمعنا "ميو".

كان يوجي جالساً على كرسي المرحاض، بينما كنت أنا أستند إلى الباب، أمامه.

- هل فهمت؟ سألته بصوت منخفض. ماما لا تتذكّر شيئاً.
- حقاً؟
- همم. حتى ولا حياتها معك، ولا كل ما حدث قبل زواجنا.

تنحنحت بحذر، وتابعت: ثم.. هي لم تعد تذكر أيضاً أنها مرضت، وأنها غادرت عالمنا منذ عام.

- همم.
- لهذا فأنا أعتقد أن من الأفضل الاحتفاظ بكل ذلك كسرّ.

Twitter: @ketab_n

- كل ذلك، ماذا؟

- ماذا تعني "ماذا" ؟ كم مرة قلت لك، بأن تجعل والدتك تعتقد بأنها لم تغادر على الإطلاق، وأنها كانت ولم تزل تعيش بيننا في هذه الشقة.

- حتى الأمس؟

- صحيح.

- وحتى ما قبل الأمس.

- تماماً.

- وإذا ما طرحت ماما عليّ سؤالاً، ماذا أقول لها؟

- في أي موضوع.

- لا يهم.

- كل شيء سيكون بخير.

- لا أعرف إن كنت سأنجح في هذا الأمر.

- في هذه الحالة ليس عليك إلا أن تبكي أو تهرّج، وسوف تكون الأمور على ما يرام إن أنت بكيت بقوّة.

- حقاً؟

- همم، بما أنها قد أسعدتنا بعودتها إلينا، أعتقد أنه من الأفضل ألا تعرف كم كان محزنٌ انفصالها عنّا.

- أنا موافق.

- أليس كذلك؟ ثم إن هي عرفت الحقيقة فقد تكون مُلزمة على العودة إلى كوكب الأرشيف.

- آه، لا!

- إذن، ابذل قصارى جهدك.

Twitter: @ketab_n

- همم، سأحاول.

ضربنا كفاً بكف دلالة على التشجيع والاتفاق، ثم فتحت الباب كي أخرج.

كانت "ميو" تقف أمامنا مواجهة. تفاجأتُ كثيراً، لكنني لم أدع ذلك يبدو عليّ.

لهذا، كان من البديهي بالطبع أن أبدو عدم استغرابي، بينما كنت أنا على العكس من ذلك تماماً.

- هل سمعت حديثنا؟ راقبت تعابير وجهها وأنا أقول ذلك.
- إذن هكذا يذهب الرجال معاً إلى المرحاض في هذا المنزل.

لقد نجوّنا على ما يبدو،

- حسناً، نعم... همم، أ حياناً. هذا يحدث معنا عندما نكون مستعجلين. مثل الآن.

بدت هيئتها خائفة قليلاً، وهي تشير بأصبعها إلى وسط الغرفة : لكن، ما هذا؟

- ما قصدك "ما هذا"؟
- لماذا هناك الكثير من الأشياء المبعثرة؟
- "مبعثرة"؟

في نظري كان كل شيء في مكانه، من الناحية العملية. فالملابس التي كان من المتوقع ارتداؤها في المنزل هذا اليوم كانت مكوّمة في الزاوية الشرقية للغرفة. في الجانب الآخر وُضعت الثياب المغسولة

Twitter: @ketab_n

فوق بعضها والثياب القذرة كانت مجمّعة في الركن الجنوبي كي لا تختلط مع الثياب الأخرى، بينما المجلات المصوّرة والكتب التي لم يكن لها مكان على الرفوف كانت كلها مرتّبة ضمن أكياس بلاستيكية خاصة بالمراكز التجارية، ومصنّفة بحسب الكاتب.

ربما فوّتُ يوم جمع القمامة للتخلص من كيسين كانا موجودين قرب النافذة. مع ذلك، لا أستطيع القول أن أشياءنا كانت "مبعثرة"، كل شيء كان في مكانه، تابع لنظام مضبوط تماماً.

- من المؤكد أن هناك كميّة لا بأس بها من الأشياء المرمية على الأرض... قلت. لكن بالرغم من ذلك، فهي مرتّبة منطقياً كلٌ بحسب استعماله.

- هل أنا من قام بالترتيب بهذه الطريقة؟
- آه... قلت، قبل أن أضيف: لا.

بمعنى آخر. هذا ما يحصل، عندما نكذب دون أن نكون معتادين على الكذب، فسوف تُكشف العيوب بسرعة.

عادت لتقول : كل هذا .. أهذا أنا من وضعهم هنا ؟

أخذت بعض الوقت بحك رأسي وبنحنحة حنجرتي، وأنا أردد " أوه.." أو "إيه". قبل أن أستطرد وأقول:

" في الحقيقة، هذا ما حصل. أنت لم تكوني بصحة جيدة في الآونة الأخيرة، لهذا لم تستطيعي الاعتناء بالمنزل كما يجب.

- حقاً ؟
- نعم، كنت طريحة الفراش منذ ما يقارب الأسبوع.

Twitter: @ketab_n

- لهذا لم أستطع أن أقوم بالغسيل، ولهذا أيضاً أنتما ترتديان ثياباً متسخة؟

نظرت إلى قميصي وسألتها باستغراب : هل هو متسخ؟

- على أي حال، أنا لا أسمّي هذا نظيفاً. منذ متى وأنت تلبسه؟
- فقط منذ ثلاثة أيام...
- ربما لن يصبح على هذه الحالة إن أنت أكلت بطريقة نظيفة أكثر.

بعد ذلك أشارت بإصبعها نحو جبل الثياب النظيفة: القمصان كلها ستتجعّد إن أنت لم تنفضها بشكل جيد قبل نشرها.

- أنفضها! كيف؟

حركت "ميو" رأسها ويديها كمن يريد القول : على هذه الشاكلة.

- لكن بما أني كنت مريضة منذ أسبوع، فكيف حدث إذن أن ذهبت للنزهة اليوم؟
- فترة نقاهة.
- آه، صحيح؟
- دون شك، إنها عادة عندنا، وقد قلت أنك سوف تذهبين مهما كلّف الأمر.
- هل قلت هذا؟
- يجب أن تصدقي ذلك.

Twitter: @ketab_n

أطلقت "ميو" تنهيدة " أنا..."

قرّبت وجهها من وجهي، وهي تشير بيدها على صدري: هل أنا حقاً زوجتك؟

- نعم، حقاً. ليس "ربما قد" أو " من المحتمل" إنما حقاً، حقاً"

بدت تعابير وجهها تعبّر عن شكوك جديّة حيال نفسها وسألت: لماذا أردت الارتباط برجل على هذه الشاكلة؟

- على كل حال هذا ما حصل تماماً.

كان من الأفضل لي أن أسكت. فقد بدا عليها عدم الاقتناع أكثر فأكثر. هل كان عدم اقتناعها نابع من طرفي أم من طرفها؟ لم أكن أعلم شيئاً.

- ماذا يمكن أن يكون اسم عائلتنا؟
- آيو.
- إذن أنا أدعى " ميو آيو"؟
- أجل، اسمك يُكتب مع مفتاح عنصر الماء.
- ميو آيو[16]...
- نعم.
- كم أبلغ من العمر؟
- تسعةٌ وعشرين عاماً، مثلي.
- تسعةٌ وعشرون.

---

[16] تكتب آيو مع خصائص " أي / أكي (ai/aki)" وتحوي عنصر النار. و " هو/ سوي ho/sui مع خصائص عنصر الماء. مما يجعل التقارب بين العنصرين مضحكاً بعض الشيء.

Twitter: @ketab_n

مع ذلك فقد كانت الستارة قد أسدلت عليها للمرّة الأخيرة وهي بعمر الثامنة والعشرين. سن التاسعة والعشرين كان يمثّل مستقبلاً لم تكن قادرة هي على امتلاكه. وهذا لم يمنع تلك المرأة الواقفة أمامي من أن تبدو أكثر شباباً.

حقاً شابّة.

تخيّل " فونجيت"[17] أن الأشخاص الذين يعبرون إلى العالم الآخر يمكنهم أن يختاروا عمرهم بحس رغبتهم. ففي روايته " طريد المشنقة" كان والده يبدو في الجنة بعمر 9 سنوات وكان يُستخدم بشكل دائم ككبش فداء لتخفيف آلام الأطفال الآخرين. كان معذبوه ينزلون بنطاله، وينزعون عنه سرواله الداخلي ويرموه في فم جهنّم الذي كان يشبه بئراً. ومن أعماق البئر كانت تسمع صرخات هتلر ونيرون وسالومي وآخرين على شاكلتهم.

وصف "فونجيت" المشهد كالتالي: "كنت أتصوّر نفسي هتلر الذي كان لعابه يسيل بشكل دائم، وهو يحاول إيجاد نفسه مع سراويل أبي فوق رأسه"

قلت لنفسي أخيراً أنه لمن حسن الحظ أن زوجتي لم تكن قد عادت إلى عمر التسع سنوات.

- كم يبلغ عمر "يوجي- كون"؟ سألت.
- هاه؟ خرج صوته قائلاً من المرحاض
- ست سنوات، أجبتها، هو في الصف الأول من المرحلة الابتدائية.

---

[17] كورت فونجيت: كاتب اميركي مشهور.

Twitter: @ketab_n

كان من الغريـب جـداً سـماعها تزيـد عـلى اسـم "يـوجي" لاحقـة "كون" كما لو أنها كانت قريبة، وليست زوجتي، بل كابنة عمّة كنـت أعرفها منذ زمن.

- على هذه الحال، فأنا ربّة منـزل في سـن التاسـعة والعشرـين، ولي ابن في السادسة من العمر".

- ها أنت قد فهمتِ كل شيء.

- مع ذلك فليس هذا هو الشعور الذي يراودني تماماً ...

- أرى ذلك

- إذن، كنت أحبك؟ لدرجة رغبت فيها بالزواج منك؟

هنا كان يكمن اللغز الكبير، ألا وهو القدرة على قراءة تعابير وجهها.

- ربما سيبدو لك ذلك غير معقول لكن... في الواقع هذا ما حصل.

من جهة أخرى بدأت أنا الآخر أفقـد الثقـة. لمـاذا اختـارت شخصـاً مثلي لتتزوّجه؟ لم يكن يشكّل هذا سراً إلا بالنسبة إليها.

- كيف تعارفنا؟

- في المدرسـة الثانويـة. التقينـا ونحـن في ربيـع عمرنـا الخامس عشر.

- إذاً كنا أصدقاء في الصف؟

- نعم. بقينا في القسم ذاته لمدة ثلاث سنوات.

ظهرت ابتسامة لطيفة على وجهها، وقالت:

- إن سمحت.... هل يمكنك أن تحكي لي عن تلك الفترة.

Twitter: @ketab_n

- بالتأكيد.

وجّهت نحوها ابتسامة (هي من أجمل الابتسامات التي كنت أملكها) ومن ثم بدأت أحكي لها حكاية لقائنا السعيدة، في تلك الأزمنة القديمة، زمن البراءة في الأساطير والحكايات.

- حسناً، عندما التقينا...

عندئذٍ، جاء صوت سحب مضخة مياه المرحاض، وخرج "يوجي" منه وهو يتنهد قائلاً :

- آآه.. هذا أفضل!

ظاهرياً... كان قد استفاد من المناسبة كي يتخلّص من حاجة أساسية.

نظرت ميو إلى "يوجي" وهو يضع يديه الرطبتين على صدره وسألتني: وقميص صغيري الشاب؟ كم يوماً مضى عليه وهو يلبسه؟

- أعتقد أربعة أيام...

في الواقع كانت خمسة.

- حقاً؟
- أعتقد ذلك.
- يجب بذل المزيد من الانتباه أثناء تناول الطعام...
- هذا فقط، أقسم لك...
- أنت أيضاً.
- آه؟ حسناً...

Twitter: @ketab_n

وهكذا في المساء أخذنا أنا و "يوجي" ننتبه أثناء تناول الطعام.

كانت الوجبة تتألف من سباغيتي بولونيز كنت قد جهّزتها بسرعة، لكن لم ندع، لا أنا ولا هو، أي فتات من اللحم يقع على الطاولة، وبالطبع، فقد بقي قميصانا نظيفين.

هذا رائع.

أكلت "ميو" السباغيتي كما لو أنها معتادة على الأمر. بعد ذلك ذهبت إلى الحمام. هذا التصرف لا يبدو أبداً نموذجياً لشبح. لكن بما أنه لم يبدُ عليها أيّ انزعاج، فلربما كان ذلك طبيعياً.

بعد تناول الطعام، قالت " ميو" إنها متعبة، وذهبت إلى الغرفة الخلفية كي تخرج " فوتوناً"[18] لتستلقي عليه. شعرت أنها ضائعة قليلاً، فالارتباك يعطي المرء شكلاً متعباً.

أسرع يوجي ببسط فوتونه بالقرب منها كي يحضنها، و"مومو" مضمومة إلى صدره. على كل حال كان يكفيه أن يكون قربها كي يشعر بالسعادة.

يبدو للناظر من الغرفة التي كنت فيها، أني كنت أبدو كمن يقرأ كتابه وهو يتحقق بين وقت وآخر من حالة "ميو"، وعندما يتأكد أخيراً من أنها لم تزل موجودة، يُطلق من بين شفتيه الناعمتين زفرة ارتياح وغبطة.

خلعت سترتي التي كنت أرتديها، ووضعتها في الغسالة مع قميص "يوجي".

---

[18] الفوتون: فراش ياباني

Twitter: @ketab_n

بالرغم من أن الأمر لم يكن ليزعجني على الإطلاق، لكن بدا، ظاهرياً، أنه من غير المناسب ارتداء ثياب ملطخة بالصودا والصلصة. لم يكن أحد قد لفت نظري للأمر. على زمن "ميو"، كانت الثياب تظهر أمام نظري، نظيفة بانتظام ومطوّية بشكل جيد، دون أن أفكر أو أقلق لهذا الأمر.

منذ أن أصبحت وحيداً مع "يوجي" حاولت أن أبذل قصارى جهدي، إنما هذا لم يكن على يبدو كافياً ليعوّض حتى ولا خمسة أعشار من متطلبات العيش.

في مكان ما، في هذا الكون الفسيح، لا بدّ وأن هناك أسراً أحادية الوالد، ومثالية تماماً، حيث الأب وابنه يرتديان ثياباً نظيفة، من غير بقع أو طيّات، ويعيشان في غرفة ليس فيها ولا ذرّة غبار، مشابهة للغرف المعقمة لمصنع المعالج الميكروبي، ويأخذان سيارتهما يوم الأحد للذهاب إلى أحد عروض الضاحية ليشاهدا عرضاً من أفلام ديزني، وهما يلتهمان البوشار.

مشهد رائع.

توقفت منذ زمن عن الحلم بالمستحيل أو بما هو غير واقعي. فأنا لا أمثل غير بقايا إنسان طبيعي تمّ تجريده من كل أنواع العناصر. لهذا، سوف لن أصلح بالتأكيد في تربية ابني كطفل ينحدر من عائلة طبيعية.

ومع ذلك فأنا أبذل قصارى جهدي كي أنتبه لما يجب الانتباه إليه، ولا أنسى ما يجبُ عليّ تذكّره، ولا أترك نفسي تستسلم للتعب والنوم

Twitter: @ketab_n

قبل أن أكمل ما يجب على القيام به. على أي حال، أنا أحاول بذل جهد للتأقلم، شيئاً فشيئاً.

كيف كانت ميو ترى هذا الرجل الذي أنا عليه؟

كنت أعرف أنها أرادت العودة إلى هذا الكوكب كي ترى كيف كنا نتدبّر أمرنا، "يوجي" وأنا. هذا إن تذكرت، كيف ستعبّر عن انطباعاتها.

هل كانت ستتأوّه قبل أن تقول: كنت أكيدة من ذلك.

أبداً لن تقول:" أوه، لكن هذا كل ما بذلت جهدك لتقديمه، أليس كذلك؟

بعد الساعة العاشرة تقريباً، أخذت حماماً، وارتديت منامتي. بما أني كنت أستيقظ عدّة مرات في الليل، فأنا إن لم أنم بشكل جيد، فسيبدو لي اليوم التالي قاسياً.

بالنسبة لي، النوم يعني أن أكون حارس الليل، وأقوم بدورية لا نهائية ضمن مبنى ضخم للمكاتب، في بناء مؤلف من آلاف الحجرات، وعندما أجد ضوءاً يتسرّب من إحداها، أفتح الباب كي أدخل . في الغرفة كان هناك تلفاز قديم، أجلس على المقعد كي أقضي وقتي في متابعة أحلام تشبه أحداث أحد الحلقات من مسلسل. لكن كان شخص ملعون مجهول يحضر لا محالة ويقطع بث التلفاز.

كليك.

أنهض واهناً، وأغادر الغرفة التي تصبح معتمة، وأبدأ بالبحث عن الحلم الثاني. وهكذا يمضي الليل.

Twitter: @ketab_n

كليك. كليك... كليك..

هذا مضنٍ.

ناديت على "ميو" من الغرفة المجاورة.

- كيف تشعرين الآن؟

تأمّلتْ "يوجي" بذهول، قبل أن ترفع عينيها ببطء، لكن دون أن تستطيع الوصول إلى وجهي. كانت نظراتها تتهادى في الفراغ، ما بين يوجي وبيني.

- رأسي يؤلمني.

- هل لديكِ حرارة ؟ ربما أصبتِ بالبرد، لكثرة ما بقيتِ مبللة تحت المطر.

أبدت رأيها بطريقة ليست واضحة ولا غامضة وقالت: لست متأكدة من ذلك..

- هل يزعجك إن دخلت؟

رأيت أنه من غير اللائق الذهاب لأراها وأنا في منامتي، لسبب بسيط وطبيعي وهو أني لم أشكل بالنسبة لـ "ميو" من ناحية الأمور العاطفية إلا شكلاً من أشكال لقاء جديد. ومن ثم، أنا أيضاً، كنت أشعر بالخجل قليلاً، بعد عام من الابتعاد.

- تفضّل، فهذه غرفتك على أية حال.

مشيت حتى وسادتها، ركعت، ووضعت يدي على جبهتها. بدا لي أنها تعاني من حرارة خفيفة جداً. هل تصاب الأشباح بنزلة برد؟

Twitter: @ketab_n

- يبدو أن لديك حرارة. لكنها خفيفة جداً.
- سوف تذهب، ستنخفض وأنا نائمة.
- حقاً؟
- نعم. لدي شعور بذلك.

خلق هذا لدي شعوراً من أغرب المشاعر. ملامسة يدي لجبهتها، دفؤها، رائحتها. مقطع من حديث تافه ربما كنا قد تبادلناه في السابق.

كان لدي الإحساس أن موتها، قبل عام، لم يكن إلا كذبة؟ وبالمصادفة، أنا على وشك الاستيقاظ من حلم يُصلح لفيلم هوليودي حيث تكون فيه البطلة مريضة مرضاً خطيراً.

مع ذلك، فقد كانت كلماتها تقول العكس.

- إنه حبّوب. يوجي -كون.

جعلني هذا حزيناً، فعدت لأجيبها بلهجة جافة: أنت أمّه.

- أفترض ذلك. سأودّ لو استطعت أن أتذكر بسرعة، ولكن..
- هذا لا يهم.
- أجل.

ماذا لو... قلت في نفسي، ماذا لو كانت قد تركت ذاكرتها خلفها وهي تغادر هذا الكوكب؟ سوف تبقى ذكرياتها هنا، في هذه الغرفة. في هذه الحالة، سوف يسبب لها هذا دون شك المصاعب في كوكب الأرشيف. لأنه، وبعد كل شيء، فسكّان ذلك النجم يتوجب عليهم

Twitter: @ketab_n

كتابة كتبٍ لأجل " شخص ما". فالأشخاص المحرومون من الذكريات لا يستطيعون كتابة شيء آخر غير فراغ غياب الذكريات. وهذا ما لا يمكن تسميته بالموضوع الشيق.

علينا أن نمدّها بكمّية من الذكريات بحيث يكون باستطاعتها أخذها معها عندما سيأتي الوقت كي تعود مرّة أخرى إلى ذلك الكوكب. يجب العمل بشكل نجعلها تكتب كتاباً عنّا، يوجي وأنا.

كي يستطيع " أحد ما" أن يقرأه.

كان يوجي غافياً وهو يحضن "مومو". فمه الصغير نصف مفتوح، وأجفانه الدقيقة ذات العروق الزرقاء مغلقة، كان ينام بعمق. كنت أسمع صوت أنفاسه وهي تحمل صفيراً من أنفه.

لابد وأن الأمير السعيد كان يحلم أحلاماً سعيدة.

أخذت "مومو" من بين يديه بهدوء. ووضعتها في العلبة الملونة التي كانت بمثابة مكتبة لها.

- تصبحين على خير. قلت لميو وأنا بالقرب منها.
- تصبح على خير... لكن أنت، أين ستذهب لتنام؟
- سوف أمدّ فراشاً في الركن الآخر من الغرفة.

حرّكت "ميو" رأسها ببطء وقالت:

- نم هنا مع يوجي، أليس هذا ما نفعله كل مساء؟ نستلقي نحن الثلاثة...
- نعم، ولكن...

Twitter: @ketab_n

لم يكن هذا صحيحاً بما أننا كنا منذ فترة اثنان فقط، أنا ويوجي، ننام الواحد قرب الآخر.

- ألا يزعجك هذا؟ ففي النهاية، أنا لست سوى شخصٍ مجهولٍ قابلته للتو...

- لا بأس. لدي شعور أن ذاكرتي سوف تعود بشكل أسرع إن نحن استعدنا معاً عاداتنا القديمة، بطبيعة الحال.

قد يحدث لنا أن ننسى للأبد ذكريات لا تُنسى وذلك بفقداننا لهذه الحياة.

أحرقت كلماتي تلك شفتيّ، لكني ابتلعتها.

- هيّا، ليلة سعيدة.

مددت فراشي بشكل موازٍ لفراش ميو، واستلقيت قربها، وكان يوجي بيننا نحن الاثنان . شددتّ حبل المصباح كي أطفئ النور الفلوري، تاركاً فقط مصباح الليل البرتقالي اللون. كان يصادف أن يستيقظ يوجي أحياناً وينهض كي يذهب إلى الحمام في الليل، كما أني لم أكن أجعل الغرفة تغرق كلياً في العتمة.

كنت متوتراً لسبب غير معروف.

لم يكن لدى ميو شبه طيفٍ، وكان قلبي لم يزل يغني بصوت عالٍ في صدري. هوو هو هو... يوو هو يو...! شكلاً جريئاً من هذا النوع.

- قل لي..
- نعم؟
- بالنسبة لحديثنا منذ قليل " همست قائلة كما لو أنها تطلب المزيد.

Twitter: @ketab_n

أيقظ هذا الصوت شيئاً ما في داخلي، ما لبث أن انتشر في صدري، متدفقاً من أسفل رقبتي، صاعداً إلى أسفل أنفي، وإلى داخل جفني، فانتابتني رغبة في البكاء.

"حسناً، أجبتها. سوف أتابع حكايتي"

عندما التقينا، كنا نحن الاثنين في الخامسة عشرة من العمر، وكان العالم بالنسبة لنا يُختصر في مفهوم الأمس، اليوم، وغداً. هل تفهمين؟ في هذا العمر، لم نكن نلتفت إلى الماضي، وليس لنا أدنى اهتمام بالمستقبل إلى أبعد من يوم الغد.

كنت فتاة ضعيفة البنية بشكل مخيف. أو بالأصح فتاة مخنثة تشبه الصبي، كدنا نقول بأنك روح ملعقة من القهوة على هيئة فتاة شابة. كان شعرك قصيراً للغاية، دون شك أقصر من أي شخص آخر موجود في الصف (بما في ذلك الصبيان) ثم كنت تضعين نظّارة ذات إطار فضي اللون، وكان هذا يعني بالنسبة لفتاة من هذا العمر: " أن لا علاقة لي على الإطلاق مع الصبيان، دعوني بسلام."

أتذكّر أنه كان هناك ثلاث فتيات من هذا النوع بين الطلاب، ولكن أغلبية الفتيات لم يكن يضعن نظارة في الصف مهما كان نظرهّن ضعيفاً. كنّ يضعن عدسات لاصقة، أو يبذلن جهداً للتغاضي عن الأمر عندما كنّ يشعرن بالضيق لعدم الرؤية بوضوح. يعني شيئاً من هذا القبيل.

تعود تلك القصة إلى خمسة عشر عاماً خلت. في زمن لم تكن فيه المواصلات متوفرة كما الآن، والذي فيه كانت الشابات اللواتي يتبعن العصر، لا يضعن النظارات.

Twitter: @ketab_n

لهذا، بمعنى آخر، كنت تلفتين الأنظار حقاً. كنت مختلفة بشكل واضح عن بقية الفتيات. كان لديك رأس أصغر بمرّتين من حجم رؤوس أصدقائنا في الصف، بدت قواطعك المزدوجة بقياس غير متناسق وسط وجهك الصغير، ومن هنا، فقد تركت أثراً أكثر حيوية من أي شخص آخر.

أما أنا، فقد كنتُ صبياً بسيطاً نوعاً ما، مأخوذاً بكل ما وُجد أمام بصره، وقد تلقيت إشاراتك تلك التي أرسلتها، وقبلت بها.

بالطبع، لم أمدّ يدي عليك على الإطلاق. ولو أني لم أكن بالمقابل قد لمست أي فتاة أخرى على أي حال. مع ذلك يجب الاعتراف بأني لاحظت تماماً جاذبيتك.

الأهم من ذلك كله، هو أنك كنت رزينة، وهذه الصفة لا تُعتبر بشكل عام مغرية، لكني كنت أحب الأشخاص الجدّيين، كنت أعتقد أن ذلك يشكل إحدى أكبر الفضائل، فقد كانت ترتبط عندي بالثقة، والثقة هي أكبر المكونات الرئيسية للحب الجدّي. لهذا، في الحقيقة، يدرك الأشخاص الرزينون ما لا يدركه الأشخاص الحسيّون فيما يخصّ الحب. أعرف ذلك لأني كنت أنا أيضاً شخصاً رصيناً.

ثم، حتى ولو أني لم أكن أدرك ذلك، فقد كان لديك من الحساسية، والظرف، والحصافة الشيء الكثير. كان يوجد خلف النظارة فتاة مرهفة الحس، تمدّ يدها نحوي بانتظار الحب الحقيقي.

وكي يكتمل كل شيء، كنت من الناحية الجمالية، فعلاً جميلة جداً. والحق يُقال أن الخط الذي كان يثب من ضفيرتك ومن رقبتك وصولاً

Twitter: @ketab_n

إلى فكك»، كان مميّزاً. وإن تحدثنا عن الفراسة العقلية، لقلنا أنك كنت فعلاً رائعة. لهذا، دون شك، كانوا يختارونك مراراً كموضوع لتصوير فوتوغرافي، وأحياناً كنموذجٍ لرسم أو نحت. غالباً ما كنت أستخدم شكلك كنموذج للرسومات الصغيرة التي كنت أخربشها في كتيّباتي. مهما يكن من أمر. كانت تلك هي الفتاة التي قابلتها وأنا في ربيعي الخامس عشر.

من الذي كان يجلس وراءك في الصفّ ذاته، في المجموعة ذاتها، هو أنا. خلال الثلاث سنوات التي تلت، كان يُعاد ترتيب المجموعة كل عام ، لكننا بقينا دوماً في الصفّ نفسه والمجموعة ذاتها. أنا على يمينك تماماً، أو على يسارك أو جالساً خلفك. وبالتالي فقد بقينا وقتاً طويلاً معاً، وبشكل يومي، محافظين على التحرّك ضمن دائرة صغيرة قطرها متران.

في هذه السن إذن، ونحن في عزّ نشاطنا الجنسي، كنا نرسل عناصر كيميائية من حولنا، حاملة رسائل تدل على أننا كنا قيد البحث عن شريك، والذي معه كنا نتخيّل ذريّة لنا.

كان الأشخاص الذين يتلقّون هذه الإشارات، إن عرفوا أم لم يعرفوا، يأخذون بدورهم بإرسال هرمونات كردّ على الرسائل. كانت تلك هي الكلمات الرقيقة التي كنا نتبادلها دون انتباهنا، ونحن سجناء ضمن دائرتنا التي لم يتعدّ قطرها المترين. كنا نتبادل هذه العناصر نفسها بتواتر أعلى من أي كان، كنا نتحادث عبر تلك الوسيلة المتواضعة من الاتصال، ونحن ننسخ الجمل عن السبّورة بقلم الرّصاص، أو نصغي إلى الأستاذ وهو يتكلّم، باذلاً جهداً كي لا ينام.

Twitter: @ketab_n

(هل هناك من أحد؟ كنّا نبحث عن شريك الحب) هذا النشاط الداخلي الحميم كان يجري دون علمنا.

أنت، بنظارتك ذات الإطار المعدني، وهيئتك الشبيهة بروح ملعقة قهوة، البعيدة عن الحب، كنت تلعبين دور اللامبالي. لم يكن هناك أي علاقة بين شعرك القصير جدا، وبين تنورة اللباس الموحد التي تصل حتى ركبتيك، أو بين أقراطك، وقلادتك، أو حتى بلسم شفتيك. أثناء الدرس ، بينما كنت تكتبين ملاحظات مذيّلة، كان نظرك نادراً ما يهرب عن المربع الذي تشكّله السبّورة السوداء، أو عن الأستاذ، أو عن كتابك ودفترك.

كنت تلميذة مثالية، بكل ما للكلمة من معنى .

رائع.

الحقيقة أنك لم تكوني أبداً، بالرغم من ذلك، على قائمة المتفوّقين، وهذا ما كان يعطي الفرصة لبعض الانتقادات الظريفة. لم تكوني عبقرية، ولا حتى معجزة، كنت فقط فتاة متكبّرة ورزينة. كنت شخصاً شريفاً، والذي غالباً، لم يكن يتوصل لالتقاط ما هو جوهري. كان كثيراً ما يحدث أن تكون نتيجة الزملاء من حولك-هؤلاء الذين كنت تعيريهم ملاحظاتك ومخطوطاتك الدراسية عن طيب خاطر- أفضل من نتائجك. كانت ملاحظاتك مكتوبة بوضوح، سهلة القراءة، ومرتّبة. أنا الآخر كنت أستفيد منها.

إن كنتُ قد حصلت على نتيجة جيدة، بالرغم من هروبي غالباً من غرفة الصف أو حضوري دون كتب، فذلك كان يعود لملاحظاتك

Twitter: @ketab_n

العجيبة. على أي حال، لم يكن صعباً على الإطلاق، لكائن من يكون، أن ينجح بعد قراءة ملاحظاتك. فمن يقرؤها مع القليل من النباهة، يستطيع معرفة ما يريد أن يقوله الأستاذ. بالرغم من ذلك، أنت لم تكوني بارعة، ولم تتوصّلي تماماً من أخذ الفائدة نفسها من ملاحظاتك مثلما فعل الآخرون. كنت تختارين دوماً طريق التقدم الثابت، حتى ولو كان هذا يأخذ منك المزيد من الوقت.

انتهى الأمر بميو أن نامت.

صَمَتُّ، وتأمّلت وجهها الناعم العائم في نور برتقالي. كانت ترتعش قليلاً على وتيرة تنفسها.

كانت تتنفس، بدت حيّة تماماً.

فجأة، عادت ذكريات أيامها الأخيرة لتُبعث من جديد، واجتاح الألم صدري. هل سأفقدها مرة أخرى؟

أريد البقاء إلى جانبها، إلى الأبد، من الآن وحتى الموت.

لا يهم إن كانت شبحاً. أو حتى إن كانت قد نسيتنا. يكفيني أن ترغب في البقاء قربنا.

همست لها: تصبحين على خير.

أجابني يوجي: حقاً؟

بالطبع. كان هذا في المنام.

Twitter: @ketab_n

7

عندما نهضت في صباح اليوم التالي، كانت مستيقظة تقف في المطبخ، مشغولة في تجهيز الإفطار.

- أنت بخير؟ كيف تشعرين الآن؟
- مازال رأسي يؤلمني قليلاً، لكني أفضل حالاً من الأمس.
- لا تجهدي نفسك كثيراً. سوف أجهّز أنا طعام الإفطار.
- حسناً. لكن الحركة القليلة، تلهيني عن حالتي.

غسلت وجهي، وفركت أسناني، وجلست إلى الطاولة.

- ومن ناحية الذاكرة؟
- لا شيء خاص. مثل الأمس.

وضعت طبقاً من كرات اللحم والبيض المخفوق على الطاولة.

- هذه وجبة " البنتو" نفسها...
- لا مشكلة في ذلك. نحن نقوم دوماً بهذا. لكن أنت تعلمين إذن أني آكل " البنتو" المصنوع في المنزل على الإفطار؟
- كانت العلبة موجودة على مصفاة التجفيف، هذا هو السبب.
- آه، أرى ذلك.

Twitter: @ketab_n

- حسناً، هل تأكل؟

- سوف أتناول الطعام مع يوجي عندما يستيقظ. نحن نفعل ذلك دوماً.

بدا كل شيء مألوفاً تقريباً. وأخذت أتوهم بأني بدأت البداية نفسها هذا اليوم، ككل يوم، منذ الأمس، مثل كل الأيام التي سبقته أيضاً، برفقة ميو. جففت يديها بفوطة وجلست في مواجهتي. كانت ترتدي بلوزة فضفاضة مزينة برسوم البازلاء وعليها شعار نادي الرشاقة حيث كانت تعمل سابقاً. كان هذا أيضاً لباسها في البيت، وشعرها الطويل مربوطٌ كذيل حصان، كالمعتاد. كان لديها شعر غزير، تجمعه وترفعه إلى الأعلى، بالقرب من أعلى جمجمتها. هنا أيضاً، كانت تتصرف كما كانت تفعل بالأمس.

- هذه التسريحة... كنت، أستفقدها.

عند هذه الكلمات بدت وكأنها تفكّر.

- إذن، أنت تقصد أن لي فترة لم أربط فيها شعري كذيل حصان؟

- آه، بادرت قائلاً قبل أن أضيف، كلا.

- يزعجني شعري أثناء الطبخ، لهذا ربطته، هذا كل ما في الأمر.

- أرى ذلك. هممم، إن أنت قلت هذا، فلابد وأن يكون الأمر هكذا.

لم أكن أجيد الكذب، لكن كانت بالأحرى مشكلة الذاكرة. فقد نسيت تماماً أني كنت على وشك أن أكذب عليها.

Twitter: @ketab_n

عند رؤيتها لارتباكي، اتخذت هيئة يشوبها الريبة.

- أهناك خطبٌ ما.
- ماذا؟
- أنت ؟
- آه، قلت قبل أن أضيف: هل تعتقدين ذلك؟ لا يوجد شيء... أنا على ما يرام تماماً.

تنّهدت كما لو كانت تريد أن تقول "حسناً، لا بأس" وتابعت قائلة: هنا أنا أقوم بالطبخ كل يوم أليس كذلك؟ لأجلك ولأجل يوجي.

كانت تتأمّل المطبخ الصغير الملطّخ بالشحوم، والمجلى الذي أكله الصدأ.

- نعم، بطريقة ما.

كانت جدران المطبخ الصغير ممتلئة ببقايا أول وآخر محاولاتي لقلي البطاطس. كنت قد نسيت بلا مبالاة أني قد وضعت الزيت على النار. انتهى الأمر بأن مدّت الدهون ألسنة النار بغذاء غير معقول. وأنا مذعور، ملأت سطلاً من الماء المتبقّي في حوض الاستحمام وسكبته على النار . من غير الضروري أن أشرح بأنها كانت غلطة رهيبة. فقد حدث انفجار هائل، ثم، وبمعجزة ما، انطفأ الحريق.

ضائعٌ وسط البطاطس المفحّمة، ومصاب بالتشنج من وراء صعقة الحادث، فاتني أن أفقد الوعي. كان قد مضى ثلاثة أشهر على تلك الحادثة.

- قل لي... سألت.

Twitter: @ketab_n

- ماذا؟
- بالأمس مساءً، عندما كنت تحكي لي حكايتك قبل النوم، لم تتوقّف عن تكرار كم كنت جديّة، أليس كذلك؟
- همم، في الحقيقة، كنت جديّة.
- لكن، هنا، في هذا المكان، يظهر بالأحرى أني شخص مهمل للغاية. يبدو المطبخ، وغرفة حمام، والمرحاض، وكأنها لم تُنظّف منذ زمن طويل، ثم كان هناك الكثير من الأطباق السريعة التجهيز في البراد...

ابتسمت لي ابتسامة بدت وكأنها على وشك البكاء.

- لا يبدو أن التلميذات المثاليات سوف يغدون في الغالب زوجات مثاليات.
- لا، ليس الأمر هكذا.

خرجت الكلمات مني بتسرّع.

نظرت في عينيّ وكأنها تنظر إلى شيء ما.

عدت لأبرّر الأمر: أؤكّد لك، ليس الأمر هكذا.

أظلمت عيناها فجأة.

كنت أفتقر على الدوام في إيجاد الكلمات المقنعة لأضمن موافقة من أتحاور معه.

في حالات كهذه، كانت الكلمات الأولى تخرج دوماً مني دون تفكير.

- أؤكّد لك، عدت لأكرر مرة أخرى لكن بصوت منخفض، كما لو كنت أقولها لنفسي.

Twitter: @ketab_n

حاولت اختلاق سبب وهمي، لكن الغريب كيف أني كنت غير قادر على إيجاد أي شيء مهما كان.

- على كل حال، سوف أشرح لك كل هذا فيما بعد.

وأنا أقول هذا، فتحت ذراعيّ كي أشير إلى الغرفة في مجملها. واستطردت: هناك سبب ما.

- حقاً؟

- هممم.

عندما كانت هنا، كان الأمر مختلفاً. كان المطبخ، الحمام، والمرحاض، لا غبار عليها، فهي رائعة للاستعمال. مُعتنى بها بشكل جيّد. كان البرّاد حصرياً ممتلئاً على الدوام بسلع طازجة، ولم يكن يوجد أي طبق من الأطباق السريعة التجهيز في المنزل.

أنا من كان مسؤولاً عن هذا الوضع. أنا، الذي كنت عاجزاً عن عمل أي شيء دون تلك الملاحظات، يجب الاعتقاد بأني لم أتغير مذ كنت راشداً. من دونها، لم أكن أصلح لشيء.

- شعركَ، قالت وهي لم تزل محتفظة بنظرتها الغامضة؟ هل تريد أن أقصّه الليلة؟

- شعري؟

لففت خصلة شعري الملولبة حول إصبعي.

- متى كانت آخر مرة قصصت فيها شعرك؟

- منذ ما يقارب الثلاثة أشهر تقريباً.

- لكن أنت تعمل، أليس كذلك؟

Twitter: @ketab_n

- نعم، لماذا؟
- ولا مشاكل لديك مع هذا الشعر الأشعث؟
- لم يسبق أن وجّه إليّ أحد ملاحظة خاصة... أليس هذا أمراً فظيعاً؟
- تبدو كأسد لحظة استيقاظه.
- آه نعم، مع ذلك.
- لابدّ وأنها الجنة، مكان عملك...

كانت وجهة نظرها صحيحة. أبدو كالقدّيس برنار الذي يتسامح مع أسد بالكاد يستيقظ.

في هذا الوقت لم تقل " اذهب إلى الحلاّق" إنما قالت :" هل تريد أن أقصّه لك ؟" بالتّأكيد. كان من عادتها أن تقصّ لنا شعرنا، أنا و ويوجي. لم تزل ذاكرتها إذن موجودة في مكان ما.

- ستقصّينه لي؟

هزّت برأسها موافقة وقالت: لدي إحساس أن باستطاعتي فعل ذلك.
- هذا ما أنت معتادة عليه.
- اتفقنا إذن. إنها ذاكرة اليد، كما يُقال.

لكن هذا لم يحدث، وسوف أعود للحديث عن الأمر.

بما أنها كانت تهتم بالإفطار وبتجهيز "البنتو" فقد استطعت أن آخذ وقتي وأستفيد من فترة الصباح، وهذا ما لم أقم به منذ زمن طويل.

وأنا أشرب المنقوع الذي جهّزته لي (بحقّ الشيطان، كيف عثرت على هذه الرزمة؟) حكيت لها طرائف تخصّها، كلما استطعت أن أستعيد إحداها:

Twitter: @ketab_n

ولدتِ في الثامن عشر من يناير، إذن أنت من برج العقرب، وهو البرج الذي يقول عنه كل المنجمون أن من صفاته الحرص والمثابرة.

قبل زواجنا كان لقبك " إينوكيدا". يقع منزل والديك في مدينة تبعد نصف ساعة بالقطار نحو الشمال. وهناك لم يزل يعيش والدك ووالدتك، وأيضاً أختك الصغرى وأخوك الصغير.

لا تشبهين أياً من أهلك أو أقاربك. وإن أردت التحديد لقلت، منذ ولادتك، بدوت بالأحرى كفرد من عائلتنا نحن.

وبالعودة إلى والديّ، فهما يعيشان في مدينة إلى الجنوب من هنا، على بعد خمس عشرة دقيقة بالقطار.

ليس لدي أخ ولا أخت. أنا ولد وحيد، وكما يقولون " هذا وحده هو بالفعل مرض"

لا يوجد عندي أي شيء لأضيفه، لدي مشاكل أخرى لكني سأمرّ عليها تباعاً.

في المدرسة، كنتِ عضواً في نادي الرياضة. كان جهازك المفضّل هو جواد القفز. أنا أيضاً رأيتك تقفزين (أثناء أحد العروض في دورة التربية البدنية). كانت قدرتك في القفز مثيرة للإعجاب. مقارنةً بباقي الطلبة الذين كانوا يبدون كالأطفال وهم يركلون.

مع ذلك فقد كان لديك عيب ما. لم تثبتي أبداً بعد القفز بطريقة صحيحة، لهذا كانت درجاتك تتراوح دوماً بين الخمس إلى ست درجات.

قُبلتِ من قبل باقي أعضاء الفريق، لكنهم عيّنوك كلاعب إضافي. فجأة، اعتقدت أنك قد قمت بخيار حكيم في المدرسة الثانوية، بتجاوزك لرياضة الأجهزة إلى الرياضة البدنية الإيقاعية، بما أنه في

Twitter: @ketab_n

رياضة GRS[19]، بعد القفزات الكبيرة، نستطيع الاستمرار في الحركة، دون التوقف عند السقطة، أليس كذلك؟

- هل قمت برياضة GRS؟
- أكيد، في نادي مشهور فاز بالعديد من المسابقات بين المدارس، لكنك كنت في مرتبة جيدة في المباريات الإقليمية.
- لا أستطيع تصديق ذلك.
- حقاً؟
- في النهاية، أنت تقصد بكلامك هنا رياضة الجمباز الإيقاعي؟
- رياضة الجمباز الإيقاعي، نعم.
- أنا؟
- نعم، أنت.

بدأت "ميو" تقهقه بصوت منخفض.

- هذا حقاً إحساس غريب جدا.
- دون شك.
- وأنت؟ سألتني "ميو". هل كنت عضواً في النادي؟
- كنت أمارس ألعاب القوى.
- كنت تركض على ما أعتقد.
- وما زلت. في المدرسة الثانوية قطعت مسافة 800 متر.

تركت كلمة "واو" تخرج من فمها فغضّنت أنفها.

- لا بدّ وأن هذا صعب بشكل رهيب.

---

[19] GRS: الجمباز الإيقاعي

Twitter: @ketab_n

- صعب كما ينبغي أن يكون، أجبت، عندما يتعلق الأمر بتطلعاتنا الخاصة، يبدو الألم محمولاً.

- آه، حقاً؟

- أؤكد لك.

" هوهو، يوجي"

دوى صوت رجلٍ من الغرفة المجاورة، مألوف بشكل فظيع.

تشنّجت ميو تحت وقع المفاجأة.

- إنه المنبّه خاصّته، شرحت لها. أصغي وسوف ترين.

" *انظر، لقد حملت لك مفاجأة...*

هيا، انظر، إنها هنا. افتح عينيك وانظر...

هكذا أجل، ابذل مجهوداً صغيراً آخر، إنها هنا، تماماً هنا..."

هنا كان بالإمكان سماع صوت يوجي الناعس:

- أين هي؟

" *إنها هنا تماماً، أجل هكذا، المزيد من الجهد...*

- نعم، لكن أين؟

هذه المرة جاء صوت يوجي واضحاً.

تابع صوت المنبه قائلاً: *حسناً ها أنت قد استيقظت. انظر إذن جيداً إلى أجمل الهدايا. لقد أشرق يوم جديد.*

- أواه، لقد قمت بهذا مرة أخرى..."

Twitter: @ketab_n

- صباح الخير، قال يوجي فاركاً عينيه وهو يظهر من غرفة الحمام.

- لكن يبدو أن شعر رجلي الصغير أشعث بشكل لا يصدّق أكثر من شعرك.

- آه، هكذا يكون شعره لحظة الاستيقاظ، هو هكذا كل صباح. أتساءل كيف ينام.

كان رأس يوجي يشبه " وود ستوك[20]" في فيلم الكرتون " بينوتس". يبدو كمسافر يمشي بشكل دائم عكس هواء الشمال. لم يكن يرتدي إلا القطعة العليا من منامته فوق سرواله المطاطي المرتخي. كان قد ترك بنطاله على فراشه .

نظر إلينا بعينين نصف مغلقتين. كان يفكّر بشي ما وهو يحكّ رأسك.

أغلق عينيه قبل أن يعاود فتحهما من جديد ببطء.

- ماما؟

احمرّ وجه يوجي بوضوح بينما كانت دموعه تصعد حتى عينيه.

- ماما، أهذا أنت حقاً ؟

ركض نحو ميو ليمسك بذراعها.

- إنها ماما، لقد عادت...

لفّ ذراعه حول خصرها، وهو يمرغ وجهه بصدرها. " ماما، ماما " لم يكن يتوقّف عن التكرار، حاضناً ميو بكل قوّته.

[20] Wood-Stock: هو أصغر شخصية في فيلم الكرتون بينوتس.

Twitter: @ketab_n

كان سرواله الرخو منفوخاً كما الحفاض، والقدمان اللتان خرجتا منه كانتا هزيلتين بشكل مثير للشفقة، بأوردتها الزرقاء المرئية من خلال شفافية ركبتيه.

نهضت من مقعدي كي أقف وراءه وقلت : يوجي. بما أن الماما قد شفيت فقد جهّزت لنا الإفطار. إنها لم تذهب ولا إلى أي مكان، لا حاجة للمزيد من الإضافة.

ارتعشت قدما يوجي. فكّر للحظة وهو يحبس أنفاسه. لابد وأنه كان يستعيد أحداث الأمس في رأسه الصغير.

" هيا، تعال لنأكل. ماما هي من جهّز كل شيء. يبدو هذا لذيذاً!

انفصل يوجي ببطء عن ميو قبل أن يذهب ليجلس على كرسيه، ورأسه منخفض.

" اذهب لتغسل وجهك، وتفرشي أسنانك في البداية"

دون أن يرفع نظره، ذهب إلى غرفة الحمام. حدّقت إلى ظهره قبل أن أنظر نحو ميو.

- لقد قلت لك ذلك بالأمس، فيوجي بكّاء كبير"
- يبدو هذا جلياً في الواقع.
- هذا لأنه سعيد جداً برؤيتك تقفين للمرة الأولى منذ زمن لحظة استيقاظه، بعد أن كنت لا تزالين نائمة حتى صباح الأمس.
- حقاً؟

ولسبب غامض، رمقتني بنظرة شك.

Twitter: @ketab_n

ابتسمت ابتسامة متكلفة كأني أريد أن أسألها:" لماذا هذه الهيئة؟ لكنها قالت:

- هناك شيء ما ليس على ما يرام.
- ماذا؟
- أنتما الاثنان.
- لا، قلت قبل أن أضيف: ليس بشكل خاص. نحن فعلاً على ما يرام.

كان خيالي قد سبق كلامي ووصل إلى نهايته. كنت أقوم بمؤثرات ممثل من الدرجة الثالثة، حين يبدأ في الصفير كي يخفي كذبة ما.

ظهر يوجي من جديد وجاء ليجلس على كرسيه.

- هيا لنأكل، هنيئاً! قلت بصوت عالٍ كي أضع حدّاً لهذه المحادثة المحفوفة بالمخاطر.

- هنيئاً. أجاب يوجي.

تطلّعت "ميو" إلى وجهينا بشكل متقطع خلال لحظات. لكننا تابعنا تناول الطعام بمثابرة، وكأن شيئاً لم يكن.

أطلقت أخيراً تنهيدة صغيرة قبل أن تقول:

- انتبها قليلاً وأنتما تأكلان. فالطعام يتناثر في كل مكان.

انتهت وجبة الإفطار. خلعت منامتي وارتديت ثيابي. انتفضت "ميو" قليلاً عند رؤيتي مرتدياً لباسي الرسمي، فأخذت وضعية عارض أزياء، معتقداً أنها معجبة وقد رأتني تغيرت.

- هيا قل لي.

Twitter: @ketab_n

- ماذا؟
- هل ترتدي دوماً هذا اللباس كي تذهب إلى العمل؟

كنت على ما يبدو مخطئاً إلى حدّ ما، حتى الأمس. لكنني فهمتها على الفور من نبرة صوتها.

- نعم، لماذا؟
- ولكن هذه بذلة للشتاء، أليس كذلك؟ تبدو مصنوعة من قماش سميك، مقاوم للبرد.
- حقاً؟ قال يوجي.
- زيادة على أنها ليست على مقاسك، فالأكتاف ليست على المستوى الصحيح.

لم أكن أعرف ذلك. لم يسبق أن لفت نظري أحد إلى هذا الأمر.

هنا فجأة، كما تحت وقع كشفٍ ما، استحضرت في ذاكرتي شابة واحدة، ألا وهي

ناغاز- صان في المكتب، بتصرفاتها الغريبة.

آه، فهمت الآن. هذا ما كانت تحاول أن تقوله لي في المكتب.

- لقد هزلت كثيراً. أجبتها كتوضيح.

بعد موت "ميو"، كان باستطاعتي أن آكل أي طعام كان. كنت نحيلاً بطبيعتي، لذلك فقد ذبت تماماً، وهزلت بشكل واضح. من 62 كيلو نزلت حتى 54 كيلو، ومن ثم، توقف الوزن عند هذا الرقم. لهذا كانت بذلتي فضفاضة.

Twitter: @ketab_n

لكني لم أكن أعير أي اهتمام لمسألة كهذه. فقط ببساطة، أخذت أول بذلة وقعت تحت يدي، ولبستها.

فتشّت ميو في الخزانة، فوجدت بذلة صيفية بقماش ناعم، وأعطتني إياها. جربتها، لكن هذه أيضاً كانت جد فضفاضة .

- هذا فعلاً غريب جداً... قالت وهي تنظر إليّ بينما كنت أبتسم بطريقة غبية، مرتدياً بذلة تتهدّل من على كتفي.

- ماذا هناك؟

- هل أنت واثق أنك تسكن هنا؟

تلوّنت نظرتها فجأة وامتلأت بالشفقة.

- أريد فعلاً التصديق أني زوجتك، لكن ألا يحتمل أنه، وبطريق المصادفة، أنت على وشك أن تستعير خفية منزل أحد الغرباء؟

كانت تلك وجهة نظر مفهومة. فبهذا التفكير، ستتقبل فوضوية الشقة، بما أننا لم نكن نسكن هنا.

هذا يشرح بالتالي لماذا لم تكن ثيابي بالحجم الصحيح، بما أنها كانت ثياب شخص آخر.

- ليس الأمر هكذا، قلت، إنه فعلاً منزلنا. المسألة أن، كيف أقول ذلك، لقد فقدت الكثير من وزني.

- لماذا؟

- أوه، هذا بسبب الكثير من المشاكل. في يوم ما، سوف تفهمين.

- في يوم؟ متى؟

Twitter: @ketab_n

وقفت مكتوفة الأيدي وكأنها تقول: لن أتنازل قيد أنملة.

- هذا المساء، أجبت. هذا المساء سوف أقصّ عليك كل شيء. بخصوص مشاكلنا المتنوعة والمختلفة.

- حسناً. سأنتظر إذن.

ثم ذهبت "ميو" لتساعد يوجي في تحضيراته الصباحية. تركها تساعده، هو الذي كان يزرزر دوماً أزراره وحده.. شكّل ذلك نوعاً من التراجع في اعتماده على ذاته.

حسناً، لا يهم.

وأنا أنظر إليهما، كان ينتابني الإحساس أن المنزل برمّته قد عاد إلى عام سابق.

قبل أن أخرج، نبّهت على "ميو" قائلاً: أعتقد من الأفضل ألا تخرجي كثيراً من المنزل.

وافقت دون أن يبدو أنها قد أعارت كلامي اهتماماً زائداً.

- مازلت مريضة، وسوف يكون من الأفضل أن ترتاحي في المنزل.

- حسناً.

كانت نظرة الآخرين هي ما يقلقني بالأحرى. حتى ولو كنا نعيش حياتنا دون أن نخالط فعلياً جيراننا، لكن كان من بينهم عدد لا بأس به، يعلم مع ذلك أن "ميو" قد فارقت الحياة منذ عام.

كان ترتيب البناء خاصّاً قليلاً: فهو مؤلف من ست شقق، أربع منها هي عبارة عن غرفة واحدة، بينما الشقتين الواقعتين إلى الشرق قليلاً، في الطابق الأرضي، والطابق الأول (الذي هو منزلنا المعظم)

Twitter: @ketab_n

هما عبارة عن غرفتين. لهذا السبب، أغلب الساكنين هم إما من الطلاب، أو من صغار الموظفين غير المتزوجين. ثلاثة مستأجرين جاؤوا ليسكنوا هنا خلال العام الفائت، ولم يتبقَّ سوى شقتين معروفتين من قبل "ميو": الموظف في الغرفة رقم 101، والذي يسكن تحت شقّتنا مباشرة، والزوجين الشابين في الشقة رقم 103. وبما أن هذين الزوجين كانا يقضيان جلّ يومهما في العمل، فلم أكن لأخشى كثيراً أن يلتقيا بـ"ميو" إن هي خرجت، لكني قررت أن أظهر المزيد من الحرص.

نظرت إلينا "ميو" ونحن ذاهبان، يوجي وأنا، وهي واقفة في الردهة.

- إلى هذا المساء.

إنْ تأثر الناس بذكرياتهم أم لم يتأثروا، فهم، على ما اعتقد، يتصرّفون بحسب ما هم معتادون عليه. لذا، وهي تنظر إلينا هكذا ونحن مغادران، فتلك الحركة، وهذا الصوت، وتعبيرات الوجه هذه، لم تكن قد تغيّرت قيد أنملة بالنسبة إلى "ميو" عندما كانت لم تزل حيّة.

- إلى هذا المساء، يوجي...

ابتسمت وهي تبلع لفظة "كون"

التفتت بعدها نحوي وكررت: إلى هذا المساء. قبل أن تبدو عليها هيئة التفكير.

- في الواقع.. قالت: لا أعتقد أني قد سألتك بعد عن اسمك.
- إنه تاكومي.

Twitter: @ketab_n

- تاكومي؟
- نعم، وإذا ما أضفنا إليه اللقب لأصبح معناها "ماهر"
- آه، تاكومي - صان[21] إذن.
- مع ذلك، فأنا أتّصف بكل شيء إلا المهارة، أليس كذلك؟

كان اسمي يتحدّاني.

أجابت، هذا صحيح... و قامت بتحريك رأسها بهزّة صغيرة قبل أن تبتسم بهيئة متمرّدة.

- من هنا جاء اسم تاك - كون؟
- تماماً.

استقامت في وقفتها كما لو كانت تريد أن تقول:" حسناً حان الوقت" وقالت: إلى المساء تاكومي.

إن أردت أن أصف الأمر كعاشق، لقلت بأني لم أشعر في حياتي بألم كهذا الألم في صدري. كما لو أن الدمع سوف يطفر من عينيّ. فهذه الكلمات، كنا قد تبادلناها دون شك آلاف المرّات. ففي كل صباح، كانت تحييّنا بالطريقة نفسها. هذه الكلمات كانت تحكي كل شيء عن زواجنا.

" إلى هذا المساء" أجبتها ممتلئاً عشقاً.

" صباح الخير" ليلة سعيدة " لذيذ"! "حسناً" " هل نمت بشكل جيد؟" أو أيضاً " تعالي إلى هنا" في كل هذه الكلمات التي لا أهمية لها يقبع الحب.

[21] في اليابان يأتي الاسم مرفقاً بصيغة الاحترام في النهاية بكلمة شان، أو كون، أو صان.

Twitter: @ketab_n

هذا هو معنى أن نكون زوجين، على ما أعتقد. لم أكن قد انتبهت لهذا الأمر حتى الآن.

عند وصولي إلى المكتب، أول كلمة قلتها لناغاز- صان كانت: "عفواً، لأجل الشكل، اضطررت إلى تغيير ثيابي".

مررت يديّ على طول جسمي كي أجذب انتباهها إلى بذلتي الخفيفة.

- آه، نعم، أرى ذلك.

لسبب ما أجهله، احمرّ وجه ناغاز- صان بشدة، قبل أن تنجح في التحكم بمشاعرها. فكرت أن أبهجها، لكنها كانت بالأحرى مثل طفل أمسك به وهو يمدّ يده في حقيبة.

- لهذا السبب كنت منزعجة، أليس كذلك ناغاز - صان؟
- نعم، نعم، هذا هو السبب.

احمرّ وجهها على نحو متزايد.

تابعت قائلاً: لقد تسببت لك بالكثير من المتاعب.

عند سماعها هذه الكلمات حركت يديها أمام صدرها عدة مرات، كما لو كانت تريد أن تقول" لا، أبداً" قبل أن تهرب إلى غرفة الحمام.

يا لهذه الشابة الفريدة من نوعها حقاً. فكرت قائلاً في نفسي.

أنهيت عملي باذلاً المزيد من الاهتمام أكثر من المعتاد. زدت من كمية ملاحظاتي إلى درجة رحت أسجل أشياء على الورق لم أكن لأسجّلها في السابق كي أتذكرها في العادة. امتلأ الجدول بالكامل بتلك

Twitter: @ketab_n

الكلمات الموجّهة إليّ خلال عشر دقائق. لأني، في الواقع، كنت أفتقر إلى الكثير من الموثوقية. فقد كان عقلي مشغولاً بالكامل بـ "ميو".

كان الأمر مشابهاً تماماً للوقوع في الحب. أو بالأحرى - بالنظر إلى تجربتي المتواضعة- كالوقوع بالحب دون شك.

فهمت! قلت لنفسي.

هذا هو الحب. أنا عاشق. أنا عاشق لطيف زوجتي. هذا رائع.

وفي الوقت نفسه، كنت أشعر أني غير متأكد تماماً.

لا أتوقف عن التفكير أنها سوف تختفي خلال فترة غيابي عن المنزل. هاجس هذا الفقدان، إلى جانب شعوري بالعشق، غمرا صدري بمواد كيميائية حاملة معها ما ما يعنيه تعبير "ممزّق القلب" أو "التعلق بالحب". أنهيت بطريقة أو بأخرى عملي اليومي، مسيطراً على نفسي، كي لا أركض إلى المنزل لأرى وجهها.

ها أنا ذا، قلت لنفسي. ألا أبدو كمراهق وقع فريسة أول حب له؟

أنا واثق أنه قد يحصل للأشخاص أن ينجذبوا مرات عدة إلى الشريك نفسه. وأنهم، بشعورهم ذاك، فإنهم يعودون إلى المراهق ذي البثور، وذي القلب المرهف الذي كانوا عليه في السابق.

Twitter: @ketab_n

9

حين دخلت لاهثاً إلى البيت منادياً بصوت عال "أنا هنا" جاءني صوت "ميو" ويوجي قائلين: "كو كو" كاتفاق على تشكيل ثلاث نوتات جميلة. فتنهّدت تنهيدة ارتياح.

في الأساس، كان صوتاهما متشابهين كثيراً. لكن الحقّ يقال، كان صوتي وصوت يوجي متشابهين أيضاً. بالمقابل، كان هناك اختلاف بسيط بين صوتي وصوت "ميو".

هذا فعلاً غريب جداً.

كانت "ميو" قد باشرت بقصّ شعر يوجي، تشذّب بسعادة شعره الأشعث، وهو جالس على كرسي. ملأت تلك الرؤيا قلبي بالحنين. حتى الملاءة التي كانت فوق الحصير كانت هي نفسها.

- تاك- كون، قال يوجي. قصّت لي أمي شعري.
- أرى ذلك جيداً.

خلعتُ سترتي وعلّقتها في الخزانة.

- ما هذا الذي أراه؟ قلت. الغرفة نظيفة جداً.
- حقاً؟ سأل يوجي.

Twitter: @ketab_n

- لم يكن هذا بالأمر السهل. قال "ميو"
- سبق وأن نبّهتك مع ذلك بألا تجهدي نفسك كثيراً. لم تتعافي من المرض بعد.
- أعرف ذلك. لكني كنت أقوم بدور الزوجة المثالية.
- هممم. أعتقد أن هذا لم يكن سهلاً.
- ولم يكن شديد الصعوبة. قالت ميو.

كنت سعيداً ليس لأنها رتّبت المنزل، بل بالأحرى لأن هذا النوع من العمل كان يشبهها تماماً. كانت حقيقةً زوجة مثالية. حتى وإن كانت سجينة ذكرياتها، فـ "ميو" بقيت "ميو" التي أعرفها. وهذا ما جعلني أشعر بسعادة قصوى.

لظرت إلى يوجي وهي تتابع قص شعره :هممم... أعتقد أن هذا يكفي.

نظرت إليّ "ميو" بابتسامة خرقاء. كان لدي إحساس سيء في ناحية ما.

- هيّا لنرى، قلت وأنا أقترب من يوجي كي أتحقق من التسريحة.
- إذن؟ سألني يوجي، هل أبدو جميلاً؟
- تماماً، أنت تبدو... جميلاً...أجبت بينما كانت تعابير وجهي تشي بعكس ذلك.

كان شعر الغرّة يرسم قوساً شاهقاً مهتزاً فوق جبهته. وكان الجانب اليساري مقصوصاً بشكل قصير جداً، بحيث كانت فروة رأسه مرئية مرتين، في الخلف أيضاً، كان جلده الوردي يظهر في مكان، وقد قُصّ شعر مؤخرة رقبته عالياً جداً.

Twitter: @ketab_n

كان يبدو مثل ذوي الرؤوس الحليقة، مع قبعة قطنية موضوعة على جمجمته.

في الحقيقة بدا وكأنه معتوه.

- إنها ذاكرة اليد. أليس كذلك، أليس هذا ما قلتيه..؟

فصرخ يوجي عندها: "ماذا؟" بصوت فيه الكثير من التوجّس.

- ربما هذا نوع من الأعمال التي ننساها على كل حال. أجابت ميو.

عاد يوجي ليصرخ مرة أخرى: "ماذا؟" كان صوته أعلى قليلاً هذه المرّة.

- إنه دورك الآن...

لابدّ وأنه قد ظهر عليّ الهلع، لأنها أضافت وكأنها قد فوجئت : لا بأس عليك، لقد أخذت يدي على الأمر وأنا أقصّ شعر رجلي الصغير.

- ماذا يعني ذلك؟ عاد ليقول هذا الأخير.

وهكذا وجدت نفسي جالساً مكان يوجي. الذي ركض بعد أن تحرّر إلى الحمام.

- آوواه! دوى صوته، ثم حلّ الصمت.
- حسناً، قلت وأنا أراقب غرفة الحمام.
- لا تتحرّك، أمرتني قائلة، وإلا سوف أغامر بقصّ شيء آخر غير شعرك.

أمام هذه الكلمات، شعرت بقلبي الواهن في جسدي يتصلب فجأة.

Twitter: @ketab_n

- لديك شعر مجعّد بشكل غريب.
- عندما كنت صغيراً كانوا ينادونني تيمبل - شان.
- تيمبل -شان ؟
- نعـم، بسـبب شـيرلي تيمبـل[22]. بـلى، أنـت تعـرفين... الأمـيرة الصغيرة؟
- هذا لا يعني لي شيئاً. ربما أكون قد نسيت.
- على أي حال كانت هـذه الطفلـة نجمـة، قبـل مـا يقـارب النصف قرن.

ابتسمت لي، وكأنها تريد أن تقول:" كيف تريد مني أن أتـذكرها؟" عـلى مـا أعتقـد، كنـت قـد طرحـت عليهـا هـذا السـؤال في السـابق، وأجابتني بالابتسامة نفسها.

(إذن، مـاذا لـو سـألتك في عـام 2050 إن كنـت تعـرفين مـن هـي فيكتوار ليفيسول[23]؟)

غني عن القول أنها بطلة فيلم " بونيت ". في ذلك الوقـت، عنـدما قلت لها ما قلت، كان لدي شـعور غـامض أننـا في عـام 2050، سـوف نكون دوماً معاً. بالطبع، سوف نصبح عجوزين نحن الاثنان.

حلقة ممتعة لمرحلة سعيدة.

- ها قد انتهيت.

هذه المرة كانت واثقة تماماً من نفسها.

---

[22] شيرلي تيمبل: ممثلة ومغنية... كانت تُلقب بالطفلة المعجزة.
[23] اسم الطفلة في الفيلم الفرنسي الشهير شوكولا Ponnettef

Twitter: @ketab_n

بحياء، رميت نظرة في المرآة التي مدّتها نحوي. ظهرت تسريحة شعري، ليست متناسقة تماماً، لكنها على الأقل بقيت مقبولة للنظر. على شكل " سيد فيسيوس[24] " إنما بشكل متمدّن بالطبع. بالمناسبة، هو الآخر كان يسكن كوكب الأرشيف في الوقت الحالي.

- يبدو لي أ نني استعدت خبرة يدي. لا بأس بالنتيجة هذه المرّة.
- وأنا إذن؟ سأل يوجي.

كان قد وضع قبعته الصفراء التي كان يلبسها للذهاب إلى الحضانة.

أجبته: لا تقلق، أنت جذاب جداً. لا يستطيع من يراك إلا أن يحبّك.

- حقاً؟
- حقاً، أليس هذا صحيحاً؟

بقولي هذا، بدت "ميو" منزعجة للغاية، فتابعت قائلة:

- أنا آسفة يوجي، لكن أبوك على حق. لم أستطع أن أجعلك فاتناً، لكن لا يمكن لأحد إلا أن يحبّك.
- حتى أنت؟
- بالتأكيد، فقلبي يطرق بشدّة لمجرّد النظر إليك.
- في هذه الحالة، لا بأس إذن.

سحب يوجي قبعته. بدا شعره العنبري اللون الأملس يشبه قبعة صوفية، حتى من الأمام.

---

[24] Sid Vicious: عازف جيتار مشهور ذو شعر أشعث.

Twitter: @ketab_n

مع ذلك، كان فعلاً جذاباً. إنه غموض الطفولة. يستخدمون سحر الانعكاس، محوّلين الأخطاء إلى فتنة. لكنها لا تفعل مفعولها إلا لدى والديهم.

بعد أن تلقينا الأمر بالاستحمام بينما هي تجهز الطعام، اتجهنا أنا ويوجي معاً نحو غرفة الحمام.

- كانت ماما موهوبة جداً، من قبل، قال يوجي وهو يخلع ثيابه.
- موهوبة؟
- في قصّ الشعر.
- آه، صحيح. على أي حال أعتقد أنها فعلاً نسيت..
- حقاً؟
- بالتأكيد.
- لكنها تتذكّر جيداً كيف تجهز الطعام.
- آه، صحيح، الآن أنت قلت.

كانت تلك هي الحالة بكل تأكيد.

على أي أساس تُنتقى الذكريات؟ أتساءل إن لم تكن وصفات الطعام تلك ذات أهمية أكبر لتحتفظ بها عوضاً عن ذكرياتها عني وعن يوجي...

هذا يعني أن وجودنا أقل أهمية من طبق "أومورز[25]" أو "كريم ستو[26]" لكن ذلك ليس مؤكداً تماماً. لابدّ وأن هناك سبباً آخر لذلك.

---

[25] Omwrice: طبق من الأرز المقلي فوق أومليت.
[26] Cream stew: طبق من اللحم مع الخضار والكريما.

Twitter: @ketab_n

وهذا ما أردت الاعتقاد به.

سألت يوجي وأنا أغسل شعره:

- هل أنت سعيد بوجود ماما؟

فكّر يوجي قليلاً قبل أن يجيب بصوت منخفض: لست متأكّداً.

فاجأني قليلاً جوابه غير المتوقّع ذاك.

- لماذا لست سعيداً؟

- لأن... قال يوجي وهو يمسح الشامبو الذي سال على جبهته، لأنك تعرف أن أمي تسكن كوكب الأرشيف.

- صحيح.

- إذن، يجب عليها العودة إليه في يوم ما، أليس كذلك؟

- لكن، انتظر قليلاً، فهي قد نسيته، لهذا..

أخفض يوجي رأسه ببطء، وتابع قائلاً : حتى لو نسيته أمي، فسيأتي أحدٌ ما للبحث عنها، هذا أكيد. هكذا يحدث في كل القصص. الجميع يجب أن يعودوا في النهاية. لأجل هذا، أنا لست سعيداً جداً. وهذا الأمر، يجعلني أرغب في البكاء.

حتى طفل مثله يفهم بهذا الأمر .عندما نفكّر بشخص نحبّه، يصبح هذا التفكير مرتبطاً حتماً بالفقدان. كان قد اختبر هذا الأمر في إحدى المرّات.

- لكن، قلت له، بالرغم من ذلك، مجرد كونها هي هنا الآن، هو نعمة في حد ذاتها. لهذا يجب علينا أن نبارك هذه اللحظة.

Twitter: @ketab_n

أجاب يوجي بـ "همم" لكن لم أعلم حقيقةً ماذا كانت تعني.

قلت له وأنا أمسك بدش الاستحمام فوق رأسه:

- ما أريدك أن تفهمه، هو أن ماما كانت دوماً معنا، قبل أن يتم فصلها عنا.

- أعرف، أجاب يوجي. لكن أتعرف أنني أجد أمي غريبة الأطوار قليلاً.

- أرى ذلك. لهذا يجب علينا بذل المزيد من الانتباه من الآن فصاعداً.

- موافق.

- حسناً، كل شيء على ما يرام، تستطيع الخروج.

غادر يوجي غرفة الحمام واندفع يقول لميو:

- ماما، لقد خرجت، تعالي جففيني!

حسناً إذن، قلت لنفسي. بعد أن بقيت عاماً كاملاً وأنا أعلمه كيف يتدبّر أموره بنفسه، ها هو يعود عودة كاملة إلى الوراء.

عندما خرجت من الحمام، كان يوجي مرتدياً لباساً داخلياً بسيطاً كبير الحجم عليه تاركاً نفسه لميو لتنظف له أذنيه، ماداً رأسه ليرتاح فوق ركبتي أمه التي كانت تجلس بشكل مستقيم تماماً، وابتسامة هائلة ترتسم على محياها، وعيناها نصف مغمضتين.

- هذا فعلاً لا يصدّق، قالت ميو. هذا جنون، ما هو موجود داخل أذنيّ هذا الصبي.

Twitter: @ketab_n

عندما سألتني إن كنت أنظف جيداً أذنيه، فكرت للحظة، قبل أن أجيب.

- أعتقد بأنه كان يهتمّ بهذا الأمر بنفسه.
- هذا غير ممكن لطفل في السادسة من عمره.

كانت تتمتم من وقت لآخر:" ما هذا؟" أو" ماذا يجري في الداخل؟" لكن في لحظة معينة اختنقت بصرخة قرف قبل أن تفقد القدرة على الكلام، و في اللحظة التي تلت، تردّد صوت ضربة خاطفة على الطاولة المنخفضة.

انضممت إليها وأنا أجفّف شعري بمنشفة الحمام..

- ماذا هناك؟

أشارت بإصبعها إلى الطاولة، قرّبت وجهي كي أنظر عن قرب.

كان هناك شيء ما قريب من شكل القوقعة السوداء. عندما أخذته بيدي كان سطحه قاسياً.

- هل هو بالمصادفة... سألت بخجل... هل كان داخل أذن يوجي؟

وافقت ميو بهزّة من رأسها كما لو كان هناك طعم مرّ في فمها.

- أوووواه، صرخ يوجي، تاك- كون أنت تتحدّث بصوت عالٍ جداً! آلمت أذنيّ.

ووضع يديه فوق صيوان أذنيه.

وهكذا فهمت. فهمت السبب الذي كان يجعل يوجي يسأل دوماً: هاه؟ أو ماذا؟ كان هذا بالتأكيد عائداً إلى تراكم لا أدري كم من

Twitter: @ketab_n

طبقات الشمع المتحجّر، الذي كان قد حُفظ بعناية منذ ما يقارب عام كامل في ثقب صغير.

(بشكل عام كان لديه عادة دفن كل شيء وأي شيء مثله مثل المسامير)

تلا ذلك، خروج قوقعة أخرى مشابهة من مجرى سمعه.

هو نفسه لم يكن يبدو وكأنه يقدّر تحسّن سمعه.

بعد فترة قصيرة، بدأ يشكو قائلاً :" أوووه، ماذا تعني؟" أو" هذا غريب جداً" أو" يا لهذا الضجيج".

وعلى هذا المنوال، راحت "ميو" تصحح، الفواصل الزمنية المتنافرة التي تمّ تثبيتها خلال العام الفائت الواحدة تلوَ الأخرى، كيف نفسّر أنها هي المحرومة من ذكرياتها، وربما من حياتها، تبدو أكثر مهارة مني؟ بالتأكيد، لابدّ وأن وجودها كان مميزاً فعلاً بالنسبة لي، وليوجي، كانت عبارة عن أسطورة.

Twitter: @ketab_n

10

بعد تناول العشاء ذهبنا لنتنزّه نحن الثلاثة.

كانت "ميو" تعاني دوماً من آلام الرأس (الميغرين) لكنها أملت أن يغيّر هواء المساء من أفكارها. ترددت قليلاً، لكن قررت أن أدعها تخرج قائلاً في نفسي- أننا لن نبدو أكثر من ظلال في عيون المارّة الساهية بضباب الغروب.

مشينا عبر مناظر طبيعية ملوّنة بلون الحبر الممدد. طغى القمر، هزيلاً، عند قمّة الغابة، كان انعكاسه يرتعش على مساحة حقول الذرة المشوشة من قبل الهواء.

- الطقس بارد، أليس كذلك؟
- هذا لأن المطر لم يتوقّف عن الانهمار.

كان ميو ويوجي، يسيران في الأمام، يداً بيد، بينما كنت أتبعهما، على بعد خطوات منهما، راغباً في مشاركة رغبتهما الساذجة في التماسك بالأيدي، لكنني لم أستطع بالطبع التعبير عن ذلك. كنت أحسد يوجي لاستطاعته القيام بأبسط الأمور في العالم، تلك التي كنت عاجزاً أنا عن القيام بها.

Twitter: @ketab_n

- إذن؟ قالت. ما هي المشاكل التي تثقل عليك؟ ألم تقل لي أنك سوف تخبرني لاحقاً؟

- آه، صحيح...

كان الطريق يؤدي إلى قناة، فتحوّلنا نحو اليسار. كان باستطاعتنا رؤية ممر يومض من بعيد.

- قبل ذلك أريد أن أحدّثك قليلاً بعد، عنّا نحن الاثنين.

- موافقة.

أسرعت الخطى بخفّة كي أصل إلى مقربة منها.

- حسناً... بدأت قائلاً. لم نكن نخرج معاً عندما كنا في الثانوية.

- لأني كنت طالبة مثالية، هزيلة، أرتدي نظارة طبية، ومضجرة؟

ابتسمت ابتسامة طفيفة ناظراً إلى الأفق.

- لكن... في الحقيقة، كانت لدي نقطة ضعف حيال الطالبات المثاليات، اللواتي يرتدين نظارات طبية، النحيلات والمضجرات.

- حقاً؟ سألني يوجي.

- حقاً. ببساطة في تلك الفترة. لم أكن أفكر أن الفتيات من هذا النوع كنّ يبحثن عن الحب.

- إنهن يبحثن عن شريك؟ قالت ميو.

- نعم، وكنت أجهل لغة الإشارة.

- وأنا؟ سألتْ. ماذا كنت أفكر حيالك في تلك الفترة؟

Twitter: @ketab_n

- الشيء ذاته. كنت غريب الأطوار قليلاً، وحتى كاره للبشر، كما كان يُشاع.
- أنا قلت ذلك؟
- بالفعل.
- كنا بالفعل مختلفين عن عصرنا، نحن الاثنين، هاه؟ حتى نفكر بهذه الطريقة.
- نعم، أجبتها. كنا كنزاً وطنياً حقيقياً للتّفتح المتأخر. كنا في تلك الفترة، مأخوذين حقيقة بنشاطنا في النادي. أنت كنت تقفزين، تدورين حول نفسك، ترمين...
- في رياضة GRS .

أخفضت رأسي دلالة على الموافقة وتابعت: وأنا كنت أركض في دورات الأربعمائة متر في المقطع البيضوي للملعب.

- أكان هذا مثيراً للاهتمام؟
- أوه، نعم، إنه نشاط عالمي. فالكل يدور حول نفسه، الكواكب أو الذرّة.
- آه، حقاً؟
- حقاً.

وصلنا إلى الممر الضيق من جديد. كان الدرب يحاذي القناة ويتابع على مدّ النظر.

كانت ميو تراقب بثبات الطريق المغلّف بالعتمة.

Twitter: @ketab_n

- كل شيء يبدو لي غير واضح من بعيد، قالت. ألم أعد أرتدي مؤخراً نظارتي الطبية ؟
- آه، قلت قبل أن أضيف: لا.

كنت قد نسيت تماماً هذا التفصيل. ففي الأوقات الطبيعية، كانت ميو تضع عدسات. كان يحدث أن تضع نظارة لتسترخي، لكن نادراً ما كانت تترك نفسها لتستخدم عينيها وحدهما، فقد كان نظرها بالكاد أربعة إلى خمسة من عشرة.

كذبت عليها واستطردت: لم تعودي تضعين نظارتك. على كل حال، لم تعودي تحتاجين لقراءة السبورة السوداء، ولم تعودي تقودين.

- لكن رؤيتي ضعيفة جداً. يجب أن يكون لدي نظارة.
- لابد وأن تكون في مكان ما. سوف نبحث عنها لاحقاً.
- أتمنى ذلك.

يبدو شكلياً، أن العدسات غير متوفرة في كوكب الأرشيف.

على كل حال، وباختصار، وصلنا متأخرين نحن الاثنين إلى سن البلوغ وقضينا الفترة المدرسية كلها دون الوقوع بتاتاً بالحب. كنا أسوأ من طفلين في الخامسة من العمر.

- أسوأ مني؟ سأل يوجي.
- أتساءل... أجبته قائلاً. آه. ربما هذا صحيح.
- ماذا يعني؟ البلوغ المتأخر؟
- هذا يعني الفترة التي يأخذها الشخص كي يكبر.

Twitter: @ketab_n

- أوواه، هتف بتعجّب قائلاً. كنتَ فعلاً طفلاً؟

نظرنا إلى بعضنا، أنا وميو، وتبادلنا ابتسامة صغيرة، ثم قلت لها: ما الذي غيّر مجرى علاقتنا، كان حادثاً بسيطاً حدث يوم تسليمنا الشهادة.

يوم استلمنا الشهادة كنا نحن الاثنين، غير مدركين، أنه لن نحظى بفرصة أخرى لنرى بعضنا بعضاً، ولكننا لم نكن مهيّأين لنعود فنرى بعضنا من جديد على أي حال. وهكذا حصل الفراق بشكل عام.

ومع ذلك، شاءت لنا الظروف أمراً آخر. بعد أن انتهى الاحتفال، وعدنا إلى غرفة صفّنا، الغرفة التي كنا فيها أثناء عامنا الدراسي الأخير عندما انتهى فعلياً كل شيء. وبينما كنت وراء مقعدي، أحشو حقيبتي الرياضية بأشياء لا قيمة لها الواحدة تلوَ الأخرى (قسائم الوجبات السريعة، التماثيل الصغيرة لعلب البسكويت، أعواد مثلجات الإسكيمو، وأشياء من ذاك القبيل). ناديتني من المقعد المجاور:

- آيو - كون.
- ماذا هناك إينوكيدا - صان؟
- أريد أن تكتب لي شيئاً هنا.

عند هذه الكلمات، مددتِ نحوي بدفتر تواقيع. في يوم التخرج، كان العديد من التلاميذ يتبادلون تواقيع وكلمات الذكرى. مع ذلك، فالطلب الوحيد الذي جاءني كان منك. من كان يستطيع أن يطلب مني ذلك، إلا أنت؟

Twitter: @ketab_n

أجبتك: حسناً.. أعطني.

أمسكت بدفترك، وفكرت قليلاً، ثم سجّلت جملة قصيرة:

" أنا سعيد لأني جاورتك في الصف، كان أمراً جميلاً. شكراً".

كانت تلك كلمات شكري لكل دفاتر الملاحظات التي كنت قد أعرتني إياها، وكذلك الأمر بالنسبة لكل تلك العناصر الكيميائية التي كنتِ قد أرسلتها لي دون أن أعي ذلك.

وهذا ما كان جوابك على هذه الكلمات:

" بالنسبة لي أيضاً، وجدت في مجاورتك أمراً جميلاً. شكراً"

ومن ثم افترقنا.

غادرت الغرفة وحقيبتي الرياضية على ظهري، فيها شهادتي وأشيائي التافهة بيدي.

- إذن لم يحدث أي شيء؟ قالت ميو.
- ليس تماماً.

بعد حوالي شهر من ذلك الوقت، وصلتني رسالة مكتوبة بخط يدك.

" بقي قلمك بحوزتي، ماذا نفعل؟"

هكذا إذن! هتفت لنفسي.

كنت قد بقيت شهراً كاملاً وأنا أبحث عنه. ففي اللحظة التي أعدت فيها دفترك، كنت قد تركت فيه قلمي دون أن أنتبه. ليس غريباً إذاً أني بقيت أفتّش عنه دون جدوى.

Twitter: @ketab_n

لو كان الأمر يخصّ قلماً عادياً، لما كنت اهتممت، لكنه لم يكن قلماً عادياً. كان هذا أول قلم استلمته كهدية عندما بلغت العاشرة من العمر. يجب أن أضيف أنه قد قُدّم إليّ من قبل خالتي المفضّلة، أخت والدتي الصغرى. كنت أعتقد أن هذا الأمر يحدث مع الجميع، نحن جميعاً نعتزّ، بأول هديةٍ نتلقاها. كمثل الكتاب الأول، ساعة اليد الأولى، القرص المضغوط الأول.

من ناحيتي، كنت أحافظ بعناية شديدة على هذه الأشياء.

لهذا فقد أجبتك على الفور : " أنا ممتن لك، سوف آتي لاسترداده"

ولأنه بدا لي من غير اللائق تضييع وقتك ومالك إن أنا طلبت منك أن ترسليه، فقد قررت الذهاب بنفسي لإحضاره. عندما أرسلت لك بقراري هذا، جاءني جوابك كالتالي:" أنا في حرم المدينة الجامعية الآن، سوف أتصل بك عندما أعود إلى المنزل".

وبالتالي فقد تم تأجيل استرجاع قلمي أخيراً حتى عطلة الصيف.

لم يكن هناك حالة طارئة بما أني أصبحت أعرف أين هو، ومن ثم، كنت أغذي رغبتي المتواضعة لرؤية كيف أصبحت تبدين، الآن، بعد أن أصبحتِ تدرسين في الجامعة.

بما أننا كنّا نحن الاثنين نتابع نشاطنا الرياضي إلى جانب الدراسة الجامعية، و بما أن جدول وقتنا كان ممتلئاً بالمباريات والمعسكرات التدريبية، كانت إجازة الصيف على وشك الانتهاء عندما التقينا في 9 سبتمبر (أذكر ذلك تماماً لأنه كان يوم عيد العمّال. كنت أحفظ غيباً كل أيام العطل الأميركية).

Twitter: @ketab_n

ارتأينا أن نرى بعضنا في قاعة المحطة في منتصف الطريق بين المنزلين. وصلت إلى المكان قبل خمس دقائق من الساعة المحددة، لكنك كنت قد وصلت قبلي.

برؤيتك هناك، واقفة وسط الحشود، انتابني شعور غريب، ومبهم. حتى اللحظة، لم أكن قد عرفت أن إحساساً من هذا النوع يمكن له أن يوجد. هل علي قوله؟ إنه الحب. أنا الفتى المتأخر في البلوغ، كنت على وشك الدخول أخيراً إلى عالم الراشدين.

بانزاي![27]

فكرت، أول ما فكرت أنه الحنين. وبالتأكيد، كان هذا أيضاً مثيراً للحنين للغاية.

بعد ثلاث سنوات قضيناها معاً في دائرة واحدة قطرها لا يتجاوز المترين، تركتِ جزءاً منك في داخلي، في مكان حميمي بشكل لا يصدّق. قريب جداً من المكان الذي يتربّع فيه والدي ووالدتي، أو أيضاً، خالتي. كنت أعلم جيداً في أعماقي، أن هذا الجزء الذي منك كان يسكنني، وهو مبتهج جداً برؤيتك من جديد.

هذا دون أن نأخذ بعين الاعتبار المفاجأة التي كنتِ قد جهّزتها لي. كان قلبي يطرق بشدّة، وكنت أطفو في الهواء.

- " مفاجأة؟ سألت ميو.
- نعم مفاجأة.
- أي نوع من المفاجأة؟

---

[27] بانزاي: هتاف نصر ياباني بمعنى طال عمرك عشرة آلاف سنة (Banzai)

Twitter: @ketab_n

- سوف تعرفين"

أصبح شعرك طويلاً يصل حتى الكتفين. ذلك الشعر الذي كان قصيراً جداً أيام الثانوية، والذي بقي كذلك حتى يوم تخرّجنا. ها هو يصبح اليوم متوسّط الطول، الغرّة تصل إلى منتصف الحاجبين، والخصلات مربوطة من كل جانب بواسطة مشبك للشعر. في ذلك الوقت كنت قد تخليتِ عن نظارتك واستعضت عنها بالعدسات اللاصقة، وكان قد سبق لي رؤيتها في الثانوية. لهذا فكرت أن كل شيء قد بقي على حاله، وحده الشعر الطويل هو ما فاجأني. أصبحت تبدين بأنوثة لا تصدّق. لم تعودي كروح ملعقة القهوة، إنما فتاة حقيقية من عمرنا، ذات بشرة دافئة، ورائحة عطرة. كما لم يعد يبدو عليك وكأنك تقولين :" لا شأن لي مع الصبيان، إذاً، اتركوني وشأني" إنما بالأحرى كنت تعطين الانطباع بالقول:" انظر إليّ، واسقط في حبي"

و بما أني كنت صبياً بسيط التفكير، وسريع الابتلاع لكل ما يقع تحت ناظريه، فقد وقعت فوراً تحت تأثير الإشارات التي أرسلتها إليّ. وهمس قلبي قائلاً : " سمعاً وطاعة، سوف أقع في حبك"

لاحظت أنك كنت ترسمين ابتسامة متشنجة. كنت متوترة أيضاً، على ما أعتقد. لأنها كانت، بالنسبة لكلينا، المرة الأولى التي نواعد فيها شخصاً من الجنس الآخر.

- صباح الخير، بعد زمان. قلت لي.
- أجل، مضى زمنٌ طويل.

Twitter: @ketab_n

هنا، لم نعد نعرف ماذا نقول. بعد أن فكرت للحظات عدت لأتساءل:

- اينوكيدا - صان، هل آيو - كون قريبتك؟

فهمتْ على الفور ما أقصده.

- أنت مخطئ، أجبتِ قائلة قبل أن تضيفي : لا بل تيدي - بير.

قهقهنا نحن الاثنين.

في أحد الأيام، في الثانوية، بينما كنت غائباً عن الدرس، وحيداً في صالة نادي ألعاب القوى، مشغولاً بقراءة كتاب "سامدي سوار، ديمانش ماتان، للكاتب آلان سيلليتو [28]". هذا ما قلته للمعلّمة وهي تواجه بديلي " وضع أحدهم دمية دب من القطن في مكانه" فهمت المعلمة قصدك فقالت :" هذا فعلاً ما أريد قوله إنه مشعر جداً".

لم تتوقف الحكاية هنا.

في اليوم التالي، كان ميكي هو الذي يشغل مكاني، سألتك المعلمة السؤال ذاته، وأجبتها الجواب ذاته، فأجابتك قائلة: هذا فعلاً ما كنت أقوله. له أذنان طويلتان جداً.

هنا أيضاً كنت في صالة الرياضة أتابع قراءة الأمس.

فعلت الفكاهة فعلها، وبدون أن أعلم، فقد تناوب على مقعدي العديد من دمى الفرو. من بينها الدمية "ويني، سنوي، دونالد داك،

---

[28] Alan Sillitoe: كاتب انكليزي روايته الأولى Samedi soir , Dimanche matin

Twitter: @ketab_n

وغيرها" واحدة منها تكون كبيرة جداً، والأخرى ناصعة البياض، والثالثة لها فم كبير جداً، بحيث لا تصلح أبداً لتكون بديلي.

الرائع في الأمر، هو أنك كنت تجيبين دوماً بلهجة جديّة، فتجد المعلّمة أمامها في كل مرة عذراً مختلفاً، وهنا كان مكمن الروعة.

لاحقاً، عندما أخبرتني بكل تلك القصص، أصبت قليلاً بخيبة أمل. تمنّيت لو كنت هناك، كي أسمع حواركما أنتما الاثنين.

في النهاية، باختصار، كانت تلك حقبة تثير بنا الحنين.

عندما استرخينا، تذكّرنا أخيراً سبب لقاءنا.

- إذاً، قل لي.
- قلمي أليس كذلك؟
- نعم، قلمك.

سحبتِ مغلفاً أخضر من حقيبة يدك القماشية المزخرفة برسوم الخبيزة.

- ها هو. قلتِ وأنتِ تقدّمينه إلي. لقد انتبهت فوراً للأمر، لكن عندما التفت، كنت قد اختفيت.

- امممم..
- بعدها انشغلت بالتحضير لانتقالي، ولم أستطع الاتصال بك. أنا آسفة.

- لا أبداً. أجبتك قائلاً، هذا خطأي، فأنا من لم ينتبه. ثم، ها هو الآن معي من جديد.

Twitter: @ketab_n

أخرجت القلم من المغلّف كي أنظر إليه في الضوء. " إنه هديه عيد ميلادي من خالتي، أول قلم يشترونه لي."

- كم كان عمرك؟
- عشر سنوات، اشترته من دائرة محطة كيشيجوجي.
- آه، عندما كنت في طوكيو.
- صحيح. كنت أسكن شارع شوفو، في طوكيو، قبل المجيء إلى هنا، في الوقت الذي كنت تعيشين فيه في ميامي آزابو، قرب مرفأ طوكيو. من يعلم،؟ ربما نكون قد تأمّلنا السحب ذاتها في نفس اللحظة، فقد كنا قريبين جداً.
- شكراً جزيلاً لك.
- على الرحب والسعة.

عندئذ كانت المشكلة أن كل شيء قد تمّ وانتهى. فلم يعد هناك أي عائق أمامنا كي نفترق.

لكن لم تعد لدينا رغبة في الافتراق. كنا واقفين وسط الحشود الكثيفة، انتظرنا أن يأخذ واحدٌ منا المبادرة في الكلام. تمنّيت لو تجدين شيئاً تقولينه، وظهر أنكِ كنتِ تفكرين الشيء ذاته.
أمام ظروف كهذه، كان من الطبيعي أن ينتهي كل شيء قريباً، لهذا حاولتُ أن أبادر بكلمة" إذاً..." فنظرتِ إليّ بهيئة متحمّسة.

استمديت جرأتي من تلك النظرة، لأتابع القول:

- ألا تشعرين بالعطش؟ فالجو حارٌ قليلاً.

كنتُ فعلاً أشعر بالعطش.

Twitter: @ketab_n

هززتِ رأسك مرتين علامة على الموافقة.

- في هذه الحالة، هيا بنا لنشرب شيئاً ما.

عدنا فاتجهنا نحو مكان لقائنا الأول في هذه القصّة.

- لحظة وصولنا إلى المعبر من جديد، قررنا أن نحوّل طريقنا لاتجاه آخر. - سألتُ "ميو": "كيف حال ألم رأسك؟

- همم، إنه أفضل قليلاً. يبدو ذلك.

- حسن.

قال يوجي بأنه يشعر بالنعاس، عندئذٍ حملته على ظهري. وبدأت فوراً أسمع صوت تنفسه المنتظم وهو يغط في النوم.

تساءلت بيني وبين نفسي إن لم يكن ما زال يعاني من الدبيله.[29]

- يبدو لطيفاً وهو نائم، قالت ميو.

- إنه يشبهك. خاصّة وهو نائم.

- ربما. هذا يثير بي الشجن، بطريقة ما.

- هل تذكرين طفولته؟

- دون شك. هذا لا يعني أني لا أذكر أي شيء، إنما أشعر بالإحساس نفسه.

- مازلت لا تذكرين أي شيء؟

- مطلقاً. لكن إحساسي كوني زوجتك وأم يوجي بدأا يعودان إليّ شيئاً فشيئاً.

- ألا يؤلمك هذا؟ أن لا تحتفظي بأي ذكرى؟

[29] دبيلة: تراكم كمية من قيح وسوائل في غشاء الرئتين.

Twitter: @ketab_n

- هذا مستفز، لكن لا سبب عندي لأتوتر لأجله، أعتقد أن المسألة مسألة وقت.

- هذا حسنٌ إذن.

ركلت ميو حصاة على طرف الطريق، كانت تلك عادة قديمة لديها. حتى مع غياب الذاكرة، تبقى هذه الأنواع من التصرفات غير الإرادية لا تتغير.

- قل لي، عادت ميو لتقول. أكنت سعيدة أم لا؟

- ألا تعتقدين ذلك؟

- نعم، فأنا تزوجت رغم كل شيء الشخص الأول الذي أحببت، أصبح لدينا صبي رائع، ومن ثم، ما زلنا حتى الآن نعيش حياة سعيدة.

- هذا صحيح...

"هل كانت سعيدة؟ تساءلت في أعماق نفسي.

- تزوجتِ رجلاً مثقلاً بالمشاكل، لم تسافري ولا مرة واحدة، وأنهيتِ حياتك القصيرة في هذه المدينة. هل باستطاعتنا هنا التحدث عن السعادة؟

- وأنت؟ سألتني ميو. هل أنت سعيد؟ هل جعلتك سعيداً؟

- أنا سعيد، أجبت. سعيدٌ جداً.

كنت كالبطريق الذي يطير في السماء. تبعته لارتفاع غير متوقَع، حتى اقتربت من النجوم. نظرت من الأعلى، وإذ بكل الأشياء القبيحة والقذرة التي تحيط بالأرض، كل الأمور التي كانت تعكّر صفو القلب، قد بدت وكأنها بساط رائع.

Twitter: @ketab_n

كانت تلك هي السعادة.

ومن ثم اختفت ميو، فعدت لأصبح بطريقاً عادياً. قام الحزن بزيارتي. لكن بقيت لي ذكرى السماء، كما بقي لي صبي صغير يشبه كثيراً تلك المرأة ذات الأجنحة التي ترفرف في السماء.

بمعنى آخر أصبحت بطريقاً عاقلاً وسعيداً، لكن كان الحزن ينتابه أحياناً.

- هل ترغب أن تقول لي كيف تتابعت الأحداث؟

سألتني ميو، وكنا نستلقي نحن الثلاثة نتأمّل سقف الشقة المغمور بالضوء البرتقالي.

- حسناً، أجبت، هذا المساء سوف أقص عليك أيضاً قصة حتى تنامي.

لكن في الحقيقة كنت قد نسيت أحداث تلك المرحلة. ولو لم تتوقف ميو عن إعادتها للحياة مرات ومرات، لانتهى الأمر بأن تصبح مجرد ذكرى.

إنها قصة غريبة.

هذه الأحداث التي كنت قد نسيتها والتي كانت ميو قد حكتها لي، جاء دوري اليوم لأعيد على مسامعها ما كنت قد نسيته. بدا الأمر كما لو أننا نلعب لعبة "التلفون العربي "[30] بين شخصين. بعد التكرار المتواصل، بدأت هذه الذكريات تأخذ دوراً أكثر جمالاً وأكثر مأساوية

[30] لعبة شعبية بين مجموعة أشخاص تبدأ بهمس كلمة أو تعبير في الأذن، لتنتقل إلى الشخص التالي ،فالذي بعده، حتى تصل للشخص الأخير الذي يقولها بصوت عالٍ، لتصبح مختلفة تماماً عن التعبير الأصلي.وسميت بالتلفون العربي، لأن العرب قبل انتشار الهاتف عندهم، كانوا يتناقلون الأخبار ولمسافات طويلة أحياناً ، بهذه الطريقة.

Twitter: @ketab_n

بكثير من الواقع، لتصبح ربما قريبة أكثر من الأحلام. على أي حال كانت هذه هي حال معظم الذكريات.

لكن لنعد لحكاية أول لقاء لنا.

دخلنا إلى مقهى في مواجهة المحطة، طلبتُ مشروباً غازياً خالٍ من السكر وطلبتِ أنتِ قهوة مبرّدة. بعد ثلاث سنوات أمضيناها جالسين الواحد قرب الآخر، أو الواحد وراء الآخر، كانت تلك هي المرة الأولى التي نجلس فيها وجهاً لوجه.

كانت تلك أيضاً هي المرة الأولى التي تمعّنت فيها في وجهك باهتمام. كان لديك عينان واسعتان بأهداب مصقولة، وأنف مرفوع، وشفاه ناعمة، وبروز مزدوج للقواطع. كان وجهك من تلك الوجوه التي تعطي شعوراً مختلفاً للغاية، اعتماداً على من ينظر إليها.

أما بالنسبة لي، فقد شعرت لحظتها أن شكل هذا الوجه هو ما أحببته، منذ طفولتي. لأن الحب بحد ذاته، هو شيء من هذا القبيل.

بادرتك بالقول : لقد طال شعرك.

أجبتني قائلة : في الحقيقة كل فتيات فريق الرياضة لهن التسريحة ذاتها.

(كعكة مرفوعة كما شرحتِ لي.)

- هذا يجعلك تبدين بصورة مختلفة، بشكل ما.
- هل ترى ذلك؟
- هممم، تبدين راشدة.

أجبتني أني أنا أيضاً أبدو كذلك: تعطي الانطباع أنك بالغ.

Twitter: @ketab_n

سألتني إن لم أكن قد كبرت قليلاً، أجبتك بنعم.

- كم يبلغ طولك؟

- ما يقارب المتر وسبعة وسبعين، لكن كما أي عدّاء للمسافات المتوسّطة، أرغب أن يزداد طولي أكثر.

- تبدو أطول من ذلك.

- هذا بسبب حذائي.

عندما كنا في الثانوية، لم نكن نرى بعضنا إطلاقاً خارج الصف. لذلك، كنا دائماً ننتعل الخفّ. الخف الذي كنت أنتعله أكثر الأحيان كان زوجاً من حذاء البولينغ المتروك في غرفة التدريب.

شكّل هذا الأمر موضوعاً لقصة مشوشة، حيث كانوا يقولون إن هناك طالباً سابقاً كان في الماضي يقترض دون إذنٍ، حذاء من ركن نادي البولينغ. كانت مقدمته ونعله بلون نيلي، والجانبين بلون أبيض. ورقم 61 مكتوب بلون أرجواني. انتعلتُ هذا الحذاء طيلة ثلاث سنوات في المدرسة.

بالعودة إلى ذلك اليوم، فقد كانت تلك هي أول مرة أراك فيها ترتدين ثوباً مشمشي اللون، وأول مرة أرى أنك قد وضعتِ أحمر شفاه. أيضاً كانت تلك أول مرة أرى فيها شعرك مسترسلاً، وأول مرة أشعر فيها بتلك الحركة المضطربة تلتف حول قلبي وأنا أتحدث معك.

كان من الصعب عليّ إيجاد أي شيء فيك، لم يكن يشكّل بالنسبة إليّ المرة الأولى، كانت تلك هي المرة الأولى لكل شيء.

Twitter: @ketab_n

قضينا خمس ساعات في المقهى، لم أكن لأصدّق ذلك. عن ماذا استطعنا التحدّث؟

كنا نأمل أن يتعرّف كلّ منا على الآخر. وبما أننا كنا نحن الاثنين جديّين، كان لدينا شعور أنه متى عرف كل منا الآخر فسوف نصل إلى الحب.

لا نستطيع أن نتماسك بالأيدي دون أن يعرف أحدنا شيئاً عن الآخر. كيف يمكن لنا احتضان فتاة قبل معرفة اسم والديها؟ أي حجم، وأي مقاسات للملابس نرتدي، وفي أي سن بدأنا السير، وكم من الوقت نستطيع البقاء تحت الماء دون أن نتنفّس...ففي النهاية لا نستطيع بلوغ المرتبة العليا للحب إلا بعد معرفتنا بكل تلك التفاصيل.

من المهم أن نتعارف. هذه الرغبة في معرفة الآخر تعود لرغبتنا في الكشف له عن حقيقة طبيعتنا. ربما كانت تلك هي الطريقة الوحيدة لرؤية الأشياء، لكننا نحن اخترنا هذا المسار الذي قرّبنا ببطء من بعضنا.

من هنا جاءت أهمية تبادل الحديث. تناقشنا على مدار خمس ساعات تقريباً، لكننا لم نتلامس ولا حتى بإصبعنا الصغير. كم من الكلمات ينبغي علينا تبادلها قبل أن نتزوج؟ (كنا في الثامنة عشرة من العمر ، وكنتِ بالنسبة إليّ الموعد الغرامي الرسمي الأول، ومع ذلك كنت أفكر جدياً في الزواج. كنت أعتقد أن هذا ما يعنيه الخروج معاً).

كنت مدركاً بشكل مبهم أن الأمر يستغرق بعض الوقت قبل تبادل أول قبلة. لم أكن مستعجلاً. كان لدي شعور بأننا ما دمنا سوف نقضي

Twitter: @ketab_n

العمر معاً، فلدينا الوقت الكافي لذلك. كان قد مضى ثلاث سنوات بين أول يوم تبادلنا فيه الكلام، وبين هذا اليوم الذي شكّل موعدنا الأول، وبالتأكيد، فسوف نتبادل القبل خلال الثلاث سنوات القادمة.

هذا ما كنت أفكر به.

خمس ساعات من الحوار، جعلتنا نقترب قليلاً من تلك القبلة.(في اللحظة التي سنتبادل فيها القبلة، ألن يزعجنا قاطعك المزدوج؟) كنت أفكر بهذه الأنواع من الأمور وأنا أنظر إلى شفتيك.

من ثم، حلّ الليل، وحان وقت العودة.

إن أعدت التفكير بذاك اللقاء الآن لقلت إنه كان لقاءنا الأول، أو نستطيع القول بمعنى آخر إنه كان الخطوة الأولى باتجاه ما يلي، حتى ولو لم أكن بعد واثقاً كفاية من نفسي كي أفكر بهذا الشّكل. كان تفكيري منصبّاً في تلك اللحظات، على كيفية حصولي على موعد ثانٍ، أكثر منه عن الزواج، أو القبلة.

خرجنا من المقهى، واشترينا بطاقات من ردهة المحطة. ختّمنا بطاقاتنا ودخلنا الرصيف. كان قطاري سيصل بعد خمس دقائق، وقطارك بعده بدقيقتين. ومع ذلك، لم أكن أفعل سوى إفساد الأمر على طريقة البطاريق الأباطرة التي تربي صغارها.

(لم أعرف البتّة كيف وصلنا إلى هذا الموضوع، لكني كنت أعرف بشكل جيد بخصوص موضوع البطاريق الأباطرة، سوف أحدّثك بذلك لاحقاً).

Twitter: @ketab_n

بدوت وكأنك كنت تصغين باهتمام شديد. لكن في أعماقي كان قد نفد صبري. فقطارك على وشك الوصول، وقطاري قد وصل.

"إني... قلت، سوف أنتظر معك قطارك وسوف آخذ القطار التالي.

ثم لم يلبث قطارك أن وصل بسرعة.

- آه... قلتِ، أستطيع أنا الأخرى أن آخذ القطار التالي إذن.."

كان يتوجّب عليكِ العودة إلى المدينة الجامعية في الساعة السادسة (هناك منع تجوّل مفروض على الطالبات بعد الساعة السادسة مساءً! في هذه الحالة لن نتمكن أبداً في الذهاب لرؤية الألعاب النارية...)

كان يفصل بين وصول القطارين سبع دقائق، لكن هذه السبع دقائق مرّت كلمح البصر. أعتقد أن الأمر سيكون نفسه لو كان الفارق ثلاثين يوماً. فأغلب القرارات تؤخذ في اللحظة الأخيرة.

وصل قطارك، وفُتحت الأبواب، وبدأ المسافرون على رصيف المحطة ينحشرون داخل العربات، أنت أيضاً، لحقتِ بهم. التفتِ وابتسمتِ لي. عندئذ، هنا في هذه اللحظة صرخت قائلاً: أوه.. متى نلتقي مرّة أخرى؟ صفّر جرس الانطلاق. وأجبتِ.

- يجب عليّ أن أغادر قريباً.

رفعتِ صوتك بعد أن ازداد ضجيج صافرة القطار:" سأكتب لك " ومن ثم، أغلقت الأبواب.

- آه، حسناً . قلت للقطار المغادر.

Twitter: @ketab_n

لكن هذا لا يهم: لن يتوقّف الأمر هنا. فالبدايات والنهايات هي أيضاً مختلفة شأنها شأن الخروج والدخول. عندما نكون عند باب الدخول، نكون واثقين أن هناك شيئاً ما في الجهة المقابلة. شيئاً رائعاً لا يمكن الشك بروعته.

هذا ما فكرت به لحظتها.

وصلت رسالتك بعد أسبوع. في اليوم التالي حرّرت الجواب وأرسلته. من جديد، استغرق الأمر أسبوعاً آخر حتى وصلني الرد. هذه المرّة، انتظرتُ ثلاثة أيام قبل أن أرسل جوابي.

واستمرّ الأمر على هذه الوتيرة.

بالتأكيد لو كان الشخص أكثر عاطفية لكان قد شعر بالضيق، لكن بالنسبة لنا بدا هذا الإيقاع مريحاً. هذا العشق بين شخصين رزينين، تافهين، من ذوي سن البلوغ المتأخر. كان عشقاً يتفتّح باعتدال، بهدوء، وببطء. ربما كان يشكّل هذا نوعاً من أنواع الرفاهية ضمن هذا العالم الصاخب.

في مكان إقامتك في " ستاغايا" لم يكن يُسمح بإجراء أكثر مَن اتصال هاتفي واحد. كان يوجد أيضاً غرفة هاتف عمومي في الخارج تماماً قرب المكان. لكن لم يكن مسموحاً الخروج لاستعماله بعد حظر التجوّل. أما بالنسبة للهواتف الخليوية، فلم تكن منتشرة كثيراً بعد، وحتى لو كانت منتشرة لما سمحوا باستخدامها دون شك.

كنا نكره الهاتف.

Twitter: @ketab_n

كان الهاتف فظاً، متكبّراً مزعجاً، وفي أغلب الأحيان يضعنا على اتصال مع أشخاص وقحين، متعجرفين، ومزعجين: بائعون، مرشحون لاصطياد الأصوات، أصدقاء ليسوا مقربين ينقلون إليك طلبات شخص ثالث. يظهر أن الأشخاص الذين من هذا النوع يبدون الكثير من الألفة مع الهاتف.

علاوة على ذلك، كانت الكلمات الأولى المنطوقة على الهاتف عبارة عن غطرسة عميقة.

" واتسون، تعال إلى هنا فوراً!" (هذا غراهام بيل بالطبع.)

هذا ما يقوله من كان يتحدث مستفيضاً حول مستقبل الهاتف.

على كل حال، فضّلنا التواصل عبر الرسائل بدل الحديث بالهاتف.

كان لديكِ خطّ رائع. مسار ساحر يُذكّر بالطالبة المجدّة التي كنت عليها، الفتاة الطويلة القامة والنحيلة، والتي كان صوتها يرتعش قليلاً عند نهاية الكلمات. فجأة، أصبحتُ خجولاً وأنا أنظر لكتابتك، فقد كان خطي سيئاً بشكل لا يُصدّق. وإن أخذتني بحلمك قليلاً لبررت لك هذا بشكل سريع، ولقلت بأن السبب في ذلك يعود إلى والديّ. فعندما كنت طفلاً ، كان لديّ تاريخ من الإحباط كوني أعسر- كان والديا يعتقدان- نسبة إلى إحصائيات غير دقيقة - أن الولد الأعسر- لا يعيش طويلاً. لذا فقد ربطا يدي اليسرى، فوجدت نفسي- مجبراً على استعمال يدي اليمنى، والتي كنت بها أمسك بعيدان الطعام، أو أرمي الكرة أو أخط حرفاً بطريقة جد خرقاء، وفقدتُ بالتالي يدي اليسرى المعاقة والمشوّهة، كل الإمكانيات للعمل بشكل طبيعي. الآن، مازلت أكتب بشكل سيء إن أنا استعملت هذه اليد أو تلك.

Twitter: @ketab_n

أعتقد بأنك احتفظت برسائلي بين مقتنياتك، لكن لم أكن أرغب في أن تعودي للنظر إليها.

- أما زلنا نحتفظ بتلك الرسائل التي أرسلتها لك؟ سألت ميو.
- بالطبع، فقد أحضرتها معي عندما تزوجنا.
- أحب أن أقرأها. أتساءل ما الذي كان بإمكاني أن أكتبه لك.
- أشياء تافهة، حول تمارينك في النادي، وأحلامك في المستقبل...
- أحلامي في المستقبل؟
- نعم.
- أعتقد أني وجدت عملاً بعد انتهائي من دراستي؟
- الحقيقة، بما أنك قد أنهيت الجامعة في عامين، فقد عملتِ وأنت في العشرين من عمرك.
- ماذا اخترت كمهنة؟ أهي مهنة أحلامي؟
- تماماً. لقد حصلتِ على ما أردت.
- أتساءل ماذا كان ذلك. أريد أن أعلم. هل من الممكن أن تقول لي؟
- لقد أصبحتِ معلمة رقص في نادي رياضة اللياقة.
- الرقص؟
- نعم. التمارين الرياضية، الأيروبيك.
- أنا؟
- نعم، أنت.
- لا أستطيع تصديق ذلك.
- إيه، بلى. لكنك تعرفين، تابعتُ قائلاً، بما أنك كنت قد مارست الجمباز لمدة طويلة في الثانوية والجامعة، فلم تعد تلك المهنة بعيدة عنك.

Twitter: @ketab_n

- أجل. أرى ذلك. هذا لأني كنت أمارس الجمباز.
- همم، على كل حال، كنت تعشقين الحركة. ومن ثم، كان هذا حلمك دوماً أن تعلمي. لهذا فقد اخترتِ مهنة التعليم التي كانت تسمح لك بنقل فرح الرقص إلى قلوب الناس.
- فكرت بالرغم من ذلك أني كنتُ أفضّل أن أصبح معلمة...
- لكنك في هذه الحالة كان يلزم لك شهادة اللياقة البدنية.
- إذن بقيت أعلّم حتى زواجي؟
- حتى أصبحتِ حاملاً، في الحقيقة، بما أنه مضى بعض الوقت حتى عرفتِ فيه بحملك، فقد تابعتِ العمل حتى وأنت حبلى.

أطلقت ميو تنهيدة المستغرق بأفكاره.

- حياتي... قالت وهي تنظر للأعلى الغارق باللون البرتقالي. في مكان ما...
- هممم...
- في مكان ما أشعر أني قد قمتُ بفعل الكثير. أعرف أني كنت طالبة جديّة ووديعة.
- هممم.
- لذا، فالحياة التي أتخيلها من خلال تلك الطالبة الجديّة، تبدو لي أكثر سريّة، وأقل تعقيداً.
- آه، ربما.
- أليس كذلك؟ فقد اخترت عملاً لأجل استقراره، وسمعته اللائقة بالنساء، وبتلك الحياة التي هي في النهاية حياتي، دون الأخذ بعين الاعتبار الحب أو الكراهية. هكذا أتخيّل نفسي.

Twitter: @ketab_n

- هممم
- وإلا لما كنت ارتبطت عن حب، بل كنت سأتزوج زواجاً مجهّزاً من العائلة أو من قبل إحدى الخالات القبيحات، وأعيش راضية بهذه الحياة التي ستكون هي حياتي. أعتقد بأنك لو حكيت لي قصة من هذا النوع لصدقتها بكل تأكيد على الفور.
- أعرف. على كل حال، أنت غالباً ما كنت تقولين أشياء من هذا النوع " اعمل الأفضل ما استطعت إلى ذلك سبيلاً " كنت من هؤلاء اللواتي يأخذن بشكلٍ منتظم الطريق الأسلم، لكن عندما كنت تلاحظين أنك فوق جسر ضيّق حتى دون منع التجول، كنت تغلقين عينيك، وتأخذين في الركض بكل ما أوتيتِ من قوة.
- حقاً؟
- هممم، كنت غير عادية.
- مذهلة؟
- كونك تزوجتِ رجلاً مثلي، فهذا يعني أن قرارك كان مذهلاً، ولا يُصدّق.
- لكن...
- اسمعي، قلت أني سوف أحكي لك عن كل ذلك لاحقاً، عن كل المشكلات التي تسيطر عليّ.
- نعم.
- إن أخذنا كل هذا بعين الاعتبار، لبدت الحياة التي اخترتها غير تافهة على الإطلاق، لكن بالمقابل، لم تكن دون مشاكل أيضاً.
- حقاً؟
- أؤكّد لك.

Twitter: @ketab_n

- إذن تريد حقاً أن تحكي لي عنها؟
- سوف نتابع غداً.
- أنت تمزح!
- أنا جاد.
- جعلتني أصبر حتى اليوم؟
- هممم. لأني متى بدأت سيأخذ مني الحديث وقتاً طويلاً...
- لكن...
- إن لم أنم بسرعة، فلن أستطيع العمل بشكل صحيح غداً. هذا هو السبب.
- لم تتجاوز الساعة العاشرة والنصف بعد.
- وهذا بالفعل وقت متأخر جداً بالنسبة لي.
- أكيد؟
- همم، إذن ليلة سعيدة.
- ليلة سعيدة.

عادت لتقول:

- هل فعلاً تريد النوم؟
- فعلاً.
- إذن ليلة سعيدة.

" حقاً؟ "

- هاه؟
- هذا يوجي يتحدّث وهو نائم. لا تهتمّي للأمر. ليلة سعيدة.

"حقاً؟"

Twitter: @ketab_n

11

وأنـا عائـد مـن عمـلي عـلى دراجتـي أقـود بأقصىـ سرعـة، رأيـت البروفيسور نومبر وبووه أمامي. توقفت بمحاذاتهما وناديته :

- بروفيسور!

تفحّص نومبر الفراغ قليلاً قبل أن يقـع نظـره عـليّ: "أووه" ؟ :" أين كنت؟

سألني كما كان من عادة ميو أن تسأل عندما أتأخر في العـودة إلى البيت. فهذا النوع من الانقطاع كان أيضاً من ضمن عاداتي.

- بادرني البروفيسور قائلاً: عائد من العمل.
- صحيح.
- هل يوجي الصغير بخير؟
- إنه بخير، شكراً لك، وأنت؟
- أوه. مازلت على قيد الحيـاة. عنـدما نصـل إلى عمرنـا، هنـاك دوماً أمر ما نعاني منه. عندما يصبح الألم الذي نشعر بـه خمسـة مـن عشرة، فهذا يعني أننا بخير.
- إذن أنتِ اليوم عند الرقم خمسة؟
- في هذه الحدود.

Twitter: @ketab_n

رفع بووه عينيه نحوي مصدراً صوت " ~؟"

- إنه كلب جيد. قلت لنومبر. وحككت له أسفل بطنه.
- والرواية؟ هل تعمل عليها؟ سألني نومبر.
- كلا، فقد وضعتها جانباً في هذه الفترة.

"ولكن لماذا؟ " هكذا بدا نومبر وكأنه يريد أن يسأل.

شعرت بدافع قوي يصعد بسرعة في داخلي. دافع كان يتساءل : هل أقول له كل شيء؟

هل أحكي له عن ميو؟ هل أستطيع الوثوق به؟

- ميو... قلت لأبدأ الحديث.
- ~؟.. قال بووه.

نظر إليّ نومبر آخذاً الشكل ذاته.

- هي...؟
- ماذا لو قلت لك إنها قد عادت، ما رأيك بالأمر؟

انطلقت من نومبر كلمة "آاه" وكأنه قد اقتنع.

- إنها روايتك. أليس كذلك؟ هي نقطة البداية؟

قمت بعمل إشارة مبهمة برأسي قبل أن أتابع لأقول:

- هذا ما قالته قبل وفاتها. إنها ستعود في موسم المطر. لترى كيف ندبّر أمورنا نحن الاثنين.

Twitter: @ketab_n

أصغى نومبر للحديث دون أن ينبس ببنت شفة.

- وقد عادت بالفعل، كانت قرب المعمل القديم المتهدّم، في الجهة الأخرى للغابة.

اكتسى وجه نومبر مسحة من الشك.

تابعت قائلاً: عندئذ، أخذناها إلى البيت، لكنها فقدت ذاكرتها. لم تعد تعرف من تكون، ولا أنها قد تركت هذا العالم منذ عام.

- هذه خيوط روايتك؟

- لا، بل الحقيقة، إنها تنتظرني في البيت، في هذه اللحظات بالذات.

- ميو؟

- نعم، ميو.

- لنقل الأمور بشكل أفضل...

- طيفها، أجبته قبل أن يتسنّى له قول ذلك.

- أليست تلك حبكة روايتك؟

- كلا.

حوّل نومبر نظره باتجاه بووه القابع تحت قدميه. رفع بووه عينيه نحوه. بدا وكأنهما يتداولان فيما بينهما لمعرفة إن كان يجب عليهما تصديق قصّتي. قررت البقاء والانتظار حتى يتوصّلا إلى نتيجة.

كانت ميو تحب البروفيسور.

عندما جئنا للسكن هنا في هذه المدينة، كان نومبر هو أول شخص تبادلنا معه الحديث. صادفناه في المتنزّه رقم 17، في إحدى الليالي وهو عائد من التسوّق لأجل العشاء. حصل هذا منذ سبع سنوات.

Twitter: @ketab_n

بدا نومبر مذ عرفناه كبيراً في السن (مثله مثل رئيسي في العمل). بووه، الذي كان أصغر سناً من الآن، بدا كهيئة شاب صامت وحذر. مذ ذاك الوقت، كان لا يستطيع النطق بأكثر من "~؟"

من حينها، تابعنا رؤيته عدّة مرّات في الأسبوع، في المتنزّه رقم 17، كي نتبادل نقاشات ليست بالطويلة ولا بالقصيرة، محافظين هكذا على صداقة ليست بالمتينة ولا بالسطحية. وكزوجين، لم يكونا أبداً موهوبين بالعلاقات البشرية، شكّلت هذه الأحاديث البسيطة مع البروفيسور نوعاً من نشاطنا الاجتماعي الوحيد بشكل ما. كان نومبر يحب ميو كابنته الصغيرة وهي بدورها بادلته هذه العاطفة.

لهذا السبب أحببت أن أجعلهما يلتقيان مجدّداً قبل نهاية موسم المطر، قبل أن تعود أدراجها نحو كوكب الأرشيف. لابدّ وأن ميو قد نسيت كل شيء فيما يخصّ البروفيسور، لكن ربما، إن هي التقت به، فسوف يحدث شيء ما فيما بينهما. لهذا، يجب أن أتأكّد من أن نومبر قد فهم تماماً حقيقة الأمور. فلو حدث وجعلتهما يلتقيان بشكل مفاجئ، لربما خفق قلب العجوز بشدة قبل أن يتوقّف نهائياً عن العمل .

- لكن... قال نومبر، ميو... بأي هيئة بدت؟

اكتسى وجهه هيئة مضحكة، كان كمن يبحث عن صيغة لبقة ليسأل إن كان لديها قدمان.

كالعادة. أكّدت له قائلاً. إنها تبدو تماماً كما كانت من قبل، بشكلها الجسدي، بطباعها، وصوتها، ورائحتها... لا ينقصها غير الذكريات.

Twitter: @ketab_n

- حقاً؟

بدا وكأنه قد ارتاح قليلاً.

- هل تريد رؤيتها؟

أجابني بهزّة خفيفة من رأسه. هزّة لم تكن لتختلف كثيراً عن رعشته الدائمة، ومع ذلك كنت متيقّناً أنها كانت تدل على الموافقة.

- إذن... إلى الغد، في المتنزّه رقم 17.
- في الساعة المعتادة؟
- نعم، سوف آتي بها معي.
- ممتاز. سوف أكون في المكان ذاته، على المقعد.
- اتفقنا.

عندئذٍ ودعّت البروفيسور وبووه وأخذت طريقي نحو منزلي راكباً دراجتي.

Twitter: @alqareah

12

- هل من الملائم أن يشعر أحدهم بالرغبة نحو شبح زوجته؟

هنا أيضاً تبرز مشكلة في النسبية. بتعبير آخر، إن كنت قد شعرت بذلك فهذا يعود لحالتها. كنت أعي أنها بالرغم من كونها شبحاً، إلا أنها تتمتّع بجسم سليم وجذاب بشكل لا يوصف، والذي، على غرار تلك المواد الكيميائية الشهيرة، يرسل رسائل صامتة، لنا نحن الرجال.

" هيه، انظروا، أنا أفيض نضجاً، باستطاعتي حمل أطفالكم متى أردتم"

هكذا كانت تتكلّم صدورهم الممتلئة، وجسمهم النحيل " ثقوا بنا!" كان تهمس لنا أوراكهم السامية.

لكنها كانت شبحاً. والأشباح لا تنجب. في حالة كهذه كيف باستطاعتها أن تكون جذابة إلى هذا الحد؟

رأيت ميو تخرج من تحت الدش وتجفف يوجي بينما كنت أملأ لنفسي كأساً من الماء وأشربه.

شقّتنا مجهّزة بمنطقة صحية قرب المغسلة، حيث كان من عادتنا خلع ثيابنا فيها: كان يوجد ستارة من فينيل[31] لكنها لم تكن مسدلة. لهذا كنت أرى بشكل جيد ظلالهما، من المكان الذي أنا فيه.

---

[31] Vinyle: ادة بلاستيكية تستعمل لصناعة الأثاث والملابس.

Twitter: @alqareah

كانت مستكينة دون مقاومة، عارية تماماً، مشغولة بتجفيف يوجي. تأمّلت هذا الجسد الذي لم أره منذ زمن. على ما أذكر كانت أكثر نحولاً، لكن نهديها بالرغم من صغر حجميهما كانا يهتزّان وهي تنحني. وقد نما ظهرها كمدرّسة للرقص ونضج بشكل واضح، وكان يهمس لي " ثق بي! "

عادت إليّ ذكرياتنا الجميلة المليئة بالرقة والدفء.

رفعت ميو رأسها ونظرت إليّ.

بالرغم من أنها لم ترتبك، لكنها رفعت ببطء المنشفة كي تغطي جسد ها. وبما أنها كانت تحدّق في وجهي طول الوقت، فقد ابتسمتْ بخجل قبل أن أبتعد.

- لاحقاً قالت لي: انتظر قليلاً، ليس على الفور.
- هممم
- لست جاهزة بعد داخلياً. لدي قناعة بأني حقاً زوجتك لكن "هذا"...
- آه، هذا؟
- نعم، هذا.
- يجب ألا تقلقي على الإطلاق، فرغباتك أوامر، إن كنت لا ترغبين، فأنا الآخر لا رغبة عندي أيضاً.
- أأنت متأكّد؟
- بالتأكيد.
- لكن... عادت لتقول. منذ قليل عندما رأيتني عارية، بدت الرغبة واضحة في عينيك.

Twitter: @alqareah

- آه، آسف. أنا فقط أتجاوب مع بعض الذكريات.
- الذكريات؟
- ذكرى أيام ماضية... ذكرى رقيقة ومليئة بالدفء.

القسم الأول من كلامي كان كاذباً، والشطر الثاني كان صادقاً.

- حقاً؟

بدت نظرتها حالمة، وهي تستطرد وتقول: نحن الاثنين، كنا... تلعثمت قليلاً قبل أن تتابع كلامها: هل كان الأمر جيداً؟

- آه، هذا...؟
- نعم؟
- هذا...

في ذاك الشتاء عدنا فالتقينا يوم الاثنين من العام الجديد. كان هذا لقاءنا الثاني.

- كان قد مضى- على لقائنا الأول ثلاثة أشهر. أليس كذلك؟ قالت ميو من الجانب الآخر للطاولة.

كان يوجي يتابع درساً في اللغة الإيطالية في التلفاز بانتباه شديد. الأجدر أن نقول بأنه كان يعشق الشابة التي كانت تلعب دور الدليل.

- تماماً، لكننا كنا قد تبادلنا الكثير من الرسائل. قلت لها. بمعنى آخر كنا كمن يتبادل بشكل مستمر الكلمات من أجل عبور الباب. في ذلك اليوم كان عندي إحساس أن الباب سوف يُفتح دفعة واحدة. شعرت باستمرار وجودك قربي.
- فاكسيامو، ميتا ميتا! صرخ يوجي.
- عفواً؟

Twitter: @alqareah

- هذا يعني " نفعله نصفاً نصفاً. شرحت لها.
- آه، فهمت.

هذه المرّة أيضاً، التقينا في صالة محطة القطار. بما أنك سبق وكنت قد وصلت في لقائنا الأول قبل خمس دقائق من وصولي بالرغم من أني كنت قد وصلت قبل الموعد المحدد بخمس دقائق، فقد حرصت على أن أكون في المحطة قبل خمس عشر دقيقة. بعد أن تأكّدت أنك لم تصلي بعد، ولم أرك ولا في أي مكان، أخرجت كتابي من حقيبتي وبدأت أقرأ. كنت أقرأ للمرة الثالثة كتاب "فونغيت" "صفّارات إنذار تيتان [32]". كانت النهاية في كل مرة تبكيني. وهذه المرة، أيضاً، كما هو متوقّع، طفرت الدموع من عيني.

- آيو - كون؟

رفعت أنفي، فرأيتك أمامي.

- هل تبكي؟ سألتني.
- هممم، نعم، أبكي.
- ما الذي يؤلمك؟

مددت نحوك بنسخة رواية " صفّارات إنذار تيتان" كان الغلاف يشبه عظام كلب مربوط بطوق.

- أهذا ما يجعلك حزيناً؟

هززت رأسي بالموافقة.

---
[32] رواية للكاتب فونغيت صدرت عام 1959

Twitter: @alqareah

بعد ذلك، خلال زمن لا أعرف مدته، عرفتِ أن هذه الرواية تتحدّث عن موت كلب محبوب جداً.

نظرت إلى ساعتي: كنا لم نزل قبل عشر دقائق من الساعة المتفق عليها. اتجهنا نحو مقهانا الخاص.

- الآن عندما أتذكر ذلك... قالت، أتذكر بأنك كنت تحمل دوماً كتاباً معك. إن كان في أوقات فراغك، أو خلال فترة الدراسة.

- هذا صحيح.

- أنا أيضاً أحب القراءة، لكنني لا أحب إلا القصص من نوع شرلوك هولمز وأرسين لوبين.

- أعرف.

- آه صحيح؟

في الواقع تفحصّتك أكثر بكثير مما تعتقدين.

قلت لك: سترة الموهير هذه تليق بك كثيراً.

أجبتني : شكراً.

عندما أصبحنا في المقهى، وبعد أن أوصينا بطلباتنا. أخرجتُ حزمة مغلّفة من حقيبتي ووضعتها على الطاولة.

- قريباً سيكون عيد ميلادك.

ودفعت بالحزمة نحوك.

- هدية، لعيد ميلادي.

بدوتِ سعيدة بشكل لا يصدّق. نظرتِ إلينا، أنا والحزمة. الواحد تلو الآخرى، قبل أن تُعربي عن سعادتك.

Twitter: @alqareah

- إنها المرة الأولى التي أتلقّى فيها هدية من شاب بمناسبة عيد ميلادي. شكراً لك.

كان ورق التغليف يعود إلى رزمة من الحلوى كان والدي قد تلقّاها بمناسبة نهاية العام. فاح عطر فانيليا عندما فُتحت:

- أهذه لي؟ عدتِ لتسأليني.
- أجل لكِ. إينوكيدا - صان.

كان ذلك رسماً، بقياس A4، ضمن إطار من البلاستيك الرخيص الثمن. عبارة عن صورة ظليلة لك، مرسومة من الخلف، بالريشة والحبر الأسود. لا أدري لماذا حين كنت أحاول أن أتذكر شيئاً ما، كان شكل ظهرك هو كل ما يأتي إلى ذاكرتي . بالتأكيد، كان يجب أن أكون سعيداً بأنك تركتِ شعرك لينمو. فكما ترين، أنا لدي شعر أشعث مجعّد بشكل لا يوصف، لهذا فقد كنت دوماً منجذباً نحو الشعر الجميل. كنت أتصوّر أن هذا أيضاً يشكل نوعاً من الإعجاب المبالغ به، بالرغم من أنه مبرر أكثر من وجهة النظر البيولوجية، عن الميل نحو الخف ذي الكعب العالي.

- لقد أفرحني ذلك كثيراً... سوف أعتني بها بشكل جيد.

عندما أعود وأفكر بهذا الآن، بوجودك، بالهدية الخفيفة الثمن التي لاقت كل هذا الإعجاب من طرفك، أشعر كم أنت غالية بالنسبة إلي. فلم يكلفني ذلك أكثر من ألف ين بالمجمل. الطلاب الذين ينذرون أنفسهم للعلم كانوا في أغلب الأحيان فقراء فقراً مدقعاً. اليوم أشك بأن أي طالبة قد تبتهج بهدية من هذا النوع.

قلت لي أني موهوب بالرسم.

Twitter: @alqareah

- أريد أن أدرس الفنون الجميلة.
- لماذا لم تذهب إذن؟
- بسبب انحسار في بصري.. فهو سيء لدرجة أني بالكاد أستطيع تمييز حتى لون الأحمر الناري.
- لم أكن أعرف ذلك.
- و أنا أيضاً. كنت أعتقد أن كل الناس ترى العالم كما أراه أنا.
- حقاً؟
- هممم. عندئذ قال لي أحد الأساتذة أن أكفّ عن الاهتمام بالأمر، وأن أصبح موظفاً عادياً، بهذه الطريقة، لن يكون لدي مشاكل. أجبتني بأن هذا أمر مؤسف، وأن رسمي يشبه مع ذلك أحد المصورين.

في ذلك الوقت، أنت تعرفين، كانت كل كلماتك العادية، تعيد لي الثقة في النفس. والأهم، هو أنك كنت لا تدركين ذلك.

تلك الكلمات التي كنت تقولينها دون أن تكوني واعية بها، هل تعرفين كم جعلتني فخوراً؟

قلتِ لي أنكَ أنت أيضاً قد جلبتِ لي هدية. حتى وإن كان يوم ميلادي أو يوم عيد الميلاد لم يزالا بعيدين.

- لابدّ وأنك تشعر بالبرد عندما تركض أليس كذلك؟ إذن. إليك هذا.

أخذتها وأنا أشكرك . كم جعلتني هذه اللفتة سعيداً... سعيداً بالفعل. لهذا... فأنا حتى اليوم أعتني كثيراً بساتر الأذنين ذاك. كانت تلك أول هدية أتلقّاها منك.

في ذلك اليوم أيضاً، بقينا نتحدّث لخمس ساعات كما هو متوقع.

Twitter: @alqareah

- لنتحدّث هكذا، فقط بالكلمات المتبادلة، ونحن قريبان من بعضنا البعض؟
- بالتّأكيد. والدليل على ذلك هو أننا أمسكنا بأيدي بعضنا.
- شيء لا يُصدّق.
- أليس كذلك؟
- وذهبنا إلى أبعد حدود.
- هذا رائع.
- في الحقيقة ليس إلى هذه الدرجة.

عندما رأيتك تنفخين في يديكِ لتدفئينهما ونحن بانتظار القطار سألتك:

- أتشعرين بالبرد؟
- نعم، نسيت قفازي، وليس لدي جيوب.

فعلاً لم يكن لسترتك الموهير ولا لتنورتك الطويلة ذات القماش المربع أي جيوب. كنت أعرف أنك ترتدين عدّة طبقات تحت كنزتك، لكن لم تكوني ترتدين فوقها لا سترة ولا معطفاً.

- أعيرك جيوبي إن أردتِ.

وقفتِ قربي ونظرتِ إلى وجهي، ثم أخفضتِ عينيكِ من جديد قبل أن تعاودي النفخ على أصابعك. مرت بضع دقائق من الصمت وأنت تتردّدين، ثم قلتِ: " حسناً إن كنتَ تسمح لي"

عندئذٍ وضعتِ يدك اليسرى داخل جيب معطفي. وبما أن يدي اليمنى كانت بالأصل موجودة هناك، فمن الطبيعي أن تتلامس أصابعنا. كانت يدك فعلاً مثلّجة. صغيرة ناعمة. بدت وكأنها تائهة تماماً.

Twitter: @ketab_n

دون أن أفكّر بالأمر، أمسكتُ بيدك اليسرى داخل جيبي. وكما حيوان صغير مرعوب، أبدت أصابعك حركة مفاجئة، قبل أن تسترخي ببطء.

- هكذا، كأكلة اللحوم عندما تبتلع حيواناً وهو يدخل إلى عرينها.

- نعم، شيء من هذا القبيل. تركتُ نفسي ألتهمك.

- يا للوليمة!

- بعد أن تدفأت يدك اليسرى، غيّرنا من أماكننا، وجاء دور يدك اليمنى. أهلا بكِ في الجيب الأيسر.

وبما أنها كانت المرة الثانية، فقد كنا أكثر استرخاءً. في المرة الأولى قابلتْ يدك اليسرى يدي اليمنى، وها هي يدك اليمنى تتعرف على يدي اليسرى، لكن لم يكن هناك من فرق كبير. كنا نعرف ماذا ينتظرنا.

- لم يكن لدي أي نية مبيتة. تابعتُ قائلاً.

- أعرف ذلك.

- حقاً؟

- نعم.

رسمت ميو ابتسامة ملتوية قليلاً، ومن ثم التفتت ويدها ممدودة نحوي.

- أعطني يدك.

- مددت يدي اليمنى، ملامساً طرف أصابعها.

- قالت: هكذا؟

- نعم هكذا.

شدّت على يدي ببطء. وعادت لتقول: إنها دافئة.

Twitter: @ketab_n

- حقاً؟

- كما حين كنا في سن الثامنة عشرة... تعلمت أن أتعرف عليك شيئاً فشيئاً، بهذه الطريقة.

قالت لي " أحبك " هكذا دون سبب (على كل حال كان هناك سبب، بل عدة أسباب) فقد راح إيقاع قلبي يتقافز.

- لا بدّ وأنك بدون شك، تحتفظين ببعض الذكريات كدليل على محبتك .

- لهذا السبب، قالت لي، لهذا استطعت أن أمسك يدك بهذه الطريقة.

أخفضت بصرها وبدت خجولة جداً.

- أستطيع أن أبدو جريئة لأني أعلم جيداً أني زوجتك. لأني أعرف أننا أحببنا بعضنا، وأننا تزوجنا، وأننا غالباً ما كنا نمسك بأيدي بعضنا بهذه الطريقة، وأننا قبّلنا بعضنا. أليس كذلك؟

لكن، انتظر قليلاً بعد... هل هذا ممكن؟ أنا لا أطلب منك الانتظار لثلاث سنوات . ثلاثة أيام فقط ونمسك أيدي بعضنا فعلياً غداً، و سوف نتعرّف أكثر فأكثر على بعض.

- أنا لست على عجلة من أمري قلت لها: هذا يناسبني، إن كان هذا ما تريدينه.

- ما أبغيه هو أن أعود لأعيش مرة أخرى حياة طبيعية وبأسرع ما يمكن. أن أتصرّف كزوجة، كأم ليوجي... أريد أن أفعل كل شيء كما يجب.

- أنتِ سبق وفعلتِ الكثير.

Twitter: @ketab_n

- إذن أريد أن أفعل الأكثر. أن أتصرّف وكأن شيئاً لم يكن.

سألتني: هل تعلم؟

- ماذا؟
- أن أصابعي ترتجف وهي مشدودة هكذا..
- يبدو ذلك واضحاً.
- لأن... قالت، كأنها المرّة الأولى في حياتي التي أمسك فيها بيد رجل. أنا متوترة جداً.

في الحقيقة ، كان الأمر نفسه ينطبق عليّ أيضاً، كانت تلك لحظة خاصة. حتى ولو كان الأمر أقل بالنسبة إليّ منه بالنسبة لها. كان يوجد هناك فراغ عام كامل. كانت تلك هي المرّة الأولى التي أمسك فيها بيد زوجتي بعد غياب عام كامل، وأنا أيضاً لم أستطع أن أهدأ.

إن أخذنا كل الأمور بعين الاعتبار لبدا الأمر مضحكاً بالنسبة لزوجين، بعد ست سنوات من الحياة المشتركة، يحمرا خجلاً من مجرد مسك أيدي بعضهما. مع ذلك، كنا جديّين جداً. وفعلاً، الأشخاص الجدّيون باستطاعتهم أن يبدوا مضحكين أحياناً.

" فاكسيامو بوكو - بوكو!" صرخ بتعجّب فجأة يوجي. تفاجأنا، فتركنا على الفور أيدي بعضنا .

- ماذا يقول هذه المرّة؟ قالت ميو.
- "نحن نفعل شيئاً فشيئاً!"
- آه، حسناً.

ربما كانت ميو جديّة، لكنها كانت أيضاً امرأة عملية. فبدلاً من القلق حول ذكرياتها الضائعة، كانت تزن حقيقة الأمور،عازمة على

Twitter: @ketab_n

إنهاء واجباتها، وهذا ما كان نموذجياً في طريقة تفكيرها. أن تعتني بيوجي، تقوم بأعمال المطبخ، وبأمور أخرى.

كل ذلك كان رائعاً، سوى...

أنها كانت شبحاً.

ذات يوم، سينتهي الأمر بأن تغادر هذا العالم من جديد. كان يؤلمني أن أراها تؤدي كل هذا المجهود.

لم تكن تعرف. بأنها ماتت منذ عام. وأنها، قريباً سوف تضطر لتغادرنا من جديد.

Twitter: @ketab_n

13

تك... تك...

عيناي مفتوحتان.

كان المنبّه بجانب وسادتي يشير إلى الساعة 2.30 دقيقة، كان الطقس بارداً قليلاً. من خلال النافذة كنا نسمع المطر وهو يهطل نقطة فنقطة.

وكما هي العادة فإن ردّة فعلي الأولى كانت أن ألقي نظرة على يوجي.

كان ينام بعمق وهو يتنفّس من أنفه. يرفع ذراعه إشارة للنصر. - بونجاي[1] - أعدتهما تحت الغطاء.

ميو لم تكن موجودة. خرجت من غرفتي وتوجّهت نحو المطبخ، كانت قرب الحيز الصغير بجانب المغسلة، جالسة على كرسي تنظر بشرود إلى أصابع قدميها.

عندما لاحظت وجودي رفعت رأسها.

- آسفة هل أيقظتك؟

---

[1] بونجاي: رسوم متحركة يابانية.

Twitter: @ketab_n

- لا ليس كذلك. إنه هذا الحقير... إنه يطفئ كل أحلامي.

كنت أريد أن أقلد صوت القاطع الكهربائي بفرقعة من أصابعي، لكن لم يخرج إلا صوت قريب من الحفيف. فأجبرت على لفظ كلمة " تك".

- عندما يكون الوضع هكذا، فأنا غير قادر على معاودة النوم فوراً وأنت؟ سألتها.

التفتت نحوي ببطء

- لا أدري شيئاً. كنت أفكر بكثير من الأشياء ولم أستطع إغماض عيني.

- لاحظت ذلك بوضوح.
- الطقس بارد هنا، أليس كذلك؟

أمام إلحاحي دخلنا إلى المطبخ ومنه إلى الغرفة المجاورة، أخذت وسادة قبل أن أقدمها لها.

- خذي.
- شكراً.

جلسنا قرب بعضنا البعض، كل منا على وسادة ضخمة، غارقين في نور هادئ ينساب من المطبخ وغرفة النوم.

" ليس هناك من عجلة. قلت بدون وعي . ثم أخفضت صوتي وأنا أقول بوكو بوكو.

- بوكو بوكو؟
- نعم، شيئاً فشيئاً. هيا بنا رويداً رويداً.

Twitter: @ketab_n

- معك حق.

اختلط صوت ضجيج المطر بصوت حبات المطر الكبيرة " بلوك، بلوك، بلوك. بدا الصوت منتظماً ومستمراً " بلوك بلوك". تركت ميو تنهيدة تنطلق منها وكيانها الصغير يرتجف، كما لو كانت متجمّدة.

- هل، تشعرين بالبرد؟
- قليلاً.

مددت ذراعي ببطء لأحيط كتفيها.

شعرت بجسمها الدافئ والناعم، من خلال منامتها القطنية.

- شكراً، قالت ميو، أنت تدفئني.
- هذه الكلمات تجعلني أشعر بالحنين.
- حقاً
- هممم... لقد قلت لي الشيء ذاته في المرّة السابقة.
- وذراعك حول كتفي.
- تماماً. في ليلة استثنائية جداً.
- لقد سبق وحدّثتني عن لحظة كهذه؟
- ليس بعد، لا.

عادت لتقول: احكها. فلدي الرغبة في سماعها.

- موافق، سوف أحكيها لك.

كان ذلك في ليلة، في صيف عامنا الواحد والعشرين.

عدنا لنلتقي بعد غياب دام عاماً كاملاً.

- هل تقصد أننا ...

Twitter: @ketab_n

- هممم، حتى ذلك الوقت كان كل منا يعيش حياته. كنا قد افترقنا في الصيف السابق..

- نحن الاثنان؟

- هممم.

- بينما كنت أخرج بشكل جديّ معك؟

- تماماً.

- هذا غير مقبول.

- مع ذلك فهذا ما حصل.

- ما الذي جرى؟

- سبق وقلت لك. كنت غارقاً بالمشاكل.

- نعم، لقد قلت لي ذلك، وقلت أنك سوف تحدّثني عن الموضوع لاحقاً، لكنك لم تفعل حتى الآن.

- سوف أحكي لك الآن. فكل شيء بدأ من هنا .

خيّم صمت الانتظار في البداية، فأمور هامة كانت على وشك أن تُقال.

- استبدّت بي حرارة وأبَت أن تفارقني. ليست نزلة برد، لا، لكنها كانت عبارة عن حرارة وصلت إلى 37.5، واستمرّت هكذا.

في الواقع كنت أشعر أني بصحة جيدة. وبرغم من ذلك، فقد تجاوز جهدي الشخصي في الركض الـ 800 متر. لم يكن جسدي يتمتّع بلياقة مماثلة كهذه، ولم أشعر يوماً بوضوح إحساسي كهذا الوقت. في تلك الفترة لم أكن أتناول طعامي بانتظام. كان يبدو أني أستمدّ طاقة لا تنطفئ من القمر والشمس حتى دون أن آكل. لم أكن أشعر أني بحاجة للنوم أيضاً. على كل حال، كنت أتحرّك دون توقّف، كأني دُفعت دفعاً بعد تعرضي لاصطدام. كنت

Twitter: @ketab_n

أتدرّب ست ساعات يومياً، دون أن آكل، ودون أن أنام. منذ بداية السنة الجديدة، ركضت مسافة تساوي المسافة التي تفصلنا عن جزر ماريان.

بعدها... سقطت مهشماً. كانت تلك نتيجة حتمية. حصل ذلك يوم السبت الثاني من شهر نيسان. نقلوني إلى المستشفى، وكنت مصاباً بتشنجات سببها صعوبة في التنفس. باختصار، كانت تلك هي المرّة الأولى التي يشبك فيها قاطعي التبديل، ويضيء مؤشر الضوء الأحمر، ويتشوّش من جديد قياس السرعة. كما كانت تلك هي المرة الأولى التي يحدث فيها معي شيء من هذا القبيل. وبما أننا كنا لا نستطيع الاستناد إلى تجربة سابقة، فقد بدا كل شيء مبالغ به. كنت مقتنعاً أني سوف أموت. في البداية، شخّصوا مرضي على أنه التهاب رئوي، أو التهاب قصبات، والذي على إثره وصفوا لي كمية من الأدوية تفوق الطعام الذي كنت أتناوله حينها، فخرجت من الأزمة معافى. لكن لاحقاً، بعد ثلاثة أيام عادت الأزمة من جديد، مما اضطرهم لنقلي إلى المستشفى. ولم أعرف إلا في وقت متأخر بكثير أن ذلك نابع عن خطأ في التصميم الداخلي لتركيب بُنيتي، والمواد الكيميائية الزائدة التي تفرز وفقاً لذلك في دماغي.

قمت بزيارة العديد من المستشفيات، وكانت محفظة أوراقي ممتلئة بالتقارير إلى درجة كان باستطاعتي فيها أن أقوم بالخدع السحرية بكل بطاقات الدخول تلك. في كل مستشفى، كنت أكتب أعراض مرضي، وفي كل مستشفى كانوا يأخذون عيّنة من دمي، وفي كل مستشفى كان الأطباء يهزون برؤوسهم.

Twitter: @ketab_n

في تلك الفترة، النتيجة التي استطعت التوصّل إليها بنفسي- هي أنه لم يكن هناك من احتمال نتيجة مؤكدة. بقي اسم مرضي غامضاً، لكن ما كان مؤكداً هو أني كنت أعاني من كل نوع من أنواع الأوضاع الشاذة.

تتالت الليالي البيضاء. كنت أريد النوم كي أهرب من الألم، لكن عدم استطاعتي النوم، لم يتسبب إلا في زيادة ألمي.

كان مجرد الخروج من غرفتي يشكّل بالنسبة إليّ عملاً صعباً. في الفترات الأولى لم أكن أستطيع الابتعاد لأكثر من 200 متر (زيارة المستشفيات لم تبدأ إلا بعد ذلك بفترة).

من بعد مسافة المئة متر، كان يبدو منزلي بعيداً بعد الشمس عن الأرض، وكأنها تُرى من كوكب بلوتو. أما عن بُعد 200 متر، فقد كان قلبي يؤلمني وكأني رائد فضاء أرسل خارج نظام المجموعة الشمسية. في النهاية، وكما كرة مرمية في الهواء، لم يكن أمامي غير أن أستجمع طاقتي كي أعود إلى وجهتي الأصلية.

بالطبع، لم أعد أذهب إلى الجامعة، وأصبح مشهد مستقبلي مظلماً.

اتفقنا على موعد ثالث، لكني لم أستطع الذهاب. أخبرتك ببساطة أن الظروف سيئة، واتفقنا على موعد آخر في الصيف التالي.

- لم تقل لي بأنك كنت تعاني من مشاكل صحيّة؟
- همم، أتساءل الآن لماذا... ربما لأنه لم يكن مرضاً عادياً، وكان من الصعب عليّ شرح ذلك.
- كان يجب عليك أن تقول لي.
- هل أحكي بصراحة...
- نعم

Twitter: @ketab_n

- في ذلك الوقت، كنت أفكر بشطبك من حياتي .
- حقاً؟
- همم، بدلاً من مستقبل مظلم، اعتقدت أنه لن يكون لي أي مستقبل . أو بالأحرى، إن كان لي مستقبل، فسوف يكون بالانفصال عن والديّ المشغولين بزراعة الطماطم في بستانهم العائلي، أو شيء ما من هذا القبيل.
- لكن....
- هذا ما كنت أفكر جدياً به في تلك الفترة. كنت أعرف أن شيئاً ما فظيعاً سوف يحصل معي. شيء ما قد تغيّر، بطريقة غير قابلة للشفاء.

لهذا... لن أستطيع توريطك بهذه الحياة التي هي حياتي. ونحن لم نذهب أصلاً إلى أبعد من لمس أيدينا. لم يزل باستطاعتك استدراك الأمر.

تحدّثت مع ميو عن كل المشاكل التي لم تزل ترهقني حتى الآن، فأنا أملك ذاكرة مأساوية. يبدو ذلك عائداً إلى تشوّه في ذلك القسم من رأسي الذي نسميه حصان البحر[2]. وبحديثنا عن حصان البحر، فهذا يعني أن كل كائن بشري يملك حصان بحر صغير جداً في رأسه؟ باه، لا يهم.

بسبب ما حلّ بي، أصبح هناك العديد من الأمور التي لم يعد بإمكاني القيام بها، كتلك الأشياء العادية التي يقوم بها الناس العاديون، والتي هي في النهاية تشكل كل شيء ماعدا كونها عادية.

---

[2] حصان البحر: حيوان أسطوري نصفه كالجواد ونصفه الآخر كالسمكة.

Twitter: @ketab_n

الخروج من المنزل مثلاً، أنا الذي كان في بداية الأزمة لم يكن يستطيع السير لأكثر من 200 متر، أجبرت نفسي على زيادة تلك المسافة. بعد أن بدأت بأخذ أدوية فعّالة نسبياً بالنسبة إلى مرضي، نجحت في السير لمسافة أبعد، ولو أن الزيادة لم تتعد المئة متر.

نظراً لحالتي، فأنا بالمقابل لم أكن بحاجة للذهاب إلى مسافة أبعد. فأنا لم أستطع أخذ القطار ولا الصعود إلى الحافلة. والأسوأ منهما، السفر على متن طائرة، أو غوّاصة أو مركبة فضائية، لم يكن بمقدوري أن أقوم حتى بالجولة المشهورة في ديزني لاند، ولا أستطيع الصعود إلى بناء مؤلف من عشرين طابقاً. ولا النزول إلى الطابق الأرضي، كما لا أستطيع وضع قدمي في دار سينما، أو مسرح، ولا التواجد في حفل موسيقي.

كنت قلقاً للغاية، وأشعر بالضيق أمام أي نوع من أنواع المواقف أكثر بكثير مما يقتضيه هذا الموقف. من وجهة نظري، أعتقد أن كل هؤلاء الأشخاص الذين يسكنون هذا العالم الخطير، ويعيشون حياتهم كما لو أن شيئاً لم يكن، هم كائنات تعاني من مشكلة ما، في مكان ما.

لم تتوقف خشيتي من الاختناق فقط إن أنا توقفت عن التنفس، إنما تجاوزتها إلى الخوف من نسيان أخذ النفس.

كان اقتناع الأشخاص بأن التنزّه كيفما كان دون انتباه، يمثّل بالنسبة إليّ شكلاً من أشكال التصرّف الانتحاري. لأن هذا يجعلهم يمثلون استثناء في الإحصائيات التي تُظهر مع ذلك بأن مئات الأشخاص كانوا يُقتلون كل عام من وراء حوادث السير. ترك يد ابنك مثلاً، بالنسبة لي، في الشارع هو إهمال لا يغتفر.

Twitter: @ketab_n

لكن أستطيع أن أسمح لنفسي بالقول بأني لست واحداً من هؤلاء المخمورين الذين يخشون من انهيار البناء إن هم لم يدعموه.

- حقاً؟
- ألا تصدقين ذلك؟

لا يهمّ. كنت أقرّ بأني أميل إلى المبالغة. كانت هنا تكمن قوة تأثير تلك العناصر الكيميائية.

مهما يكن من أمر، فقد بنيت حياتي، وأنا مثقل بكل هذه المشاكل. تابعت الذهاب إلى الجامعة بالرغم من كل شيء، إلى أن توقفت نهائياً، تماماً قبل امتحان السنة الثالثة. حتى وإن سمحت لي فعالية الأدوية في الفترات الأولى أن أوسّع من حقل أنشطتي، لكنني كنت أعلم بأن هذا لا يعدو كونه مُهدئاً مؤقتاً. كانت المقاومة تزيد فوراً عند البدء بالعلاج الذي لا يلبث أن يفقد من فعاليته. عندها كان يجب استخدام مركبات جديدة أخرى. بالنسبة لحالتي، فقد توقفت في منتصف الطريق. هذه المواد الكيميائية التي كنت أتناولها، الغريبة عن جسمي، كانت تشكل عبئاً على أجهزتي المكلّفة بتصفيتها. لم تكن أجهزتي على ما يبدو عالية الجودة. فقد كانت تجعلني أسمع دويّها.

وصل الصيف بطرفة عين.

في تلك الحقبة كنت أتنقل على دراجة نارية سعة 125 م3.

كان لدي رخصة قيادة دراجة نارية ذات عجلتين مذ كان عمري سبعة عشر عاماً. وهكذا استطعت أن آتي لأراك أمام محطة البلدة.

في تلك الفترة كنت ممزقاً بعنف بين الاقتناع بأنه يجب عليّ الابتعاد عنك وبين الرغبة العميقة في رؤيتك. فذلك الشاب اليافع كان

Twitter: @ketab_n

متردداً أن يقول لك الحقيقة، ولا بد وأنك كنت ستشعرين بالحيرة أما كلماته وتصرّفاته.

جلستِ في مقعد الراكب على دراجتي واتجهنا نحو أقرب ساحة. وبما أنها كانت المرّة الأولى التي تركبين فيها دراجة بعجلتين فقد تمسّكتِ بي بشدّة. عندما وصلنا إلى الساحة كان ظهري وصدرك يرشحان عرقاً. تبادلنا بعض الأحاديث التافهة حول صدرك، لكني لم أعد أذكر تماماً كيف كان إحساسي لحظتها. بدون شك لم يكن شيئاً يُذكر.

جلسنا جنباً إلى جنب على المدرجات.

قبل عام من ذلك التاريخ، في ميدان الساحة نفسها. كنت قد حطمت رقماً قياسياً في لقاء معتبر. لم يكن في كل البلدة أكثر من مئة شخص باستطاعتهم الركض أسرع مني، وكان هدفي أن أقلص هذا الرقم إلى حدود عشرة أشخاص في غضون عامين. لكن الآن، مجرّد السير خمس دقائق يجعلني ألهث.

رائع.

تصرّفت بجفاء معك في ذلك اليوم. لم أكن ذاك الشخص الذي يجيد التمثيل إلى درجة أن أظهر بارد المشاعر. بالأحرى، كنت آخذ وقتي كي أجيبك. أتحدّث بصوت منخفض أكثر من العادة، وأتحاشى نظراتك. هذا كل ما كان باستطاعتي فعله.

بالرغم من ذلك، فقد لاحظت فوراً التغيير الذي طرأ على تصرّفاتي. لكنك لم تكوني من النوع الذي يطلب شرحاً. أنت أيضاً، سرعان ما

Twitter: @ketab_n

وجدت أنك لا تحملين إلا القليل من الكلمات، وانتهينا بأن أخفضنا رأسينا، خائبين.

أحافظ عليك عن بُعد.

لو كان بإمكاني، لتمنيت أن أنجح في جعلك قادرة على الابتعاد حينها أنت أيضاً. بأن تقعي في حب شخص آخر، مثلاً. بهذه الطريقة، سوف ينتهي الأمر دون شك بنسياني بسرعة. لو حدث هذا، لكان الأمر جيداً. سأتمكن عندئذ من العيش وحيداً. لا... في الواقع كان يبدو لي أني غير قادر على العيش وحيداً. كنت سأقضي أياماً هانئة، مع والدي ووالدتي كي يعتنيا بي.

ثم، من وقت لآخر، سوف أتذكّرك، متسائلاً ماذا حلّ بك، وهكذا، أترك الأيام تجري، وأنا واقف في الحديقة، أنظر للطماطم وهي تنمو.

هذا ما كنت أفكر به.

لهذا، فكل شيء كان يجب أن ينتهي في ذلك اليوم.

قررت التظاهر بالملل بسرعة وأنا بصحبتك. كنت أتنهّد بصوت عالٍ، أنظر إلى ساعة يدي على عجلٍ محاولاً أن أرى بطرف عيني أنك تلاحظين ذلك. أحياناً، عندما تبدين وكأنك ستتابعين الحديث، كنت أتظاهر بعدم الاهتمام بالحديث.

قلت لي حينها، محاولة فتح حديث جديد: هناك فتاة فعلاً استثنائية في المكان الذي أسكن فيه؟

- إيه؟
- هممم...

Twitter: @ketab_n

هنا بدأت تغمغمين، فلقد بدا صوتي متكلفاً.

- سألتك: أي نوع من الفتيات هي ؟
- حسناً.. تقول أن حلمها أن تصبح رائدة فضاء.
- إيه...
- لهذا...

فترة تردّد جديد، عدت بعدها للقول:

- لهذا؟

فترة أخرى من التردد، أعقبت بعدها :

- كل مساء تقضي ساعة كاملة في فرك أسنانها.
- لماذا.
- لأن- هكذا تقول- لا يمكن للمرء أن يصبح رائد فضاء إن كان لديه نخر في أسنانه.
- إنها مختلّة.

كانت الأحاديث من هذا النوع، ليعود الصمت فيصبح سيد الموقف من جديد، مصحوباً بالتنهّدات، والنظرات المختلسة إلى ساعة اليد.

يا للنذالة.

تكرّرت هذه الكوميديا عدّة مرات حتى انتهى الأمر بأن لذت بالصمت نهائياً. بقينا لفترة طويلة على هذه الحال، جالسين على مدرجات الباطون دون أن نقول كلمة.

كنا نجلس في الظل المنعكس من الساحة. وكان هناك أطفال يقومون بجولة حول المبنى بالدراجة الهوائية.

Twitter: @ketab_n

كنت أعلم أنك تحبسين دمعك، كان رأسك منخفضاً، وتضغطين على شفتيك بحيث يظهر منهما قاطعيك المزدوجين. كنت تتماسكين.

تركتُ تنهيدة أخرى تخرج مني دلالة على الضجر. أنا نفسي لم أكن لأتخيل أن بإمكاني فعل هذا . ومع ذلك، فقد فعلته .

سألتك: هل نعود؟

وافقت ورأسك لم يزل مخفضاً.

لم يكن قد مرّ علينا أكثر من ساعة. صعدت خلفي على الدراجة النارية. وكما جئنا، عدنا نحو المحطة.

لم نتفوّه بكلمة.

عند وصولنا إلى المحطة، سألتك:

- هل تريدين أن أصحبك إلى مكان إقامتك؟
- لا لزوم لذلك - أجبتني - إنه قريب.
- حسناً.

لو كنت قد غادرت في تلك اللحظة، لكان من الممكن أن تجري الأمور على أحسن ما يرام. لكني كنت غير قادرٍ على الذهاب.

قبل كل شيء كنت أحبك، وكنت أرغب في البقاء معك. لهذا بالرغم من أني ظهرت فظاً وكريهاً جداً، لكني كنت أصلي كي لا تتغير مشاعرك تجاهي.

كنت شخصاً متناقضاً. تلك المشاعر المتعارضة كانت تحثني على السير قدماً بما نويت فعله. فلأني أحبك، حاولت أن أبعدك بعيداً عني،

Twitter: @ketab_n

وللسبب ذاته كنت أرغب أن أجعلك قريبة مني. وقفنا هناك، جنباً إلى جنب على الرصيف، أمام المحطة، دون أن نتكلم أو نتحرك.

- متى سنرى بعضنا من جديد؟

قلت ذلك وأنت مرتبكة، وكان ارتباكك أمراً طبيعياً.

- أجبتك: لا أعرف أنا مشغول، لدي الكثير من الأمور.
- آه حقاً؟
- هممم.

رفعت نظري عن عينيكِ كي أتأمّل سماء الصيف الزرقاء بزرقة مرَضية.

- سأكتب لك، عدتِ لتقولي محاولة حزم أمرك.

كانت الرسائل هي جوهر علاقتنا، نحن الاثنين. لو استطعنا رمي كل ما حدث معنا، فسوف يتفكك انجذابنا نحو بعضنا، ولن يعود لديك أي شخص تعودين إليه. كان السبب يعود كلياً إليّ في التراجع بالطبع. لم أكن الشخص المناسب لك. كان يلزمك شخص آخر، شخص أكثر لطفاً، وقوّة، وصحّة.

ومع ذلك... أجبتك: سأنتظر، سأنتظر.

ماذا كان بإمكاني قول غير ذلك؟

- أنا لم أفهم حينها أي شيء، أليس كذاك؟

كانت ميو ترتعش كلياً، ولم تزل ذراعي تحيط بكتفيها.

- عادت لتقول: " وأيضاً لم ألاحظ أي شيء.
- هذا تماماً ما أردته أن يحصل.

Twitter: @ketab_n

- كان يجب عليك أن تقول لي. لكنت بالتأكيد...

- كنت فتاة رزينة، قاطعتها قائلاً: ذات حسٍ بالمسؤولية، كنت من ذاك النوع من الأشخاص الذين متى ارتبطوا بأحد، فذلك كي يرتبطوا به مدى العمر .

- هذا ليس...

- أعرف، لا يوجد تفسير غير ذلك. حتى لو كنت قد شرحت لك مشاكلي، لما كنتِ قد توقفتِ عن حبي.

- أحببتك دوماً.

- همم، لكن هل تعلمين، في ذلك الوقت كنت أفكّر أنه ليس من العدل توريطك بحياة شخص ضائع مثلي. حتى وإن كنتِ تحبينني، فلن تكوني سعيدة.

- هذا خطأ. إن كنا نحبّ بعضنا بشدّة، نحن الاثنين، وأمكن لهذا الحب أن يدوم العمر كلّه، فكيف بالإمكان إذن أن لا نكون سعيدين؟

- معكِ حق... لكن في تلك الفترة لم أكن قادراً على التفكير بهذه العقلانية. كنت أفكر أن السعادة يجب أن تعني شيئاً آخر غير أن نبقى فقط ننظر إلى بعضنا.

- إنه.. شيء حزين. قالت ميو. فالسعادة لا تحسب بالكمية، وغير قابلة للقياس.

- هممم .

(حتى أنا، لم أعرف ذلك إلا بعد ستة أعوام، بعد أن ضاعت كل تلك الأيام.)

Twitter: @ketab_n

- عدت لأقول: كنت أفكر بالخروج من حياتك دون أن أقول شيئاً. دون أن أثير أي مشاكل، سراً، وبلطف، كما بركة ماء تحت أشعّة الشمس. كنت أريد أن أختفي ببطء. كان هذا ما قصدته.

تابعنا تبادل الرسائل. كنت تكتبين لي أحداث يومك التافهة والتي لا تتغيّر. وكنت أجيب عليها. كنت أترك مسافة من الزمن لتمرّ قبل أن أرسل إليكِ بالجواب. تباعدت فترة كتابة رسائلي بدءاً من أسبوع، ثم عشرة أيام، وصولاً إلى خمسة عشر يوماً لأرمي إليكِ بالجواب.

جاء الشتاء، فعدتِ إلى منزل والديكِ، لكنني وجدت حججاً كي أتحاشى رؤيتك. مع ذلك، كنت أقضي فترات بعد الظهر وأنا مستلقٍ على سريري، أفكر بك. أعيد قراءة رسائلك، مرّة تلوَ الأخرى. تاركاً ذكرى وجهك تظهر من خلال كلماتك.

في هذه الفترة، ازداد وضعي خطورة. كنت قد قمت بزيارة العديد من المستشفيات، ولم أجد أي طبيب يعتقد أن باستطاعته إعادتي لحياتي الطبيعية.

على أي حال، كان جزءاً مني في الفترة الأولى يتمسّك بالأمل، لكن هذا الوضع لم يكن ليستمر إلى ما لا نهاية. هذا ما كنت أقوله لنفسي.

مع ذلك : كلما كان الزمن يمرّ، كلما راح هذا الأمل بالتناقص. أما الذي بدأ يشير إليّ من طرف أنفه في ذلك الوقت فلم يكن غير اليأس.

زيادة على الألم الذي استولى عليّ حينها. كان أكثر ما يقلقني، هو إمكانية احتمال استمراريته مدى الحياة.

أردت أن أراكِ... أردت أن أكون قربك.. لكني... تمالكت نفسي.

Twitter: @ketab_n

مرّت ستة أشهر ونحن على هـذه الحـال. حصـلتِ عـلى شـهادتك، وكما كنـت تـرغبين، فقـد بـدأت تعمليـن كمدرِّسـة للَـرقص في إحـدى نوادي اللياقة البدنية. بينما أنا كنت قد تركت الجامعة، وحصلتُ على عمل بسيط ضمن مخزن لبيع المقتنيـات الرياضـية المختلفـة بـالقرب من منزلي. تابعت جهدي بعناد كي أوسّع شيئاً فشيئاً من قطر عالمي.

هنا أيضـاً، في هـذه الفـترة، بـدأ مضـمون رسـائلك يتغـيّر. أصـبحتِ مقتضبة، وقد كان هذا طبيعياً، بما أنك قد انتقلتِ من مرحلة التلميذة إلى وضع المرأة النشيطة. لكني شعرتُ بشيء من الوحدة بعد أن رأيتك تصبحين شخصاً آخر غير ذاك الشخص الذي كنت أعرفه.

كنـت أنـت وحـدك مـن يسـير قـدماً للأمـام. أمـا أنـا، فلـم يكـن باستطاعتي خطوَ خطوة واحدة منذ ربيع عامي التاسع عشر.

صورتك، التي كانت مرئيّة في البداية، بـين متنـاول يـدي، أصـبحت الآن بعيدة عني.

كان يبدو عليكِ أنك تتسلي. بدأت أسماء جديـدة لا أعرفهـا تظهـر في كتاباتك العديدة. كان بوسعي الاستشفاف بسهولة أنـه قـد أصـبح لديكِ العديد من الأصدقاء الشبان. بدأتِ تبتعدين شيئاً فشـيئاً عنـي، كي تقتربي من أحد ما غيري.

- بوكو.. بوكو.

هذا صحيح. قلت لنفسي، أليس هذا ما أردتَه؟

صحيح أجابتني نفسي.

وفي يوم من الأيام. كتبت لك:

Twitter: @ketab_n

" بسبب ظروف خارجة عن إرادتي، أخشى أن لا أستطيع المتابعة في الكتابة لك من الآن فصاعداً.

أنا آسف. الوداع."

بعد ذلك، قمتِ بإغراقي بالرسائل.

لم تطرحي عليّ أبداً أي سؤال يخصّ " الحالات الخارجة عن إرادتي" وعوضاً عن ذلك، تابعتِ سرد الأحداث من حولك، بمصطلحات أكثر اعتدالاً من السابق، وكذلك بفاصل زمني أكثر اعتدالاً عن ذي قبل.

ومن ثم، ذات يوم خميس في الأسبوع الثالث من آب، قمتِ باقتحام مكان عملي.

" أنت بخير" سألتني.

- أنا بخير.
- يبدو أنك قد نحلت قليلاً.
- همم، ربما نحلتُ قليلاً.

كنت قد أصبحتِ شابّة رائعة الجمال. أصبح شعرك طويلاً، وكنت تضعين ما كياجاً خفيفاً، وترتدين ثياب فتاة راشدة وأنيقة. باختصار، كنت تبدين شابة وأنيقة.

لم أفهم شيئاً من شيء. اجتاحتني الرغبة في البكاء وأنا مخنوق بالحنين، وبالرغبة العاطفية، ولم يعمل التوتّر والارتباك إلا في زيادة تلك الرغبة.

لكن كنت أنت من بدأ بالبكاء، هكذا فجأة.

قلت: " أنا آسفة" ثم جففتِ دمعك بسبّابتك، وأدرت عينيكِ وبدأت في الضحك.

Twitter: @ketab_n

عدتِ لتقولي: ما الذي أصابني؟ لا بدّ وأن يكون السبب أن لي زمناً...

- دون شك!

هذا كل ما وجدت لأقول.

- ألا يسبب لك مشكلة اقتحامي مكان عملك هكذا؟!

هززت رأسي نافياً.

- أنا آسفة، عدتِ للقول. لكن لا بدّ وأنك تفهم، هذا جد...

سألتك: هل يعجبك العمل في نادي الرياضة؟

حاولت جاهداً تغيير الموضوع.

- نعم، هذا ظريف. إنه شيء مغاير عن الجمباز.
- هذا أفضل.
- وأنت،آي - كون؟ ماذا حلّ بالجامعة؟

كنت بالتأكيد قد مررت إلى منزلنا، و قالت لك والدتي أني هنا، لكنك استغربت أن أعمل في ساعة الغداء. لأنه بالرغم من كل شيء، استمررت في الذهاب يومياً إلى حرم الجامعة - إن كان هناك درس أو لم يكن - لأتمرّن منذ الصباح.

- توقفت عن الدراسة. أجبتك ببساطة.
- لماذا؟ سألتني بتعجب.

كذبت عليك وقلت : لدي الكثير لأعمله.

- الكثير من الأمور... كعملك هنا؟
- ليس هذا هو الأمر.

Twitter: @ketab_n

نجحت أخيراً بتهدئة نفسي. وبدأت ألعب دوراً وأمثّل أن الموضوع شخصيّ بحت.

- لدي العديد من المشاريع. الكثير منها.
- الكثير؟
- همم.
- لم أكن أعلم هذا.

هذا ما قلته باستسلام. لكن في الحقيقة لم يكن لـدي أي مشـاريع. فزراعة الطماطم لم تكن تدخل تماماً ضمن خانة "المشاريع". غير أني لم أستطع بعد قول الحقيقة.

كذبت قائلاً: ربما سأغادر هذه البلدة. ربما.

- هل ستذهب بعيداً؟
- ربما.
- إلى الخارج؟
- رفعت كتفي كمن يريد القول : " من يعلم"
- انقطاع الرسائل أيضاً، أكانت لأجل هذا السبب؟

عرضت وجهة نظري ثلاث مرات ببلاهة. كان نمـط تمـثيلي مقولبـاً، بحيث كنت ستلاحظينه بالتأكيد لو كنت في تلك اللحظات أنت ذاتك، ذلك لأنه كان مصطنعاً بشكل واضح.

- قلت : آسف.

بدت كلماتي باردة بشكل لا يُصدّق

- أنا لا أحبك، وأشعر بأني المسؤول عن ذلك، لهذا أنا آسف.

Twitter: @ketab_n

تابعت قائلاً: لكني قرأت كل رسائلك، إينوكيدا - صان، شكراً كثيراً.

- هممم.

بدوتِ وكأنك ندمت لمجيئك إلى هنا. مع ذلك، فبعد أن حزمت أمرك، رفعت رأسك وقلت: نحن الاثنان...

من الآن فصاعداً...

ربما في يوم...

نظرت إليّ نظرة حزينة، وأنت تقاومين كي تخرج الكلمات.

فقلت: سوف أكون مسروراً في يوم ما إن عدت ورأيتك في اجتماع الطلبة القدماء، في الثانوية، أو بمناسبة الزواج المحترم لكلٍ منا.

مازلت أذكر نظرة عينيك حتى الساعة. تلك النظرة المهيبة، الممتلئة برغبة غير قابلة للقياس. كان جلّ ما ترغبينه بشدة هو الحقيقة. حقيقة مغايرة للكلمات التي سمعتها للتو.

مع ذلك، فقد تجاهلتُ نداءك. و تابعت لأقول:

- أتمنى لك الكثير من السعادة. شكراً لك، إينوكيدا - صان.
- أنا...

هذا كل ما استطعتِ أن تقوليه، أغلقتِ فمك وخفضتِ رأسك.

بعد ذلك بفترة طويلة، سألتك سؤالاً: ما الذي كنت تريدين قوله في تلك اللحظات؟ وهذا كان جوابك:

"سعادتي هي أن أصبح زوجتك."

لكن أبداً لما استطعت قول ذلك.

Twitter: @ketab_n

قلت لك: إلى اللقاء، يجب أن أعود .

- هممم..
- انتبهي لنفسك.
- همم.

ومن ثم تركتك هناك وعدت إلى المخزن.

تمتمتُ لنفسي: هذا رائع.

وكأني سمعت أحداً ما يجيبني: أحقاً؟

في تلك اللحظة كان يجب علينا الافتراق كي يعيش كل منا حياته الخاصة دون أن نلتقي. عادت علاقتنا إلى نقطة الصفر. كان يفترض أنك تتابعين الحياة التي تناسبك. وكان من المفروض ألا يكون أمامي غير حياة محدودة، تناسبني بالتأكيد.

ربما كانت تلك هي اللحظات المناسبة كي نقطع علاقتنا. سوف يكون باستطاعتك البدء بارتباط جديد، دون أن تحاولي الحفاظ على حبك القديم، ودون ضعف ولا تأنيب ضمير وأنت تقولين له :

"أنا آسفة. ليست هذه هي المرّة الأولى التي أمسك فيها بيد رجل"

لن تقولي أبداً أشياء من هذا النوع. بينما بالنسبة لي، لن يبقى غير بعض الذكرى.

ثوب مشمشي اللون. شعر طويل مربوط بمشبك . كنزة من الموهير. أصابع تتلامس مع أصابع أخرى في جيب.

هذا رائع. كم بإمكان الحياة أن تُختصر لتقف عند هذه النقطة وتكتفي بهذا الاختصار دون أي مشاكل تذكر، بحيث أنها تكون قد

Twitter: @ketab_n

وصلت إلى نهايتها دون شك حتى قبل أن نتمكّن من قول " أوف ". على كل حال، لم يكن لدينا الكثير من الذكريات لاسترجاعها.

شريك واحد. حب فريد من نوعه. وثلاثة فصول مأخوذة من ثلاثة مواعيد.

هذا كافٍ.

الرغبات الكبيرة جداً مقموعة. إنها القاعدة الذهبية التي تحكم العديد من الأساطير القديمة بالنسبة للأشخاص الملزمين بالتخلّي عن رغباتهم، فكلمات من هذا النوع تصبح ملائمة لهم. لا يوجد أفضل من هذا العزاء.

الأيام التي تلت لم تكن لتتغير عن سابقاتها. شيء واحد فقط تغير، هو أني لم أعد أستلم رسائل منك. بالرغم من أن هذا ما تمنيّته، لكن حين توقّفت الرسائل فعلاً عن الوصول، انخفضت رغبتي في التطلع إلى الغد وتراجعت إلى النصف.

فالغد كان يبدو لي أروع من اليوم لسبب أنه كان يقرّبني من رسالتك التالية، وعلى هذا المنوال كنت قد قضيت الوقت حتى الساعة، لهذا فغيابها قد أثّر بي بشدة.

بالرغم من ذلك، استمرّت الأيام في الجريان.

أصبح الغد مشابه تماماً لليوم، لكن كنت كل يوم ألتزم بمهامي. كنت أذهب إلى المستشفى بالسكوتر، ومن ثم أقضي باقي اليوم في مسح الباراكود في المتجر الذي على الزاوية. تدريجياً، طوّرت حدسا كي أحدد بدقة المستشفيات التي كانت تلائم حالتي. لم يعد الأطباء يحكّون رؤوسهم محتارين، فالدّواء الذي كانوا يصفونه لي كان

Twitter: @ketab_n

يقّربني أكثر فأكثر من حالتي الطبيعية. حتى وإن لم يكن الأمر أكثر من علاج مؤقت. وهكذا، مضى عام كامل قبل أن أستطيع قول "أوف". أرأيت.

- سألت ميو: إذن عدنا فالتقينا، أليس كذلك؟
- فعلاً.
- وأنا، كيف قضيت أيامي في تلك الفترة؟ هل توقفت عن الاهتمام بالأمر؟
- لا أعرف الشيء الكثير عن تلك الفترة - أجبتها - لم تحدّثيني مطلقاً عنك، وأنا بدوري لم أفكر يوماً أن أطرح عليكِ السؤال.
- وهل ناسبك هذا؟
- أجل كان هذا مناسباً لي. كنت أتصوّر أنه لابد أنك ستمرّين بأوقات صعبة، وكنت أعرف أنه قرار كنتِ قد توصّلتِ إليه بعد تفكير طويل.
- لكن هذا أفضل، فبفضل هذا القرار الذي اتخذته في تلك الفترة، أصبح لدينا هذه الحياة.
- بالفعل.

وضعت ميو رأسها الرقيق على صدري، تصرّف كان يعتبر حتى الساعة من أكثر التصرفات حميمية. لفتةٌ كانت تختصر الكثير من الكلمات في كلمة واحدة. بل بكل ما يتعلق بالحب بالطبع.

- وبعد ذلك... سألت.

تابعت حكايتي قائلاً:

Twitter: @ketab_n

هـل كانـت فعاليـة الـدواء الـذي كنـت آخـذه في تلـك الفـترة، أم جلساتي عند المحلل النفسي هي من بدأ يعطي نتيجة ما، أم بـالأحرى هو النهج الغربي الذي كنت قد اعتمدته قبل وقت قصير هو من جلب أولى نتائجه الفعلية، وأنا لم أزل في صيف عامي الواحد والعشرين؟ انتهى بي الأمر أن عدت إلى ما كنت عليه في السابق بأعجوبة. إنما لم يكن ذلك بالطبع أكثر من خمود مؤقت، و كنت أعلم أنا نفسي بأنه لا يمكن لهذا أن يستمر طويلاً. كانت فترة - كما يقال - كساعة التنفس المعطاة للسجين قبل أن يُعاد إلى زنزانته الضيّقة.

من هذا المنطلق، قررت أن أستفيد قدر المستطاع من الوقت المعطى لي. وهكذا أخذت السكوتر في رحلة استكشافية حول شاطئ البحر. كنت أرغب في رؤية قدر ما أستطيع من أماكن قبل أن أجد نفسي مسجوناً من جديد ضمن عالمي الصغير. وهذا كان ينطبق على كل شيء. لكننا لا نتوصل إلى فهم ذلك إلا في اللحظة التي نكون فيها على وشك فقداننا لشيء ما نعرف في قرارة أنفسنا أننا نرغبه بشدة. ربما لو لم تصل الأمور إلى هذه النقطة، لكنتُ قد رحلت عن الحياة دون أن أقوم بهذه الرحلة الاستكشافية على طول الشاطئ. كنت أفكر بأن أستفيد من حياتي في عالمي الذي لم تتجاوز مساحته 200 متر مربع.

بالطبع، لم أكن قد عد ت إلى حالتي الطبيعية تماماً. كانت ذكرى أبشع فترات مرضي تترافق مع مشكلة مزعجة، وهي نوع من القلق من إنذار محتمل. وهكذا، في الوضع الذي كنت فيه، وأنا متشبث ومقاوم في الحياة، ومحني الظهر، خرجت من زنزانتي كي أصل تدريجياً إلى أماكن بعيدة.

Twitter: @ketab_n

بسرعة، وبعد أن اجتزت منتصف الطريق، عدت أدراجي لألتفّ نحو الداخل. كنت أريد أن أرسم شكل 8 في جولاتي عوضاً عن الدائرة.

ثم، في ذلك اليوم، وللمرة الأولى منذ عام، سمعت صوتك.

كنت أتصل يومياً في المنزل. فبعد كل شيء، كنت قد أخذت على عاتقي هذه الرحلة وأنا في وضع صحي غير مستقر تماماً، كما أن والديّا كانا شديدا القلق عليّ. وبما أننا كنا في زمن لم يكن الهاتف المحمول قد انتشر فيه بعد، كنت أتصل بهما كل يوم من هاتف عمومي ضدّ الدفع كي أطمئنهم على صحتي.

في ذلك اليوم، التقطت والدتي السمّاعة ونقلت إليّ... رسالتك.

" تحدّثت معي، وتمنّيت أن أعود لأتصل بك. وسوف تنتظرين اتصالي، في أيّ وقت كان" كانت تلك فحوى رسالتك.

"ليس من الأمر الجيد أن تدع شابة تنتظر" هذا لم يكن من ضمن رسالتك، بل كانت هذه كلمات أمي. فأجبتها : وصل.

ما الذي حدث؟

قلّبت في ذهني العديد من الفرضيات. أتراه قد حصل مكروه ما؟

كثيراً ما راودتني أفكار من هذا النوع، بما أني كنت من النوع الذي يبدي قلقاً أكثر من اللازم. لم أستطع التوصّل إلى تفكير إيجابي. هل أنت مريضة، هل خدعك شخص ما سيء؟ هل كُسر كعب حذائك؟ كان هناك الكثير من الاحتمالات.

لم يكن لدي أي نيّة في رفض دعمك بعاطفتي وحناني إن كنت بحاجة إليهما في مناسبة كهذه، أو أن تسلي عن ألمك من قبل صديق كنت قد تركته منذ عام. أردت أن أقويك، أردت أن

Twitter: @ketab_n

أدعمك. إن لم يكن لديك غير هذا القلب المثير للشفقة كي تلتجئين إليه، فهذا يدل على المعاناة التي لابد وقد مررت بها. وهذا ما أقلقني بشدّة.

جمّعت كل القطع النقدية التي في جيبي كي أتصل بالهاتف. أدرت رقم هاتفك بعناية. لم تكن تلك مكالمة من هاتف ضد الدفع، بل كنت سأدفع كلفتها. فلدي ما يكفي من الكرامة لأفعل ذلك.

فتحتِ الخط بعد أول رنّة. تفاجأت قليلاً، لأني لم أكن أنتظر بأن تجيبي بهذه السرعة.

- آيو- كون؟ سألتِ قبل أن أنطق بحرف.
- نعم، هذا أنا.

صوتك الذي لم أسمعه منذ عام ملأ قلبي حرارة. فبادرتك قائلاً:

- " هل كنت تنتظرين اتصالي؟ لقد رفعتِ السماعة فوراً.
- هممم، كنت متأكدة أنك سوف تتصل في الحال.
- آه، صحيح؟
- نعم.

دوت نغمات صوتك داخل أذني.

سألتك، ما الذي يجري؟ تبدين مستعجلة على الاتصال بي.

- آيو - كون..
- ماذا هناك؟
- أين أنت الآن؟
- في رحلة، على بعد 300 كم من منزلك.
- قل لي... هل أستطيع الانضمام إليك؟

Twitter: @ketab_n

فترة صمت مطبق.

- آلو؟
- هممم.
- أين ذهبت.
- أنا مازلت هنا. في كابينة هاتف، والسماعة مشدودة في يدي.
- حسناً، أجب إذن.
- همم، هذا فاجأني.
- هذا فاجأك. وبعد؟
- وهذا أسعدني، جعلني سعيداً جداً، لكن...
- هل كل شيء على ما يرام؟
- أجل كل شي بخير.
- أنت متأكد.
- أجل.

وهكذا، دون أن أعرف السبب، تركت نفسي أكسب ثقتك، وقررنا أن نلتقي في إحدى البلدات بعد يومين.

علمت لاحقاً أن في هذه البلدة، التي تقع على ارتفاع 700 متر، كان سيجري في هذه الفترة أهم حدث في السنة. سوف يجتمع فيها أكثر من حوالي خمسمائة ألف شخص كي يشاهدوا احتفال الألعاب النارية المنطلقة من فوق البحيرة. خمسمائة ألف شخص، إنه لعدد يتجاوز مجموع سكان إمارة موناكو وإمارة لايشتنستين معاً. كان هذا هائلاً.

Twitter: @ketab_n

كنت ستأتين دون أن يكون في علمك أي من هذه الأمور. هل سيكون باستطاعتنا حقاً رؤية بعضنا البعض؟ مهما يكن الأمر، لم يكن بوسعي إلا الانتظار محافظاً على الإيمان بك.

جبت المدينة بحثاً عن خوذة كي تستطيعي الصعود خلفي على الدراجة. كانت فكرتي هي أن أعطيك الخوذة الحمراء خاصّتي وأذهب لأبحث عن واحدة غيرها لاستخدامي الشخصي. وبما أني لم أكن أملك الكثير من المال كي أشتري قبعة غيرها، فقد أملت في أن أستعير واحدة من أحد متاجر الدراجات. كل ما استطعت الحصول عليه بعد بحث طويل، كان قبعة قديمة ذات شكل غريب، يشبه تلك القبعات التي تضعها امرأة عجوز وهي ذاهبة للتسوّق. لم يكن هناك أكثر من هكذا بؤس. وبما أننا لم نكن قد رأينا بعضنا منذ ما يقارب العام، فأنا لم أكن بشكل حسن، لكن لا يمكن أن أدعك تضعين مثل هذه القبعة.

كانت الساعة تقترب من الموعد المحدد، فاتجهت نحو الميدان حيث موعدنا، أمام المحطة. كان بعض الوقت لم يزل لدينا قبل هبوط الظلام، لكن السيّاح المستعجلين كانوا قد بدأوا بالتجمع بهيجان محموم في السيارة. كان الطريق مزدحماً بشكل رهيب.

عندما وصلت أخيراً إلى الميدان، كان قطارك قد فات على وصوله عشر دقائق، و كانت واجهة المحطة تعجّ بهواة الألعاب النارية الوافدين للتو.

بحثت عنك بين الحشود. كان هناك الكثير من الفتيات اللواتي في مثل سنّك، لكني لم أجدك بينهن. نظرت إلى ساعتي: كان القطار قد وصل منذ خمس عشرة دقيقة.

Twitter: @ketab_n

ربما لن تأتي.

لا.. فبعد كل شيء هذا غير ممكن.

تركت نفسي أسقط في مكاني، مغلوباً على أمري، بينما كانت نوبة عواطفي المتفاقمة قد بدأت بالخمود.

ما الذي تخيّلته؟ وما الذي كنت أنتظره من لقائنا في هذا المكان؟ الظروف لم تكن قد تغيّرت، منذ عام أو أكثر.

كان الحشد منهمك بنشاط من حولي بينما كنت خافض الرأس ودوماً مع تلك القبعة المقرفة. كل تلك الأصوات لم تبدُ إلا وكأنها تريد قول شيء واحدٍ:

كو- كو، يا لروعة هذه الأمسية للناظر.

كان الجميع متحمّساً. كان الجميع مبتهجاً مسبقاً لروعة هذه الأمسية. حتى أنا، كنت كذلك قبل خمس دقائق من الآن.

- أيو - كون؟

رفعت رأسي، فظهر وجهك الطافح بالدمع وسط الحشد.

" هذه القبعة.. قلت لي وأنت تنظرين إليّ بارتياح. إنها لا تناسبك كثيراً."

- صحيح، أجبت. هيّا، هل نسير؟ فبانتظارنا أمسية رائعة"

عندما حلّ الليل، كنا على شاطئ البحيرة. لم أطلب منك السبب الذي من أجله أتيتِ إلى هنا، ولا أنت، بالمقابل، لم تحاولي أن تسأليني عن مشاعري. كنتَ سعيداً برؤيتك، لكنني كنت لم أزل مرتبكاً. هل

Twitter: @ketab_n

هي مناسبة خاصّة، فريدة، أم كانت تلك بداية لحقبة جديدة. أنا نفسي لم أكن أعرف السبب.

بدوتِ مرتاحة جداً. كانت تعابير وجهك تشير إلى أنك قد وجدتِ في أعماقك جواباً ما، وأنه ليس لديك أي سبب للقلق. مجرد قدومك وحده يعبر دون شك عن هذا الجواب.

جلسنا على الرصيف المحاذي لطول الشاطئ مسندين ظهرينا إلى سياج من المعدن، وتمتدّ أمامنا أرض معشوشبة. كان الهواء منعشاً بالرغم من أننا كنا في فصل الصيف. ربما يعود السبب للمنطقة المرتفعة عن سطح البحر.

في السماء، كانت ستائر الظلام الضخمة المتوقعة لهذه الليلة قد سبق وانخفضت. بدت هيئة جميع المارة المضاءة وجوههم بالمصابيح مفعمة بالسعادة.

وهكذا كان بإمكان هذه الأمسية الرائعة أن تبدأ.

- " ألا تشعرين بالبرد؟
- أنا بخير".

كنت ترتجفين مع ذلك تحت تأثير الهواء الذي كان يلامس صفحة البحيرة. مررت بيدي حول كتفيك.

" شكراً، قلتِ لي. إنك تدفئني"

كانت أولى طلقة من طلقات الألعاب النارية قد انطلقت أخيراً. وصلنا الصوت متأخراً قليلاً عن الضوء فتردد صداه فوق الجبال المحيطة بالمدينة كي تغلفنا ضمن غلالة متناقضة.

- هذا لا يُصدّق. قلتِ لي.

Twitter: @ketab_n

- أليس كذلك.

انتهت فترة التمهيد، وراحت الصواريخ تنطلق الواحد تلو الآخر بقوة متزايدة. كانت البحيرة تضيع ضمن حماسة ليل الصيف ذاك. كان لا بد لأي شخص أن يصرخ وهو يشعر بالدم يصعد إلى رأسه

- هل نسير؟
- همم.

نهضنا ومشينا باتجاه الضفة. كانت شواطئ البحيرة تعجّ بالأشخاص القادمين من كل حدب وصوب. تأمّلنا،نحن الاثنين، مدى المياه من خارج هذه الدائرة.

قلت لي: أنا سعيدة لأنك أتيت.

- حقاً؟
- نعم. أريد أن أقضي الكثير من الوقت معك آيو - كون.

عند هذه الكلمات لففت ذراعك بذراعي. بدا ملمسها ناعماً وبارداً.

- سوف أكون دوماً بقربك، صرّحت بذلك وأنت تنظرين إلى صفحة البحيرة، واقفة بقربي.
- لكن...
- سوف تتحسّن الأمور. أنا متأكدة.

تخلّيت عن فكرة طرح المزيد من الأسئلة. لوّن ضوء الألعاب النارية وجهك بلون غامض. عادت الحرارة إلى ذراعك المتشابكة في ذراعي. فصمتنا.

Twitter: @ketab_n

تركت نفسي وأنا متوقف عن التفكير، أنساق نحو السعادة التي كنت تقدمينها لي.

كانت السعادة تعني أن أكون بقربك.

وكانت النهاية تقترب.

حلّت فترة صمت قصيرة، تماماً قبل آخر طلقة من الألعاب النارية. كان هناك ما يقارب الخمسمائة ألف شخص يحبسون أنفاسهم في لحظة واحدة، لدرجة كان بالإمكان سماع صوت أحدهم وهو يبتلع.

"كلوبس."

ومن ثم انفجر آخر سهم ناري على سطح البحيرة، مشكّلاً قبة ضخمة من الضوء.

لاحقاً، بعد لحظات، ضربتنا نفثة عنيفة، عميقة، وثقيلة.

كنت تراقبين البحيرة بنظراتك الجادّة دون انقطاع، عندما شعرت بنظري مصوّباً عليك، أدرت وجهك نحوي كي تبتسمي لي.

- كان هذا مخيفاً جداً.
- أليس كذلك؟

" لن أنسى مدى الدهر هذه الأمسية". هذا ما تمتمت به قائلة.

ابتعدنا عن البحيرة وحاولنا مغادرة المدينة. أمام واجهات البيوت، كانت مصابيح الـ O- bon [3] ترسل وهجاً منتشراً.

---

[3] O- bon: مصابيح ملونة ورقية تستخدم منذ أكثر من 500 سنة في اليابان القديمة للبرونية.

Twitter: @ketab_n

كنا لم نزل مخمورين من الصوت والضوء. جعلتنا مشاعرنا التي ازدادت حدّة أكثر جرأة.

قلت أنك لن تعودي إلى المنزل. فلم أعترض. كان من المستحيل أن تصلي إلى البيت قبل منتصف الليل حتى وإن استطعت أخذ القطار فوراً. لم يكن في نيّتكِ العودة منذ اللحظة التي قررت فيها المجيء لرؤيتي.

وبما أن الخمسمائة ألف شخص الموجودين هناك، لم يكن في نيتهم هم أيضاً العودة، فقد اكتظت بهم الفنادق الصغيرة، كما كانت النزل المحيطة كلها محجوزة. اتخذنا قرارنا بالعودة إلى مدينة أخرى، نبحث فيها عن مكان نستطيع أن نبيت فيه، وكانت البلدة التالية تقع قرب الممر الجبلي.

كانت دراجتي تتحرك ببطء على المنحدرات الجبلية في الليل. أمسكتِ بي بكل قوّتك، كما اعتدتِ أن تفعلي، وحقيبتك البلاستيكية البيضاء تتدلّى من على كتفك.

حكيت لك عن العديد من المتاعب التي ترهقني. لم يبدُ على وجهك أي دهشة أو ردّة فعل وأنت تصغين إلى مشكلتي.

" كنت أعلم، بشكل ما، أنه لولا هذه الأمور لما تركتَ دراستك، أليس هذا صحيحاً؟"

- أرى ذلك، هذا مثير للإعجاب .
- لهذا أيضاً حاولت الابتعاد عني، أليس كذلك؟
- ربما.
- ألم تشعر بالوحدة؟

Twitter: @ketab_n

- بلى، كثيراً.

عندئذ قلت: أنا أيضاً.

بدأ المطر بالانهمار حتى قبل أن نصل إلى الممر الجبلي. وبما أن الوقت كان ليلاً لا نجوم فيه، كنت أعرف أنه سوف لن يكون وقتاً مثالياً، لكن مع ذلك كان المطر مباغتاً. في البداية جاء على شكل زخّات متفرّقة ثم راح بعدها ينهمر بغزارة. صحيح أننا كنا في فصل الصيف، لكننا أيضاً كنا على ارتفاع 700 متر. حتى المطر تحول إلى صقيع.

تسلل البرد بسرعة إلى جسدينا، ونظراً لطبيعتي التي تنحو نحو تحميل الأمور أكثر مما يلزم، شعرت بقلق عميق يجتاحني، كانت حرارتك تنخفض. وفي هذه الحال كنت ستصابين بالتهاب رئوي.

ظهر نفق للمشاة أمامنا تماماً. فاتجهنا نحوه كي نحتمي من المطر. لكن مع ذلك، كان الدفء يغادر جسدينا بسرعة كبيرة.

كان المطر كقطع نقدية تتدحرج من لص أكتع كان قد فاز بالجائزة الكبرى ولم يعد يعرف كيف يتوقف.

هل نبقى هنا أم نتابع طريقنا؟ لم يكن لدى أي واحد منا فكرة عما يجب عمله . كنت تضغطين بذراعيك بكل قوة حول صدرك وقد غادر اللون شفتيكِ المرتجفتين. كان باستطاعتي رؤية أشرطة صدريتك عبر قميصك الملتصق من الرطوبة. كان الماء يسيل على وجهك وينزلق على طول غرّتك الملتصقة بجبهتك.

لحظة استولى ألم صدري عليّ من جرّاء القلق، بحثت عن عينيكِ. عندما التقت نظراتنا، ألقيتِ نحوي بابتسامة تشجيع.

Twitter: @ketab_n

- كل شيء سيسير على ما يرام، قلت لي. هيا نغادر. يجب أن نعاود المسير.

كل امرئ يعرف مقدار حصته من اللحظات الشديدة الأهمية. بالنسبة لي، كانت تلك هي لحظتي. بالنسبة لك، أنت يا من كنت ستصبحين لاحقاً زوجتي، كان الأمر يأخذ المعنى ذاته. ومع ذلك، تلفّظت بالكلمات التي ستقوم بتحديد مجرى حياتك الخاصة.

" أجد هذا مثيراً للاهتمام للغاية."

منذ اللحظة التي سمعت فيها هذه الكلمات، قررت في قلبي أن أبقى معك مدى الحياة.

أنت من قرر حياتك. وأنت التي اخترت بإرادتك أن تسيري في هذا الطريق برفقتي. كان غروراً من طرفي أن أرفض تحت تأثير أي مبدأ أخلاقي مترنح.

لم أكن أعرف ما الذي ينتظرنا. لا بدّ للسعادة أن تنبع من مكان ما، بذهابنا نحن الاثنين للبحث عنها. كانت تلك وجهة نظر مرحّب بها من كلينا.

- ستسير الأمور على ما يرام. قلتِ.

كل شيء سيكون على ما يرام. كل شيء سيسير نحو الأفضل، بالتأكيد.

كان لدي شعور أنك كنت تتحدثين عن مستقبلنا. مهما بدا الأمر، فقد استأنفنا طريقنا.

لم يكن يبدو كل شيء مظلماً.

ربما حتى شخص مثلي سيكون باستطاعته جعلك سعيدة.

Twitter: @alqareah

- " أنت محقّة، قلت لك، هل نتابع المسير؟
- هيا بنا."

وانطلقنا تحت وابل المطر المنهمر.

عندما وجدنا أخيراً فندقاً لنرتاح فيه، كنا نحن الاثنين بـاردين مثـل جثتين في مشرحة.

" بالرغم من أنه فصل الصيف؟

- لكن الجرف كان على علو 1000 متر.
- لقد تبللنا.
- زيادة على ذلك، فإننا لم نتذوّق أي طعام.
- كان فعلاً سينتهي بنا الحال إلى المشرحة.
- صحيح.
- وبعد؟ قلت لي وأنت تصغي باهتمام.
- وبعد؟
- ماذا فعلنا بعد ذلك؟ نحن الاثنان.
- الكثير من الأشياء.
- مثلاً؟
- أخذنا دشاً، وأكلنا خبزاً.
- إيه...
- بعد ذلك شاهدنا التلفاز معاً.
- هل كان التلفاز موجوداً في الغرفة؟
- تماماً، شاهدنا برنامجاً عن الطبخ. ماذا كان في ذلـك الوقـت... أعتقد بأنه كان طريقة عمل طبق البروكولي...
- وشاهدنا هذا معاً.

Twitter: @alqareah

- تماماً. كنت أحب برامج الطبخ، حتى وإن لم أكن موهوباً بالأفران.
- وبعد ذلك؟
- بعد ذلك أتيت إلى سريري، ضممنا بعضنا، وقبلنا بعضنا.
- غير معقول!
- وتضاجعنا أيضاً.
- ذهبنا إلى أقصى حد. هذا رائع.
- في الحقيقة ليس تماماً.

Twitter: @alqareah

14

هو هو، يوجي!

كنت قد استيقظتُ منتفضاً على صوت رجل مألوف لدي بشكل رهيب، يرنّ بالقرب من أذني.

- " انظر، لقد جلبت لك مفاجأة"

كان يبدو أني نمتُ حتى الضحى.

نهضت من فراشي واتجهت نحو المطبخ وأنا أفرك عيني. كان الإفطار جاهزاً بالفعل على الطاولة. وكانت ميو تغسل بعض الأشياء في المجلى.

بادرتها قائلاً:

- صباح الخير.
- صباح الخير. هل نمت جيداً؟
- كالطفل.
- هذا أفضل.
- أوواه. تعجّب يوجي. أنا أيضاً فعلت ذلك.

Twitter: @alqareah

- كما سبق وشرحت لك، عدت لأقول وأنا أجلس إلى الطاولة، في الوقت الذي كنتِ فيه طريحة الفراش، كان لزاماً عليّ الاعتناء بالمنزل، بالرغم كل شيء.

لم يكن هذا سهلاً. أضفت قائلاً، كنت أنسى كل شيء، لم أكن أسجّل شيئاً، كما كنت أسقط بعض الأمور بسبب التعب...

- لهذا أنت ترتدي ثياباً قذرة، وتعيش في شقّة غير مرتبة؟
- بالضبط.

كان تعبير وجه ميو يشير إلى أنها لم تزل مرتابة، لكنها أذعنت للأمر أخيراً، وقالت:

- فهمت، هذا يعني أنه يجب عليّ أن أكون في أحسن حال .
- تماماً.
- لكن سبق وقلت لك، أليس كذلك؟ قلت لك أن كل شيء سوف يجري بشكل حسن.
- آه، صحيح.
- إذن، سوف أبذل قصار جهدي.
- ووجع رأسك؟
- إنه أفضل، لا يزال يؤلمني قليلاً، لكنه سوف يتحسّن.
- أنا سعيد لسماع ذلك.
- شكراً.

بعدها سألتها: هل تريدين أن نتسوّق معاً هذا المساء؟

- معاً؟
- أريدك أن تقابلي شخصاً ما.

Twitter: @alqareah

- أنا؟

هززت رأسي موافقاً، واستطردت قائلاً:

- إنه صديق لنا نحن الاثنان. ربما باستطاعته مساعدتك في استعادة ذاكرتك.

- أشعر بالفرح مسبقاً.

- أليس كذلك؟

- إنه نومبر- صانسي. قال يوجي.

- نومبر...

- إنه الرجل الذي سوف نراه هذا المساء. نحن نسميه نومبر - صانسي.

- هل هو أستاذ؟

- كان أستاذاً في السابق. شرحت لها. كان يعمل كمعلم في المرحلة الابتدائية.

قال يوجي: سوف يكون بووه هناك أيضاً. فنظرت إليّ ميو باستغراب.

قلت لها: سوف تفهمين عندما تشاهدينه.

أقبل الليل، فذهبنا إلى المركز التجاري كي نشتري البروكولي، ولحم الخنزير المقدد، والفطر، وبعض الكريما الطازجة. عند العودة، أخذنا الطريق باتجاه المتنزّه رقم 17.

نومبر وبووه كانا فوراً مرئيين. طلبت من ميو ويوجي أن ينتظرا قليلاً، ودخلت وحدي إلى الساحة. أشار إليّ نومبر عندما رآني أصل. بادرته قائلاً :

Twitter: @alqareah

- صباح الخير.
- هولا.
- هل جهّزت نفسك جيداً؟
- أنا جاهز، سوف لن أبدو متفاجئاً.
- لقد فقدت ذاكرتها كلياً.
- سبق وقلت لي هذا، نعم.
- وهي لا تعرف أيضاً بأنها مجرّد طيف.
- بالطبع أشك في ذلك.
- لا أريد أن أقول لها ما حدث دفعة واحدة منذ عام، أنا أتصرف وكأن لا شيء قد حدث، كما لو أنها كانت تتابع حياتها معنا كل الوقت.
- فعلت حسناً. فالحقيقة مرّة جداً.
- لهذا...
- فهمت، لا توجد مشكلة.

التفت نحوهما كي أشير لهما بالتقدم.

" ها هي تصل، قلت لنومبر بصوت منخفض"

- مممم، ممم.

أقبلا للحاق بنا، وهما يمسكان بأيدي بعضهما البعض. أسرع يوجي نحو بووه وبدأ يلعب معه.

- صباح الخير، قالت ميو.
- صباح الخير. إذن هذه هي المشكلة، يبدو أنك قد نسيتِ بعض الأشياء.

Twitter: @alqareah

- في الواقع نعم، وهذا أمر مزعج.
- حتى أنا نسيتني؟
- آسفة. قالت ميو. أنا أعرف أنك الأستاذ نومبر. لكني لا أتذكرك.

أطلق نومبر ضحكة صغيرة، وعاد ليقول:

- بما أنك قد نسيتِ زوجك، فسيكون أمراً مزعجاً قليلاً أن تتذكريني أنا...
- أليس كذلك.

وأنا أنظر إلى ميو تتحدث مع نومبر اجتاحني شعور غريب، كما لو أنها كانت تسكن فعلاً عالمنا، على كل حال، حتى هذه اللحظة، كنت أعتقد بأننا فقط أنا ويوجي سوف نلاحظ حضورها كما لو كانت حلماً سعيداً. لكن لم يكن ذلك هو الحال. كانت فعلاً هنا قلباً وقالباً.

كان ميو ونومبر يتحدثان عن لقاءاتهما الأولى.

- كان شعرك مسدلاً. كنت ترتدين مئزراً، وتمسكين بيدك حقيبة بلاستيكية ملأى بالمؤن.
- هل كان هذا هنا؟
- بالضبط. كنتما أشبه بزوجين من طلاب الثانوية، على الرغم من أنكما لم تزالا شابين حتى الآن.

كيف أقول... كيف أقول... بدا النظر إليكما ممتعاً. قال نومبر.

لا بد وأن كل يوم بالنسبة لكما كان رائعاً. هذا هو الانطباع الذي كنتما تعطيانه . كنتما تبدوان شديدي الاختلاف عني لدرجة أني كنت أحسدكما قليلاً.

Twitter: @alqareah

- أجابت ميو: هذا لأن أمنياتنا كانت قد تحققت أخيراً، وكان باستطاعتنا البقاء معاً في النهاية.

- نعم، قال نومبر، هذا أيضاً كان لي علم فيه. الألعاب النارية على البحيرة. لا بد وأن هذا قد حصل في العام الذي سبق لقائي بكما هنا...

التفتت ميو نحوي كي تنظر إليّ. فقلت: هذا صحيح، لقد تزوجنا في الربيع، بعد عام من لقائنا، في ربيع عامنا الثاني والعشرين. كنت أخيراً قد وجدت عملاً أنا أيضاً، وجئنا لنقيم هنا.

عاد نومبر ليقول: كنت دائمة القلق على تاك - كون. حتى أثناء نقاشاتنا في هذه الحديقة كنت دوماً تسألينه " هل أنت بخير؟"

أجابت ميو:" أنا؟"

- نعم، أنت ميو - صان، لأنه كان قد باشر بعمله الأول، ولم تكن صحته على ما يرام. كنا نعرف تماماً بأنه كان يبذل جهداً كي يتماسك، لكن كانت علائم التعب بادية عليه.

هززت كتفي بينما كانت ميو تنظر إليّ من جديد، مشيراً إلى أن الأمر لم يكن خطيراً.

تابع نومبر: وفوق كل هذا، أصبحتِ حاملاً. كانت تبدو عليكما السعادة عندما أتيتما تزفّان إليّ الخبر.

- أكان يوجي في داخلي...

- ماذا هناك؟ سأل يوجي.

قال نومبر: نحن نتحدث عن الزمن الذي كنت فيه داخل بطن أمك أيها الصغير. بفضلك، بدا والدك ووالدتك من أسعد مخلوقات الحياة.

Twitter: @ketab_n

- حقاً؟
- صحيح. قالت ميو.
- هل تعرف، استطرد نومبر قائلاً، حتى قبل موعد ولادتك كان لدى أمك شعور بأن المولود سوف يكون ذكراً، لهذا فقد راحت تشتري كل لوازم الطفل على أنه سيكون صبياً صغيراً.
- نعم. هذا صحيح! شعرت براحة كبيرة عندما ولدت ." أوف" شعرت بأني لم أشتر كل هذه الحاجيات بلا جدوى.
- هاه، قال يوجي، وهو شارد، قبل أن ينادي ميو قائلاً: على فكرة هذا هو بووه.
- ~؟ قال بووه، الذي جاء ليجلس تحت قدمي ميو.
- وصوته ~؟ قالت ميو وهي تلتفت نحو نومبر.
- قبل أن يأتي لعندي، كان قد فقد صوته بسبب عملية أجريت لمنعه من العواء.
- ~؟
- مع ذلك، تابع نومبر، لم يبدو لديه أي اعتراض ولا قلق، إنه رفيق رائع.

بعد صمت قصير عاد ليقول: حسناً، لا يجب أن نتأخر في العودة...

وأشار إلى كيس البلاستيك الذي يحمله في يده وقال:

- أخيراً!
- سمك بحري صغير؟
- تماماً. اليوم أيضاً، باعوه بنصف السعر. أنا سعيد بذلك.

ميو - صان، أضاف نومبر باندفاع.

- ماذا؟

Twitter: @ketab_n

- أتمنى أن أراكِ مجدّداً.
- نعم.
- أنت...

تردّد نومبر قليلاً. وارتجفت اليد التي كانت تمسك بـالكيس برفـق، قبل أن يتابع :

- إنـك تجعلينني أفكر بـأختي الصغرى. لـن أستطيع شرح السبب تمـاماً، ربما هي حركاتك. وهذا ما يشعرني بـالحنين، ويجعلنـي أفكر بذكرى الزمن الجميل، عندما كنت أعود من عملي، وأقصّ عليها كل حوادث يومي...

أخفض نومبر رأسه برفق بعد أن تلفّظ بكلماته.

- أنا أعتذر كوني أثقل علـيكما بقصصي القديمـة. لا تـتردّدي في العودة إلى هنا.
- بالطبع، قالت ميو، سوف أعـود مـرة أخـرى، وسـوف تخـبرني بأكثر من ذلك عن هذا الموضوع. أكثر بكثير.

أدار لنا نومبر ظهره وهو لم يزل موافقـاً عـلى كلامنـا، كي يعـود إلى منزله. أسرع بووه للحاق به.

- باي - باي.

كان هذا يوجي الذي قال ذلك وهو يحرك يده.

Twitter: @ketab_n

15

شيئاً فشيئاً، وبجزيئات صغيرة، راحت ميو تملأ الفراغ الذي سبّبه غيابها.

عندما استيقظتُ فجأة في قلب الظلام، شعرت بأنفاسها نائمة، في الطرف الآخر من يوجي. وكما الصياد الذي يسمع ضجيج الأمواج، اعتدت بشكل غريب سماع طيف زوجتي وهي تتنفّس أثناء النوم. وهذا ما جعلني سعيداً.

" بدأت قصّتنا في ربيع سن الخامسة عشرة، واستمرت حتى صيف الثالثة والعشرين.

عندما ولدتِ يوجي، أصبح صدرك كبير الحجم بشكل لا يُصدّق. نهداك اللذان كانا حتى الساعة متوسطي الحجم، ارتفعا بفخر باتجاه السماء، ورسمت أوعية دموية زرقاء لامعة رسومات رائعة فوقهما، شبيهة بعروق أوراق الشجر. لم يجفّ حليبك أبداً، كما النبع عند حافة الجبل. كان يوجي يشعر بالشبع، وحليب أمه يتابع تدفّقه، مالئاً وجهه. كنت تستطيعين تخمين شهيته بانتفاخ واحد من صدرك.

- قريباً، كنت تقولين، قريباً جداً سوف يبدأ في البكاء معلناً عن رغبته في تناول الطعام.

Twitter: @ketab_n

كنتما لا تزالان مرتبطين مع بعضكما البعض، كما لو كنتما كائناً واحداً.

في هذه الفترة، بدأت صحتك بالانحراف، ولم يكن بالإمكان القول أنك كنت بخير. لكن بالرغم من ذلك كنت تبذلين قصارى جهدك لأجل مصلحة يوجي، الذي لم يكن بعد سوى كائن صغير غريب، رخوي وطري العود، فكنا نوليه الكثير من الاهتمام.

كنا نحممه معاً، نحن الاثنين. كنت أمسكه بينما كنت تنظفينه بقطعة من الشاش. بعد أن تطعميه، كنت أربّت على ظهره كي يتجشأ. عندما كان يبكي وهو غير قادر على النوم، كنت أضعه على بطني، وتغنين له أغنيات رقيقة، وأنت بالقرب منه.

نان نان كورو ريّو أو كورو ويو.

عندئذ كان ينام فوراً.

كنت أنظر عندها بضيق إلى يوجي الذي كان يشخر وهو نائم على معدتي. فأنا في هذا الوضع لم أكن لأستطيع التحرك فوراً. كنت في تلك اللحظات أتذكر تعاطفي الشديد لآباء طيور البطريق الإمبراطور.[4]"

في عطلة نهاية هذا الأسبوع ذهبنا نحن الثلاثة إلى الغابة. كانت ميو تقود الدراجة التي كنت أستخدمها للذهاب إلى العمل. كانت لم تزل تعرف كيف تركب دراجة بسهولة بالرغم من فقدانها للذاكرة.

عند مدخل الغابة، راحت الأم وطفلها يبحثان عن نباتات التريفل[5] ذات الوريقات الأربع، بينما رحت أمارس الجري بالقرب منهما. عند

---

[4] طائر بحري يدعى البطريق الإمبراطور

Twitter: @ketab_n

كل دورة جديدة كنت أقوم بها، كانا يعرضان عليّ كل ما جمعاه خلال هذا الوقت. كان هناك أعداد كبيرة منها. ربما التريفل ذو الأربع وريقات كان يشكل الحالة الطبيعية لهذا الحقل.

- يا للمكان المبهج جداً.

مرّت الأيام بهدوء. لم يبدُ موسم المطر وكأنه يوشك على الانتهاء. كنا نلتقي بالبروفيسور نومبر كل يوم، وكانت ميو تصغي إليه بفرح وهو يحكي طرائف الأيام الأولى لزواجنا.

ثم عندما كان يحلّ الليل، كان يأتي دوري لأستعيد المشعل من البروفيسور.

" الكلمات الأولى التي نطق بها يوجي كانت " مان مان مان مان"

لم نكن نستطيع أن نتبين بوضوح إن كان يشير إلى أمه أو إلى الحليب الذي يفيض من صدرها. أعتقد أنه بالنسبة إليه، لم يكن هناك بعد من فرق بين الاثنين.

مان مان مان مان.

هكذا كان يطلب من والدته، ومن السائل الدافئ الذي كان على وشك ملء معدته في الوقت نفسه.

لم يقل يوجي" بابا" ولا مرة . كان يسمعك تناديني " تاك - كون " فبدأ هو الآخر بدوره يناديني بالاسم ذاته. هذا الرجل النحيل جداً كالهيكل العظمي، ذو الوجه الواهن، كان تاك - كون.

---

[5] Trefle: جنس من الأعشاب ورقتها مؤلفة من ثلاث وريقات ونادرا ما تتألف من أربع وريقات.

Twitter: @ketab_n

- أنا أيضاً كنت أناديك " تاك - كون"؟
- تماماً. منذ اللحظة التي تزوجنا بها. قررتِ مناداتي بهذا الاسم.
- أنا قررت؟
- هممم، لأننا كنا زوجين رزينين. اتخذنا مثل هذا النوع من القرار، كما يُقال.
- إذن، كنا قد منعنا أنفسنا من قول " عزيزي، أو حبيبي" ؟
- ليس الأمر هكذا. لقد أطلقتِ عليّ أنواعاً شتّى من الأسماء، " تاك - كون، عزيزي، أيو كونَ...." فاتفقنا فقط على الاسم الأكثر نمطية.
- وما هو الاسم الذي كنت ترغب في أن أناديك؟

فكرت قليلاً قبل أن أجيب.

- كل اسم كان يناسبني. بما أن كل الأسماء كانت تخصّني.
- في هذه الحالة ليس لديك اعتراض على كلمة " عزيزي"؟
- أبداً. فقد بدأت في الحقيقة أعتادها...
- إذن سوف أناديك بهذا الاسم حتى تعود إليّ الذاكرة، اتفقنا؟
- اتفقنا.

Twitter: @ketab_n

16

في عطلة الأسبوع الثانية، عدنا مرة أخرى للتنزّه في الغابة.

كانت قد أمطرت حتى منتصف الليل، وكانت قطرات صغيرة من الماء تتساقط من أوراق الأشجار، والأرض رطبة تحت أقدامنا.

كنا نتقدّم ببطء في دروب ضيقة. تقدمّت أمامهما، بينما كانا يسيران وهما يدفعان بدراجتيهما بعد أن نزلا عنها.

بعد المطر، نسجت العناكب بيوتها عشوائياً في تلك الدروب . وكنا نتقدّم بحذر كي لا نأخذها بوجوهنا.

- أوه، واحد آخر.

نظفت شباك العنكبوت التي كانت على رأسي.

- لماذا يوجد الكثير من شباك العنكبوت بعد المطر؟ سألت ميو التي كانت تسير ورائي.

- سؤال جيد... ربما هم مستعجلون لنسج شباكهم من جديد بعد أن أتلفها المطر، لكن لماذا يوجد الكثير منها في الممرات الضيّقة؟

- سوف ينتهي بها الأمر بأن تتلف من قبل الذين يسيرون في هذه الممرات الضيقة.

Twitter: @ketab_n

- لا شيء يستطيع أن يحبط من عزيمتها، هذه الحشرات ...

بعد أن تابعت الحديث على هذا المنوال وكررته عدة مرات توقفت لأقول:

- سوف أريكما شيئاً لطيفاً.
- ما هو؟
- ما هو؟
- إنه مجرد شيء سبق وأشرت إليه عندما جئنا في إحدى المرات إلى هذه الغابة. أعتقد بأن يوجي يتذكّره.
- حقاً؟

خرجت من الدرب كي أغوص داخل الغابة. تبعاني هما الاثنان بعد أن ركّنا دراجتيهما.

كانت كثافة النباتات، والطبقات المتعددة للأوراق الميتة تجعل تقدمنا صعباً. على بعد خمسين متراً تقريباً، توقفت مرة أخرى.

- انظرا.

وقفت جانباً كي لا أعترض مجال رؤيتهما.

صرخ يوجي: " آه، أزهار! يوجد منها الكثير!"

كانت نباتات الهوستا[6] تحيط بنا من كل جانب، والأزهار البيضاء الصغيرة تملأ أسفل الغابة.

- ألا تتذكرانها؟ قلت وأنا أشير إليها.
- متى كان ذلك؟
- ليس العام الفائت، إنما الذي سبقه على ما أظن.

---

[6] Hostas: نبات مزهر ينمو في الظل أو شبه الظل.

Twitter: @ketab_n

في العام الفائت، وبسبب مرض ميو، لم نكن قد جئنا إلى هذه الغابة في هذه الفترة من السنة.

عاد يوجي ليقول: العام ما قبل الفائت؟ منذ كم من الوقت؟ هل كنت قد وُلدت؟

- بالطبع، بما أننا اصطحبناك إلى هنا. كنت في الرابعة من العمر.
- غير معقول.
- ومع ذلك فهذه هي الحقيقة.
- غريب... قال يوجي وهو يهزّ رأسه، أنا لا أتذكر هذا أبداً. إنها جميلة جداً.

تأمل الأزهار بنظرة فتى راشد وعاد ليقول :

- لدي شعور بأن هذا من مصلحتي.
- كيف ذلك؟
- حسناً، قال يوجي وهو يحدّق بي، بما أني لا أتذكر بأني قد رأيت هذا المشهد في يوم ما، ورأيته الآن فجأة، فوجدته رائعاً، أليس كذلك؟
- آه. قد يكون هذا حسنٌ.
- هكذا هي الأمور دوماً. فالمرة الأولى هي التي تعطي المشاعر القوية.
- هذا صحيح.

كانت سجادة الهوستا تمتد ناشرة هنا وهناك زنابق بريّة.

- يا لهذه ا لرائحة المسكرة. قالت ميو، إنها تكاد تسبب التقزّز.
- إني أتساءل لماذا هي بهذه الرائحة القوية الفواحة.

Twitter: @ketab_n

- إنها تشبهنا عندما كنا في الثانوية، ألا تعتقد ذلك؟
- حقاً؟
- هل من أحد؟ كان ينادي الشريك العاشق.
- فهمت.
- إن كانت تبحث عن سبلٍ لجذب الحشرات من أجل التلقيح، فسيكون هذا نوعاً من غناء الحبّ المجازي أيضاً.

تسللنا خارج الغابة. كانت بقايا المعمل تمتدّ تحت السماء الغائمة جزئياً. فبدا الباب رقم 5 صغيراً.

- في لحظة ما... قالت ميو، في مكان ما، أشعر بأن حياتي قد بدأت هنا.

ركن يوجي دراجته جانباً، قبل أن يفرّ هارباً.

- أحقاً لا يتعدّى الأمر أكثر من أسبوعين؟
- أجل. لكن قبل ذلك بكثير كنت تعيشين معنا أنا ويوجي.
- هذا صحيح. أنا سعيدة جداً بمعرفة ذلك.

مدّت ميو ذراعيها فوق رأسها كي تشد ظهرها.

- ومع ذلك... أضافت قائلة. لدي إحساس بأن هذا قد عاد عليّ بالفائدة.
- آه صحيح؟
- نعم، لأني استطعت الوقوع في حبك من جديد.

باباداووم، باباداووم. قالت ميو وهي تضع يديها على صدرها، لتشير إلى صدى ضربات قلبها.

باباداووم

Twitter: @ketab_n

عاودنا السير، يداً بيد.

" تاك – كون، صرخ يوجي. انظر، إنه زنبرك!"

أجبته بإشارة من يدي.

- إنه نابض لولبي، شرحت قائلاً لميو. لا شيء استثنائي بالأمر. نستطيع أن نجده مع قليل من الحظ.

- حقاً؟

- همم، على عكس المسننات فهي نادرة، لهذا عندما نعثر على واحد منها، فسوف يشكل هذا حدثاً، ومن يجدها يُعّد من المحظوظين.

- حسناً، أنا أيضاً سوف أبحث عنها إذن.

- أرجوك، هذا ليس بالأمر السهل.

- لكننا وجدنا الكثير من التريفل ذات الوريقات الأربع، أليس كذلك؟

- هذا لأنه مكان خاص بهذه النباتات.

- أتعتقد ذلك؟ أو ربما أكون أنا محظوظة استثنائية... أليس كذلك؟

- دون شك.

ناديت يوجي قائلاً: يوجي، ماما سوف تبحث معك.

عند قولي ذلك، اندفعت ميو للقائه. كانت تنورتها الواسعة المطبّعة بالأزهار تتراقص بخفة. أشار إليها يوجي بيده.

كان مشهداً مفعماً بالسعادة.

إن كان هذا بالفعل ما تفكّر به ميو، فهذا يعني أنه كذلك. وإن كان كذلك، فأنا أتمنى أن تبقى سعيدة حتى اللحظة الأخيرة. لم يكن لدي الكثير من الحظ، لكن ميو، بالمقابل، كانت امرأة تكفيها ابتسامة لتغدو سعيدة.

Twitter: @ketab_n

من شرفة شقتنا المحترمة في الطابق الأول. كنا نستطيع أن نرى الأرض البور الموجودة تماماً أمامنا. في الأسفل، كان يوجي منهمكاً بدفن محصول اليوم : خمسة عشر برغياً، اثنا عشر منها بشكلها الأصلي، وثلاثة منها بشكلها اللولبي فقط، فاليوم لم يجد مسننات .

كانت خصلات شعر يوجي تلمع تحت أشعة الضوء الذي اخترق الغيوم.

- يا للشعر الجميل... قالت ميو وهي بالقرب مني.
- هذا صحيح. هذا لأنه أمير انكليزي.
- أمير انكليزي؟
- بالطبع. إن وقف هناك دون أن يتكلم، فسوف يظنون أنه ابن أمير من عائلة مرموقة. كأمير انكليزي...
- وإن بقي صامتاً؟
- كما حتى لو هو بقي صامتاً.

ضحكت ميو وقد بدت فرِحة.

- أتعلم؟ قالت.
- ما الأمر؟
- إنه يتحدث تماماً مثلك...

بعد أن فكرت قليلاً أجبتها: حقاً؟

- إنه ولد جميل.
- أليس كذلك. تماماً مثلي.

Twitter: @ketab_n

رمقتنـي ميـو بنظـرة، قبـل أن تلتفـت لتنظـر إلى يـوجي، في الأرض القفار.

- هو لطيف، هادئ، وأليف. إنه مغاير قليلاً عـن بـاقي الأولاد، أليس كذلك؟

- هذا أيضاً، يعود جزء منه إلى سحره، إنه من أصول رفيعة.

- أتعتقد ذلك؟

- بالطبع. فيوجي قبـل كـل شيء هـو تحفتـي الفنيـة. أن يولـد طفل بهذه الروعة من شخص عادي مثلي... أجد هذا استثنائياً.

- إنه فعلاً ابنك.

- - ومنك تلقّى نصف ما يملك من سحر.

- لا أستطيع أن أصدق.

- مع ذلك هذه هي الحقيقة، قلت لها. أنت نسيتها هذا كل ما في الأمر.

- آه، صحيح؟

- هممم، أنت الأخرى كنت استثنائية.

- ولون شعره هل أخذه منك؟

حدّقت ميو بيوجي، وقد ضاقت عيناها. فقـد تخلـت مـؤخراً عـن ارتداء نظارتها، كانت قـد قامـت باختبارهـا، لكـن لم يكـن للعدسـات المفعول ذاته.

- في الحقيقة، عندما كنت صغيراً، كان لي الشعر ذاته.

- يا للون الجميل!

- همم، عندما كنت في الثانية أو الثالثة من العمر، كان شـعري ذهبي اللون وشديد اللمعان.

Twitter: @ketab_n

- لابد وأنك كنت جذاباً.

صرخ يوجي وهو ينظر إلينا من الأسفل :

- من هو الجذاب؟
- شخص ما، يسيل أنفه على الدوام، ويقضي وقته في التقاط الفضلات غير المفيدة. والذي من عادته أن يسأل: أحقاً؟
- من هو؟ ياله من شخص مضحك...؟

Twitter: @ketab_n

17

بدأ الطقس يتغير، وها قد وصلنا للتو على عتبة منتصف فصل المطر.

مرّت عدة أيام، لم يظهر فيها نومبر - صانسي في المتنزه. قلت لابد وأنه موجود في مكان آخر، لكن ميو كانت تحرك رأسها باستمرار، لتنفي هذه الفكرة. مضى أربعة ثم خمسة أيام. ولم يظهر نومبر، ولا حتى بووه.

- ربما يكون قد حصل له حادث ما، قلت.

- لا شك في ذلك، يجب أن نذهب إلى بيته.

بيد أننا لم نكن نعرف عنوانه. حتى ولا اسمه الحقيقي.

- كم يبلغ من العمر؟ سألتني ميو.

- أنا أتساءل عن ذلك أيضاً. أعتقد بأنه يجب أن يكون في سن مدير عملي.

- إذن كم عمر رئيسك؟

- هذا... أنا أيضاً أتساءل عن ذلك. بالتأكيد يجب أن يكون قد تجاوز سن الثمانين منذ زمن .

- هل تعتقد بأنه مريض؟

- ربما.

Twitter: @ketab_n

- يجب أن نسأل أحد ما في المتنزه عنه.
- فكرة صائبة.

كان هناك شاب يواظب على المجيء إلى المتنزه رقم 17 يجلس ويقرأ، دوماً في الكتاب ذاته.

ذات يوم، وهو مأخوذ بقراءته، تقدمت بشكل يكفي لأتلصص على عنوان الكتاب، الذي كان " قانون في ممارسة اللغة اليومية". انتبه الشاب إليّ وقال :

- الأشياء المهمة (رافعاً الكتاب أمام نظري) كلها مشارٌ إليها هنا.
- آه، فهمت ذلك.

حتى أني سألته في إحدى المرات عن عمله.

فأجابني وهو يقوّس جذعه: أنا كاتب. بالرغم من أني لم أنشر بعد أي كتاب.

- فهمت.

إن كان باستطاعتنا أن نعلن عن أنفسنا بأننا كُتّاب حتى وإن لم نكن قد نشرنا أي كتاب لاستطاع أي شخص إذن في العالم الاستئثار بهذا الامتياز. لهذا فقد قلت له:

- أنا أيضاً كاتب. لكني لم أنشر بعد أي عمل.
- هذا ما ظننته. أجابني. فقد تعرّفت على الرائحة.

وعن سؤاله: ماذا تكتب؟

- أجبته: لم أكتب أي شيء بعد.

(كان هذا قبل أن أبدأ عملي في صياغة الرواية)

Twitter: @ketab_n

عدت لأقول : أكتب شيئاً ما، حول الذكريات التي عشتها مع زوجتي.

- هذا حسن.. قال، الأشخاص الذي قرروا ما الذي يجب أن يكتبوه، هم فعلاً سعداء.

- آه، صحيح؟

- أنا كما ترى، لدي ومضات من الوحي، لكن في النهاية كل شيء مكتوب هنا.

عند هذه الكلمات، أشار إلى قاموس ممارسة اللغة اليومية. شعرت بالشفقة نحوه.

هذا اليوم أيضاً، كان موجوداً في المتنزه رقم 17، وكعهده دوماً، كان جالساً على المقعد الأبيض بعيداً عن بابا المدخل، مشغولاً بقراءة " قاموس في ممارسة اللغة اليومية"

طلبت من ميو ويوجي أن يبقيا حيث هما بينما أذهب أنا لرؤيته. لمحني قادماً، فرفع أنفه عن كتابه.

- صباح الخير، قلت له.

- آه، أهذا أنت!

- نعم، هذا أنا.

عاد مرة أخرى إلى كتابه فاقداً الاهتمام فوراً بالسؤال. كنت أتحدث إليه وأنا مضطرب.

- هنا...

رفع رأسه، وقال :

- ما الأمر؟

Twitter: @ketab_n

- هل تعرف شيئاً عن سيدٍ عجوز كان يجلس باستمرار على هذا المقعد؟

وأشرت إلى المقعد المعتاد الذي كان يجلس عليه نومبر - صانسي.

أجابني وهو يبدي رأيه بلا مبالاة كأنه مدير .

- أجل أعرفه، العجوز توياما.
- توياما؟ هل هو الاسم الحقيقي لنومبر - صانسي.
- نومبر؟!

بحث قليلاً في ذاكرته قبل أن يقول:

- آآه.. نعم بالطبع، نومبر - صانسي... سمعتهم يتحدثون عنه. نعم إنه العجوز توياما.

عدت لأقول: لم نره منذ بضعة أيام.

- سمعتهم يقولون أنه موجود في منزله طريح الفراش.
- غير معقول.
- أؤكد لك.
- وكيف حاله الآن؟
- حياته ليست في خطر، إنه نزف في الدماغ، أو في نظام الدورة الدموية.

أغلق كتابه محدثاً صوتاً قوياً. ظاهرياً، بدا وكأن هذا الحديث لا يلفت انتباهه. لكنه عاد ليقول:

- إنما هناك العديد من المضاعفات. على أي حال، سوف لن يعود إلى حالته الطبيعية كما كان.

Twitter: @ketab_n

التفتُّ إلى ميو. عندما رأت تعابير وجهي سارعت للانضمام إليّ، لابدّ وأني كنت أبدو جاداً. كان يوجي يسير وراءها.

بادرتني بالقول: إذن، ما أخبار البروفيسور؟

أعدت عليها ما قاله الشاب.

عادت لتقول: لا، هذا ليس صحيحاً...

فعاد الشاب ليقول: زيادة على ذلك، يبدو أنهم قرروا إرساله إلى مصحّ موجود في مدينة بعيدة جداً. يجب أن يذهب إليه فور خروجه من المستشفى.

فقلت: من هو إذن المسؤول عن هذه الإجراءات.

- إنه رئيس بلدية الحي. فهو عجوز ويُدخل أنفه في كل شيء. إنه يحب هذا النوع من الأعمال.
- كيف عرفت كل هذا؟
- لأني ابنه. رئيس بلدية الحي يكون أبي.
- آه، فهمت.

طلبت من الشاب عنوان نومبر - صانسي، وغادرنا المتنزه.

- وبووه؟ سأل يوجي.
- سيكون بخير، قالت ميو، سيكون بخير.
- لم يزل هناك الكثير لأحكيه معه. قلت لها ونحن في طريق العودة. الكثير من الأشياء.
- أعرف..

ضربت ميو حجرة على طرف الطريق بقدمها.

Twitter: @ketab_n

- أنت بحاجة إلى البروفيسور، أليس كذلك؟
- أنت أيضاً. ميو.
- نعم، هذا صحيح.

أكدّت على كلامي بهدوء.

لكنها قالت وهي ترفع رأسها: لا يبدو هذا وكأننا لن نراه مطلقاً.

- بالطبع، لكن...
- يجب أن نقوم بزيارته.
- هذا غير ممكن. لقد قال لنا الشاب بأنه يعيش بعيداً عن هنا.
- سيكون كل شيء على ما يرام، كل شيء، قالت ميو.

Twitter: @ketab_n

18

في مساء اليوم التالي، ذهبنا إلى العنوان المشار إليه من قبل الشاب. كان منزل البروفيسور يقع في شارع سكني قديم، على بُعد عشر دقائق، شمال المتنزه رقم 17.

كان منزلاً قديماً من الخشب مكون من طابق واحد، من تلك المنازل ذي البناء البسيط الذي كنا غالباً ما نسميه في الماضي بالإقامة الحضرية.

كان المنزل محاطاً بالليلك الصيفي، والأورطنسيا، واللوتس، والكامكات[7]. إلى اليمين مباشرة كان يوجد أرض جرداء، بينما ارتفع على اليسار مبنى قديم آخر.

فتحنا الباب الخشبي ودخلنا إلى الحديقة. كان هناك أحجار مرصوصة بشكل متتالي تصل حتى الشرفة الزجاجية ذات الأبواب المنزلقة. صرخ يوجي الذي كان يقود المسيرة:

- آه، بووه، هنا!

من ثم سار حتى آخر الحديقة.

اندفعنا أنا وميو للحاق به.

---

[7] Kumquats: نوع من البرتقال الذهبي الصغير الحجم، يؤكل مع قشرته الخارجية.

Twitter: @ketab_n

كان بووه ملتجئاً تحت الشرفة المفتوحة حيث لا يظهر منه غير رأسه.

- بووه. ناداه يوجي.

رفع بووه رأسه وأطلق صوته المخنوق ؟~.

كان همساً أضعف من المعتاد. كان يتنفّس بطريقة متقطعة وهو يمد لسانه. هاه - هاه - هاه - هاه .

وضع يوجي ذراعه حول رأس بووه قبل أن يدفع بوجنتيه في فرائه.

- ؟~

- وكأنه لم يأكل شيئاً.

- يبدو ذلك نعم.

يظهر، حتى وإن كان رئيس بلدية الحي قادراً على حشر أنفه في كل مشاكل الآخرين، إنما لم تكن صلاحيته لتمتدّ حتى الكلاب.

- إن كان الأمر كذلك، فمن الأفضل إرساله إلى مأوى؟

- لا أريد. صرخ يوجي متباكياً وهو ينظر إلينا. لن يحدث هذا أبداً!

- أعرف ذلك... لهذا يجب إخراجه من هنا.

- أحقاً؟

- همم.

سحبت حبل رسنه كي أخرجه من مخبأه.

- هيا تعال.

- أعطني. قال يوجي. فمددت له بالرسن.

- هيا بووه، سنذهب!

Twitter: @ketab_n

مع ذلك، وبالرغم من سحب يوجي للرسن، إلا أنه رفض التحرك.

- بووه، حتى ولو بقيت هنا، فالبروفيسور لن يعود.
- ~؟
- هيا سنذهب.
- ~؟

رفع يوجي عينيه نحوي وقال : إنه يقول " لا أريد ".

- هممم.

أقعيت وقرّبت وجهي من بووه وهمست له:

- أرى تصرّفك هذا رائعاً. إن ثابرت على هذه الحال، فلربما يشيدون لك نصباً تذكارياً أمام المحطة تكريماً لك.[8]
- ~؟
- لكن أنت تفهم كيف هي الحياة. إنها تعني أكثر من ذلك. البروفيسور سوف لن يعود.

هزّ بووه رأسه.

- تماماً، كان يجب عليه الذهاب بعيداً.

لأجل هذا - قلت له- وضعك المثالي هذا يبدو رائعاً، لكنه في نظري هو تصرّف عقيم.

- ~؟
- ليس هذا ما ينتظره البروفيسور منك. أعتقد بأنه كان يرغب بأن تستعيد حياتك.

بدا وكأنه يفكر بجدية.

[8] تنويه عن الكلب الياباني الذي بقي تسع سنوات ينتظر أمام المحطة، سيده الذي كان قد توفي.

Twitter: @ketab_n

- أنت كلب ذو عقل راجح. لهذا أظن بأنه يجب عليك أن تفهم. الفراق صعب، ومحزن، لكنك لا تستطيع أن تكون سعيداً ببقائك محشوراً هنا.

نهضت، وتركت له الوقت للتفكير. رفع بووه رأسه كي ينظر إليّ قبل أن يلتفت ناحية يوجي. ثم، وكما لو أن مجرّد هذا المجهود قد أتعبه، أرخى فكه، سحب لسانه، وأغلق عينيه.

نظرت إلى ميو، أشارت بتمهل، كما لو كانت تنوّه بضرورة الانتظار قليلاً بعد. يوجي أيضاً، كان يراقب المشهد، صامتاً. تابع بووه لهاثه لبعض الوقت قبل أن يبعد نظره عنا. أخيراً، نهض، ورفع رأسه ونظر إليّ.

- هل قررت؟

أخفض بووه رأسه موافقاً (أو هكذا بدا عليه).

سار يوجي وهو يسحب الرسن وبووه يتبعه بصمت. باجتيازهما للشجيرات، تقدما حتى الباب المفتوح على الشارع، وتجاوزاني كي يخرجا.

إلى اللقاء إذن، قال يوجي.

- قد يكون شيء ما جرى هنا. هذا محزن.

التفت بووه كي يتأمّل المسكن الذي عاش فيه لسنوات طويلة. ثم، وبهدوء، رفع رأسه عالياً وترك عواء ينطلق منه.

- " فوويك"؟

تلفّتنا دفعة واحدة، كلّ منا باتجاه مختلف. لم يتناه إلى سمعنا إلا هذا الصوت الغريب، لقد كان الكلب عند أقدامنا هو الذي أطلقه.

" فلوويك" تأوه بووه مرة أخرى .

Twitter: @ketab_n

- بووه، قال يوجي: إنه بووه!
- باستطاعته التكلم إذن...
- فوويك؟

كان هذا يشبه صوت الهواء المنساب من صدع ضيّق.

- أتساءل إن كانت تلك طريقته في الوداع...
- لا شك في ذلك.
- يبدو وكأنه يسأل سؤالاً.
- هممم.
- فلوويك؟

أكانت تلك كلمات الوداع الموجّهة إلى سيده الذي اختفى فجأة؟ إلا في حال كان يرغب في سؤال " أحد ما" بخصوص قدره غير العقلاني. كان الكلب الأشعث المحروم من حباله الصوتية يتابع شكواه الحزينة والرقيقة متجهاً برأسه نحو السماء.

في الوقت الراهن قررنا ترك بووه يقضي الليل في مدخل شقتنا، وبما أننا لم نكن نعرف ماذا يأكل، قدّمنا إليه الأرز مع سلطة البطاطس، فابتلعها دون تردّد. لا بدّ وأنه كان جائعاً جداً.

- أول شيء يجب القيام به غداً هو أخذه إلى مأوى الحيوانات.
- سأل يوجي: ألا نستطيع تركه في المنزل؟
- هذا غير ممكن، فالحيوانات ممنوعة في هذا المبنى.
- في هذه الحالة، ألا يمكن أن نعهد به إلى أحد ما؟

أخفضت رأسي بصمت.

Twitter: @ketab_n

- إنه فعلاً عجوز. وكي أكون صريحاً معك، ليس لديه هيئة جميلة.
- وماذا لو تركناه ليعيش في الحقل المجاور، ونأخذ له الطعام؟
- إن قمنا بذلك، فسوف يعود بالتأكيد، إلي بيته القديم. وسينتهي به الأمر على أي حال في المأوى.
- كيف هو ملجأ الحيوانات ذاك؟
- إنه عبارة عن هيئة خاصّة. ندفع لهم مبلغاً معيناً، فيعتنون بـ بووه. سيكون لديه الكثير من الأصدقاء. في الواقع سيأخذونه على عهدتهم إلى أن يجدوا عائلة ما تقبل باستضافته، لكن في حالة كلب عجوز مثل بووه، فسوف يكون هناك بالتأكيد مسكنه النهائي.

عاد يوجي ليسأل: هل سيكون سعيداً هناك؟

- هذا، هذا عائد إليه...
- إذن هناك من هم تعساء؟
- هذا يصحّ في كل مكان.

رمق يوجي بووه الذي كان يأكل سلطة البطاطس بنظرات تدلّ على ردة فعل جديّة.

- هيا، سنستيقظ باكراً غداً، قلت له. نم جيداً.
- فلوويك؟
- نعم، أنت أيضاً.

بعد العشاء بحثت عن رقم هاتف رئيس بلدية الحي كي أتصل به. كنا قد مررنا عليه بعد زيارتنا لـ نومبر لكننا لم نجده.

Twitter: @ketab_n

هذه المرة كان موجوداً، وأجابني عندما سألته عن حالة نومبر، بأنه مصاب بنوع من الجلطة الدماغية، كما سبق وقال لنا ابنه، وحياته لم تكن في خطر، إنما سيكون هناك على ما يبدو بعض المضاعفات. فأعضاؤه لم تزل مشلولة جزئياً، ولم يستطع بعد استعادة الشعور بها. قلت له أن لدي إجازة يوم الغد، وأنوي زيارته، لكنه نصحني ألا أفعل.

- إنه ليس في وضع يمكن فيه التحدث مع أحد بعد، وسوف يكون هذا صعباً بالنسبة للجميع.
- لكني سمعتهم يقولون بأنه سَيُرسل إلى مؤسسة.
- ليس على الفور. سوف يبقى لفترة بعد في المستشفى.

عندئذ طلبت منه عنوان المستشفى، قبل أن ألقي عليه السلام وأغلق الخط.

- إذن؟ سألتني ميو.
- قال لي ألا نذهب لزيارته فوراً.
- فهمت.
- سوف نذهب معا، أليس كذلك؟
- متى؟
- لا أعرف.
- فهمت. قالت ميو. سوف أذهب. أريد الذهاب معك لرؤية البروفيسور.
- همم، في يوم ما.
- نعم في يوم ما.

Twitter: @ketab_n

19

عندما استيقظنا في اليوم التالي، لم يكن بووه موجوداً. فهمت فوراً أن هذا من عمل يوجي الذي كان حذاؤه الصغير خارج مكانه المعتاد، ملقى هنا وهناك على الأرض. كان ممدّداً على فراشه، وهو نائم، لكن معطف المطر ما زال تحت منامته. لابدّ وأنه خرج في الليل بهذه الثياب.

- يوجي.

نهض مجفلاً من رنّة صوتي.

- تاك -ون صباح الخير.

صبّحت عليه بدوري، ثم سألته.

- أين بووه؟

أدار يوجي رأسه دون إعطاء أي علامة على استجابته.

- قل لي...

جلست بالقرب من وسادته.

- لقد تحدّثنا بالأمس. وقلنا إن لم نودع بووه في مكانه الصحيح، فسوف ينتهي به الحال إلى الملجأ.

- لكن...

Twitter: @ketab_n

- أنا أفهم أنك ترغب في البقاء معه، لكن يجب أن تفكر به هو أيضاً.

رفع يوجي رأسه كي ينظر إليّ نظرة اتّهام.

- أنا أفكر به.
- حقاً؟
- هممم. بالنسبة إلى بووه، سوف يكون سعيداً بالتأكيد بالبقاء معي.
- هذا صحيح.

مررت يدي على شعره الحريري موافقاً على كلامه.

- لكن أنت تعرف، نحن مجبرون على البقاء دوماً في حالة تأهب.
- حالة تأهب؟
- تماماً. حتى أثناء تناولنا الطعام، وأثناء القيلولة، فسوف نبقى قلقين طوال الوقت خشية أن يأتي أحد ما ليخطفه.
- وماذا سيفعل به إن خطفه؟
- إن خطفوه، فسوف يأخذونه إلى الملجأ، أو إلى مركز الحيوانات.
- ثم؟
- سوف ينتظرون أن يأتي شخص ما آخر ليتبنّاه.
- وإن لم يأتِ أحد؟

لم أعرف بما أجيبه. نظرت دون أن أقول له شيئاً.

- وإن لم يأتِ أحد؟ عاد ليكرر ويقول.

أخفضت رأسي صامتاً.

- إذن...
- تماما.

Twitter: @ketab_n

- لا أريد، عاد ليقول يوجي، لا أريد.

خرج من فراشه، وقادني نحو المدخل وهو يسحبني من كمّي. كانت ميو تجهز وجبة الإفطار في المطبخ.

قلت لها سوف نعود فوراً.

ثم خرجنا نحن الاثنا ن. وكما تصوّرت، فقد ذهب يوجي فوراً نحو الأرض الجرداء المقابلة.

- أوه؟ قال وهو يلتفت حوله.
- ماذا هناك؟
- هنا. قال وهو يشير إلى سكوتر قديمة مرمية.

كان قد ربطه بالمقود، لكنه لم يكن موجوداً، في حين أن الرسن كان لم يزل معقوداً بالسكوتر.

- لقد هرب.

بعد أن انتهت ميو من تحضير الإفطار، تبعتنا للبحث عن بووه في الجوار، لكننا لم ننجح في إيجاده.

بدأ المطر ينهمر فتبللنا بسرعة، لكننا تابعنا عملية البحث عن بووه بالرغم من كل شيء. حتى أننا ذهبنا لنسأل عنه جيران نومبر، لكنه لم يكن هناك أيضاً.

راح المطر يضرب بسياطه وهو ينهمر بغزارة .

- ماذا نفعل؟
- من الأفضل صرف النظر عن ذلك. فسوف نصاب بنزلة برد.
- معك حق. ربما سيأتي غداً.

Twitter: @ketab_n

احتجّ يوجي متمرّداً وهو يقول: سوف لن يعود أبداً، لن يعود أبداً.

في طريق العودة، سألني يوجي:

- هل تعتقد أنهم سيمسكون به ويأخذونه إلى المأوى؟
- أنا أسأل نفسي السؤال ذاته... ربما أراد أحد الفضوليين أخذه.
- لكن، إن أمسك به؟
- إليك ما سنفعله، سوف أطلب أن يتصلوا بنا إن صادف وجلب أحد ما كلباً يصدر صوتاً كهذا " فوويك". إن حصل هذا، سيكون بإمكاننا الذهاب لاسترجاعه. عندئذ سوف نأخذه إلى الملجأ كما يجب.

ابتسم يوجي ابتسامة ارتياح. وقال:

- نعم بالطبع، موافق. في هذه الحالة، ستكون الأمور بخير.
- سنفعل ذلك.

Twitter: @ketab_n

20

في اليوم التالي، وبعد يوم ماطر، كنت الوحيد الذي أصبت بالحرارة. نظرت إليّ ميو، كما يوجي، نظرة استغراب، كما لو أنهما شاهدا شخصاً أصيب بنزلة برد بمجرّد أن غسل وجهه. يمكن القول أن الجهاز المناعي لدي من نوعية رديئة، بدا الأمر شبيهاً بتقلص نظام دفاع ميزانية بلد ما، وجعلها سريعة الاستسلام للغزو.

التقطُ الزكام والحمى عشر مرات في العام على الأقل. كان من المعتاد عليّ التقاطه تماما في مثل هذا الوقت. لا شيء استثنائي بالأمر.

متدثراً في فراشي، أكلت التفاحة التي قشرتها لي ميو.

- أوواه. قال يوجي بتعجب. هذا جيد جداً....
- أنت أيضاً لك الحق في ذلك، إن أصبت بالبرد...
- حقاً؟

مع ذلك، فهذا الابن المخلص جداً كان نادراً ما يصاب بنزلة برد. مضى يوجي على مضض إلى مدرسته، محملاً بالحسرات.

سألتني ميو : هل تريد أن تأكل شيئاً؟

- لا شكراً، لا أشعر بالجوع.
- سأجهّز لك عصير الموز إذن. أنت تشربه أليس كذلك؟

Twitter: @ketab_n

سوف أشربه. أجبتها قائلاً.

اتجهت م يو نحو المطبخ. من المكان الذي أنا مستلق فيه على جنبي، كان باستطاعتي رؤية ربلتي ساقيها وقد اكتنزتا بشكل واضح، شاهدت فجوة ركبتيها المزينة بعروق صغيرة، وصولاً إلى الجزء الناعم تماماً فوقهما. مشهد يحزّ في القلب.

هذا رائع.

بعد بضع لحظات، عادت وهي تحمل صينية فوقها كوب مغطى بسائل كثيف .

- أنت تحتاج إلى بعض السوائل.

أمسكت نهاية القشّة، وقرّبتها من فمي. التقطت القشّة مادّاً رقبتي كالسلحفاة وشربت الخليط المكوّن من عصير الموز والحليب والعسل. انتشر إحساس النشوة في صدري كله.

- هل هو طيّب الطعم؟
- طيّب جداً. أجبتها. إلى جانب كونه رائع.
- حقاً؟ حتى مع الحمّى التي أنت فيها؟
- همم، هذه الأنواع من الأشياء، تعطي شعوراً بالراحة. مرّ زمن طويل لم أشعر فيه بهذه السكينة.
- استرح قليلاً، أنت تستحقّ ذلك.
- هممم.

أخرجت يدي من الفراش، ومن ثم قدمي، وراحت تقصّ لي أظافري إصبعاً إصبع.

- قل لي. عادت لتقول.

Twitter: @ketab_n

- ما الأمر؟
- يجب أن تولي عناية أكثر لأظافرك.
- أتعتقدين ذلك؟
- بالطبع، فأنت راشد.
- بالرغم من هذا فليس لدي شعور بذلك.
- آه صحيح؟
- في جانب ما أشعر بأننا لم نزل في الخامسة عشرة من العمر. نحن الاثنين. وأن كل ذلك لا يتعدى كونه مجرد حلم على وشك أن نراه، ونحن نيام فوق طاولاتنا في غرفة الصف.
- سيكون هذا جيداً..
- هل تعتقدين؟
- إن كان هذا هو الحال، فهل ستعود لتطلب يدي للزواج من جديد؟
- بالطبع. أجبتها على الفور. هذا إن كنت ترغبين أنت برجل مثلي.
- نعم ما حدث. قالت وهي تقف كي تذهب إلى الغرفة المجاورة.

بعد بضع لحظات، سمعت صوتها وهي تقول :

- سأذهب لشراء بعض الحاجيات.
- حقاً؟
- نعم، لا يوجد لدينا شيء لتجهيز العشاء، ولا لأمور أخرى.
- هممم.

عندما عادت إلى الغرفة، بدت عيناها محمرّتان قليلاً. ربما كان هذا من شدة الانفعال. لمست جبهتي كي تتأكد من حرارتي.

- إنها مرتفعة جداً.
- إنه الوضع ذاته دوماً. فجسمي يتأثر دوماً بطريقة مبالغ بها.

Twitter: @ketab_n

- لكن إن أنت لم تعرها انتباهك، فالحمى لن تؤثر بك.
- أعرف ذلك.
- سأعود بسرعة.
- همم. سأكون بانتظارك.

بعد خمس عشرة دقيقة من خروجها للتسوّق، صعدت حرارتي كالسهم. انتابتني رعشة، وانتشر ضيق لا يوصف في صدري. سحبت الغطاء حتى رأسي، لكنِ الرعشة لم تتوقف. حاولت أن أتحملها لبعض الوقت، وبسرعة عاد إليّ شعوري بالتوازن. أخذت ميزان الحرارة الذي كان بجانب وسادتي ووضعته في فمي. خلال دقائق، رنّت الصافرة الالكترونية وأشارت الشاشة الصغيرة ذات البلّورات الكريستالية إلى الرقم 40.5 درجة.

هنا، استولى عليّ الاضطراب. تراءى لي يوجي وهو مندهش ومصدوم أمام موتي.

إنه هذيان مراقي.[9]

الهذيان المراقي، بتعبير آخر هو القلق من مجرّد أن تشم رائحة مؤخرتك، يشبه كلباً يركض بشكل دائري في المكان نفسه. عند أي تحريض، تبدأ الكوابيس بالانتقال إلى الفم.

بالإضافة إلى الحمى، راحت العناصر الكيميائية الهاربة من صماماتي تبدأ بإطلاق هلوساتي.

تذكّرت دواءً كانوا قد وصفوه لي في المستوصف أثناء الهجمة الأخيرة للحمى. وبما أني كنت أحاول تقليص استخدامي للدواء قدر

[9] هذيان مراقي: مصاب بوسواس المرض.

Twitter: @ketab_n

استطاعتي، فلم أكن قد استخدمت شيئاً منه بعد. قررت أن آخذه بنفسي قبل أن أفقد أي ضبط للنفس. زحفت خارجاً من الفراش واتجهت نحو المطبخ. أخرجت الظرف الصغير من خزانة أدوات الطعام وسحبت قرصاً منه. أخذت كأس ماء وابتلعتها، ومن ثم عدت إلى فراشي، زاحفاً دوماً.

سوف تتحسن الأمور بهذه الطريقة. هذا ما قلته لنفسي- ستنخفض درجة الحرارة، ولن يبقى يوجي وحيداً.

أصغيت السمع إلى صوت جهازي العضوي في انتظار حدوث التغيير.

أخيراً، سمعت طقّة " كلاك" لقاطع التحويل وهو يتشابك في مكان ما، بين قلبي ومعدتي. بالتأكيد كان هناك ضجيج. لم أعرف ذلك إلا فيما بعد، كان ذلك صوت أجهزة استشعاري التي تأثّرت بعنف من القلويات الموجودة في الدواء.

انقلب العالم ر أساً على عقب. فُتحت الصمّامات على آخرها، وهاجت العصائر الكيميائية. وعاد مؤشر القياس ليجنّ من جديد. وانقبضت كل عضلة من عضلاتي وأصبحت خارجة عن إرادتي.

اتخذت ذراعي وقدمي شكل زاوية غريبة المنظر، انضغطت أصابعي بشدّة بشكل كانت قادرة فيه على ثني قطعة من العملة إلى اثنتين. انقلبت حدقتا عيني بشكل كان باستطاعتي أن أرى دماغي. وبدا قلبي في حالة نشاط وإثارة دائمين كموسيقى باغانيني»، كان نبض مكرر إلى أقصى حد.

بشكل عام، و في حالات كهذه، كنت أجهّز نفسي للموت.

في تلك اللحظة جاءت ميو من السوق.

Twitter: @ketab_n

- إذن ما أخبار تلك الحرارة؟

ما رأته وهي تدخل الغرفة بينما كانت تسألني هـذا السـؤال كـان مجرّد ظلي متضخماً كما القريدس المجفف وهو ينظـر باتجـاه متعـذّر الوصول إليه.

- حبيبي!

وبينما هي تركض نحو سريري وتأخذني بـين ذراعيهـا اسـتطعت أن أقول لها:

- سيا...رة... إسع....اف.

امتثلت للأمر، فصححت من وضعية الغطاء بلطف فوقي وهرعت نحو الهاتف كي تطلب الرقم 119.

- سيأتون حالاً.
- جيد.

حاولـت النظـر إلى وجههـا لكنـي لم أنجـح في جعلـه ضـمن مجـال رؤيتي. الأشياء الوحيدة التي كانت تطفـو أمـام عينـيّ كـان السـقف وورق الجدران الباهت.

عادت من جديد وجلست بالقرب مني، وأخذتني مـرة أخـرى بـين ذراعيها وداعبت شعري.

- لنري، ماذا يمكننـي أن أفعـل؟ مـا الـذي بإمكانـه أن يجعلـك تشعر بالتّحسّن؟

شعرت بضيق في التّنفس ولم أعد أستطيع رفع صـوتي إلى أكـثر مـن الهمس. نجحتُ أخيراً برفع يدي اليمنى كي أقدّمها لها. شدّت ميو برقّة على أصابعي المرتجفة.

Twitter: @ketab_n

- أنا خائف. قلت لها.
- ستكون بخير. فسيارة الإسعاف لن تتأخر في الوصول.

رضخت للأمر.

أغلقت عينيّ من شدّة الألم. شعرت بالأرض تدور أكثر من سرعتها المعتادة بعشرين مرّة. لو لم تكن ميو هنا لتمسك بي، لكانت قوّة الضغط المركزي قد قذفتني خارج المنظومة الشمسية.

فجأة، اجتاحتني موجة كآبة، فأخذت نفساً عميقاً.

- ماذا حدث؟!
- قرّبت فمها من أذني وهمست: ألا تستطيع التنفس؟ هل يؤلمك هذا؟
- آسف. همست لها.
- لماذا، لماذا تعتذر؟
- لم أستطع أن أفي بوعدي.
- أي وعد؟
- كنت قد قلت لكِ بأننا سوف نذهب معاً في رحلة .

نسيت وأنا في حالة التشويش الذهني الذي كنت فيه، أن ميو في هذه اللحظة لم تكن أكثر من شبح. كانت الزوجة التي سبق لها وعاشت معي كل تلك السنوات.

- وعدتك بأن نعود لنرى مرة أخرى عرض الألعاب النارية. لا بدّ وأن ذلك سيتحقق يوماً ما.
- بالتأكيد. قالت.

Twitter: @ketab_n

بعد ذلك، بقي طيف ابتسامة مرتسماً على وجهها .

ربما كانت تعلم أن هذا سيبقى حلماً غير قابل للتحقيق.

- في هذه الحالة، سوف نذهب، موافق؟ سوف نذهب معاً. إذن تمسّك جيداً.

ازداد تشويش ذهني سوءاً. وبدا صوتها يبتعد.

- آسف لأني سبّبت لك الكثير من الهموم.
- لا بأس، يجب ألا تقلق للأمر. يجب أن تتوقّف عن الكلام.

سمعت صوت نقطة صغيرة تسقط على جبهتي. ربما كانت تلك دموع ميو المنهمرة.

قبّلت أجفاني المغلقة وقالت:

- هيّا، حاول أن تتنفّس بهدوء دون أن تجهد نفسك.

ومع ذلك لم أتوقّف عن قول كل ما كان في نفسي أن أقوله.

- إني أعهد إليكِ بيوجي. إنه يشبهني كثيراً، لهذا فهو دون شك سوف يصل إلى ما أنا عليه الآن. الحياة صعبة، ل.. لهذا.. لهذا...

كلما كانت حالتي المضطربة تسوء، كلما كان إحساسي بما حولي يتلاشى .

- أين أنا إذن؟ حتى أني لا أعرف... أنا... أنا...

عدت لأقول: سعيد أني بالقرب منكما. كان هذا لطيفاً. شكراً.

ومن ثم أعقبت قائلاً:

الوداع.

Twitter: @ketab_n

21

في سيارة الإسعاف ونحن في طريقنا إلى المستشفى بدأ الوعي يعود إليّ شيئاً فشيئاً. فالمواد الكيميائية التي كانت تجري في دمي، تحوّلت إلى مواد أكثر اعتدالاً وأقل أذية.

فجأة تنبّهت إلى ضجّيج عربة، الأمر الذي لم يكن قد حصل معي منذ زمن.

لكنني لم أشعر بأي ضيق. فسيارات الإسعاف تشكّل بالنسبة لي وسيلة الانتقال الوحيدة التي أشعر فيها بالأمان.

- أشعر بأني بحال أفضل. قلت لميو التي كانت ما تزال تمسك بيدي.
- صحيح؟
- نعم، صحيح.

فتحت قبضتي وعدت لأغلقها.

- انظري، قلت. أستطيع أن أتحرّك.

كانت قبضة يدي لم تزل تحمل آثار أظافر. لو لم تكن ميو قد قصّتها لي، لأصبح الجرح أكثر خطورة.

- آه، تنهّدت قائلة، هذا أفضل...

Twitter: @ketab_n

- أنا آسف، سبّبت لكِ الكثير من المتاعب.

أومأت برأسها بلطف ورسمت ابتسامة ارتياح.

- بسببكَ سوف تنقص حياتي.

ولم أعلم إلا لاحقاً بأن ها هنا كان يكمن حسّها للفكاهة الممزوج بالسخرية.

في المستشفى، بعد أن استمعوا إلى الأعراض التي انتابتني، سارع الطبيب بأخذ عينة من دمي منعاً لأي حساسية محتملة. في النهاية لم يكن هناك أي مشكلة. نظر إليّ الطبيب وكأنه يرى أمامه مريضاً بالوهم. كنت معتاداً على هذه النظرة. وبما أن حرارتي المرتفعة لم يكن مشكوكاً بأمرها . فقد تلقّيت في البداية حقنة من محلول رينغر كعلاج، ومن ثم عدت للمنزل.[10]

أخذنا سيارة أجرة، لكني لم أشعر بضيق معين. ربما كان مخزون عناصري الكيميائية قد انخفض.

عند عودتنا إلى المنزل، كان يجب عليّ أخذ حمام مثلج. هكذا كانت أوامر الطبيب.

- ألا تشعر بالبرد؟ سألتني ميو.
- لا، لا بأس. إنه ممتع، أشعر كأني هيبرناتوس. رجل السبات الشتوي.
- ماذا يعني هذا الهيبرناتوس؟
- إنه اسم يطلق على الرجل الذي نام في الجليد 500 عام.
- لابدّ وأنه كان يرى أحلاماً...

---

[10] Ringer solution: محلول لمعالجة الحماض الأيضي الشديد.

Twitter: @ketab_n

- دون شك.

أخرجت ميو لبناً طبيعياً من البرّاد، وزيّنته بالعسل قبل أن تضعه بالقرب من وسادتي.

- هل تريد أن تأكل؟
- همم، سأحاول.

أخذت القليل من اللبن الرائب بملعقة، أخفضت رأسي ووضعتها في فمي.

كان شعور الطراوة رائعاً. صعد عطر العسل حتى أنفي.

- هل سبق وأصبت بنوبة مشابهة لهذه في السابق؟ سألتني .
- عدّة مرات. أجبتها. هذه هي المرة الثالثة التي ينقلوني فيها إلى المستشفى.
- وهل رافقتكَ في المرتين السابقتين؟
- في الواقع... هممم... أجل هذا ما حدث. ففي المرة السابقة كنت أنتِ من طلب الإسعاف. وأعتقد أن ذلك كان يحدث دوماً في الليل.

نظرت طويلاً من النافذة ولم تزل الملعقة بيدها.

كان من الصعب التعرّف على تأمّلاتها الحميمة من خلال وجهها فقط. كان باستطاعتي الشعور بعذاب قلبها بمجرّد رؤية الارتجاف العصبي الذي كان يحرك ملعقتها. وبما أنها كانت امرأة عملية، كنت متأكداً بأنها سوف تعالج أمورها بطريقة عملية.

قالت لي، بصوتها المعتاد، الواضح والحاد، الذي يرتعش قليلاً عند نهاية الكلمات:

- أتساءل من بإمكانه أخذك إلى المستشفى لو لم أكن هنا...

Twitter: @ketab_n

كان يمكن لهذا القول أن يفوتني، لأني كنت أصغي سراً، وقد قالت ذلك بلا مبالاة، كما لو أنها كانت تشتكي من طريقة تجفيف الغسيل، أو شيء من هذا القبيل.

- هاه؟ تركت نفسي أسأل.

تهيأ لي بأني قد سمعت شيئاً مهماً. نظرت إليّ مبتسمة. كانت ابتسامتها حزينة.

- أنا قلقة عليك.

ثم عادت وقدّمت إليّ ملعقة أخرى من اللبن. ملأتُ فمي، مستمتعاً بطعم الحموضة. ثم سألتها:

- ألم تقولي للتو ماذا لو لم أكن هنا؟

هزّت رأسها بطريقة خبيثة، وعيناها مفتوحتان على وسعهما، كما لو كانت تريد القول " هل قلت ذلك؟"

- هنا منذ قليل.
- هذا صحيح ... إن انتهى موسم المطر.

عند سماعي لهذه الكلمات فهمت فجأة.

" هل استعدّتِ ذاكرتك؟"

اكتفت بهز رأسها ببطء.

- لا، لم أسترجعها بعد. بالرغم من أني أتمنى ذلك.
- إذن...
- قرأت الكتاب الذي كتبته.

كانت قد وقعت عليه مصادفة، هذا بحسب قولها.

Twitter: @ketab_n

- سقطت علبة الحذاء بينما كنت أرتّب الخزانة، وكان الكتاب بداخلها.

كان كل شيء مخبأً هنا. الدفتر الصغير الذي سجّلت عليه روايتي، كما كل أنواع الوثائق التي لم يكن يتوجّب عليها رؤيتها. بدءاً من فواتير الإقامة في المستشفى، وصولاً إلى استمارات إعطاء الحق بالدّفن. باختصار، كل ما كان يتعلّق بوفاتها. كان يجب عليّ وضع كل ذلك في مكان بعيد تماماً عن متناول اليد.

- منذ متى وأنت تعرفين؟ سألتها.
- منذ حوالي الأسبوع.
- آسف، أنا لم أنتبه للأمر.
- هذا غير مهم. كنت أفكر أنه بإمكاني ضبط لساني، والتصرّف كما لو أني لم ألحظ شيئاً.
- هممم.
- لكن لديّ مع ذلك الشعور بأنه يجب عليّ التصرّف كما يجب.
- كما يجب؟
- التأكّد من أنكما تستطيعان العيش بشكل مناسب، أنتما الاثنان، ومن بعدها كنت أريد أن أودعكما.
- إن قلت لك أن هذه الرواية لا تتعدّى كونها كذبة، فهل تصدقيني؟

طأطأت رأسها ببطء راسمة على وجهها ابتسامة حزينة.

- كيف أقول ذلك... فقط بقراءتي هذا الكتاب استطعت أن أعرف. استطعت أن أفهم سبب عدم الارتياح الذي كنت أشعر به بشكل دائم.

Twitter: @ketab_n

- عدم الارتياح؟
- الإحساس بأني لا أنتمي إلى هذا العالم. هذا الشعور يصاحبني في كل مكان. عندما عرفت الحقيقة، شعر جزء مني بالراحة.

آه... أنا قادمة من الأرشيف إذن...

ثم أضافت:

يجب عليّ القول أن تصرّفاتكما، أنـتما الاثنـان، كانـت خرقـاء. ثـم، كان يحدث أحياناً أن تتحدثا كما لو كنا نعيش في الماضي.

لم أكن أعرف شيئاً من هذا، لم أكن أعرف شيئاً، لكنـي فهمـت كـل شيء. فقد توقّفت أحداث روايتي عند تلك اللحظة التي عـادت فيها إلى هذ ا البيت. مع ذلك، كان هذا كافياً. أما بالنسبة إلى باقي الأمـور، فقد كان هناك كل تلك الوثائق.

- هل كان لصالحي أنك لم تقل لي شيئاً؟

بقيت صامتاً.

- لا تأخذ هذه الهيئة، قالت لي. ستكون الأمور بخير، أنت تعلم ذلك.
- أنت تقولين دائماً الشيء ذاته.
- لأني معك.

فأنا معك أشعر بالسكون في قلبي.

قلت: أود لو نبقى دوماً معاً.

- أنا أيضاً. لكن، بالتأكيد...
- هل باستطاعتك أن تقرري بمفردك؟
- لا أعرف. لا أعرف شيئاً. لكن سبق وقلـت لـك أني سـأعود في موسم المطر.

Twitter: @ketab_n

لأجل هذا بالضبط...

- أعتقد بأنه متى انتهى موسم المطر سيتوجّب عليّ الرّحيل.
- ابقي هنا، إلى الأبد.
- ما المفترض القيام به؟

كانت تطرح السؤال بصيغة جدّية. كانت ترغب في الجواب أكثر من أي شخص آخر.

- هل بإمكانك أن تقولَ لي؟

لم أعرف بما أجيب. لا أحد، على ما أعتقد كان يعرف، أو ربما يكون هناك أحد ما يعرف كيف يجيب لكنه بقي أو بقيتْ بفم مغلق.

قلت لها: لكن هناك شيء ما يقلقني ولم أستطع أن أقوله لك.

- ما هو؟
- ألا يجب عليكِ أن تري والديكِ على الأقل ولو مرة؟
- ولماذا أفعل؟ كي أقول لهم " كوكو" هذه أنا؟
- ألن يكون هذا مجدياً...
- لاحظ، هذا ما حصل تماماً مع نومبر - صانسي.
- نعم، لكن...

أجابت بأنه من الأفضل ألا تراهما. وتابعت قائلة :

- قد يترك لنا فقدان الذاكرة ندماً لا فائدة منه.
- هل تعتقدين ذلك.

أخفضت رأسها كعلامة على الموافقة.

Twitter: @ketab_n

- حتى أني لا أذكر على الإطلاق وجه أمي وأبي. حتى وإن رأيتهما، فلا شيء عندي للحديث عنه. سيكون هذا قاسياً.

- حقاً؟

- نعم بالتأكيد. هذا لا يهم، فكلما قلّ الحزن، كان ذلك أفضل، أليس كذلك؟

- حقاً؟

- نعم، بالتأكيد.

ثم، وكما لو أنها قد تذكّرت شيئاً ما، ذهبت لتحضر علبة بسكويت من الغرفة الخلفية. صرخت قائلاً عند رؤيتها : آه، هذه...

- هذه أيضاً، وجدتها في الوقت نفسه.

- كنت قد نسيت أين وضعتها. هنا إذن كانت... الصور.

- تفضل.

أخرجت من العلبة صورة ووضعتها أمام عينيّ.

- أبدو وكأني شخص آخر.

كانت تلك صورة زفافنا. هي بالثوب الأبيض، وأنا بالبدلة الرسمية. كانت تبتسم ابتسامة خفيفة، بينما بدا التوتر واضحاً على هيئتي، ووجهي أبيض كصفحة ورقة بيضاء.

- جميلة...

- أنا؟

- بالطبع.

شكرتني وهي تقول:

- لكن لا يبدو عليك أنك كنت بخير.

Twitter: @ketab_n

- حصل ذلك تماماً قبل أفقد وعيي. خلال كل فترة الاحتفال، لم تتوقفي عن سؤالي إذا ما كنت بخير.

- أكان الأمر صعباً؟

- كالعادة، لكني تماسكت.

- شكراً.

- العفو.

الصورة الثانية كانت لقطة أخذت أمام الكنيسة .

- ها هو والدك، ووالدتك، وكذلك أختك وأخيك الصغير. قلت لها وأنا أشير نحوهم بإصبعي.

- تبدو هيئتهم لطيفة.

- أليس كذلك؟

- لكنه كان مجرّد احتفال صغير... هل كل المدعوين موجودون؟

- نعم، كان الجميع موجوداً. وكذلك الأقرباء. والرجل الضخم الذي يظهر تماماً خلفنا هو رجل الدين.

- هل هو غريب...

- نعم، هو من الهند، لكنه يتحدّث اليابانية بشكل جيد.

- وهل تبادلنا أمامه عهود الزواج؟

- نعم، تماماً.

- وهل حافظنا على هذه العهود؟

- بشكل مطلق. هل تقصدين عبارة " أن نحب بعضنا في السراء والضراء"؟

- نعم.

Twitter: @ketab_n

- هذا ما فعلناه دوماً.

أخرجت بعد ذلك سلسلة من اللقطات التي تعود إلى حياتنا اليومية نحن الاثنين في هذه الشقة.

- يبدو لي بطن كبير في هذه الصورة.
- كان هذا يوجي.
- كان وجهي منتفخاً.
- همم، بدءاً من هذه الفترة بدأت صحتك في التدهور.
- آه، هكذا هو الأمر إذن، ومن هذا، أهو يوجي ساعة مولده.
- رأس مضحك.
- لا تقل هذا، ألا تجده جذاباً؟
- لنقل أن هذه الصورة جذابةٌ قليلاً...
- بالتأكيد، قالت. هذا صحيح إنها قليلاً..
- بعد ما يقارب الستة أشهر، بدأ يتغير شيئاً فشيئاً. فقد نما شعره. وتحدد شكل عينيه.
- وهذه الصورة؟
- نعم، إنها تعود للفترة ذاتها.
- الحقيقة، هو بالفعل أمير انكليزي .
- لا شك في ذلك.
- آه، في هذه الصورة هناك الكثير من البراغي بين يديه.
- الآن فقط فكرت في ذلك، كان دوماً عاشقاً لهذه الأشياء. تلك كانت عادة متأصلة فيه.
- لم يتغير البتّة، أليس كذلك؟
- يبدو من ذاك النوع الذي ينضج ببطء. مثلي تماماً.

Twitter: @ketab_n

- أتعتقد ذلك؟
- أنا أيضاً، لم يزل في فمي بعض الأسنان الحليبية، ولا أملك أي ضرس من أضراس العقل.
- يا للبلوغ المتأخّر.
- أجل، زيادة على أنني لم أصب بعد بالحصبة.

انتهى بي الأمر أن نمت، منهكاً من التعب. عندما استيقظت لم تكن ميو في الغرفة.

- ميو؟ ناديتها بقلق.
- هل استيقظت؟ سألتني وهي تدخل الغرفة، هل تريد أن نقيس الحرارة؟

كانت حرارتي قد انخفضت حتى 38,1 درجة.

- آه هذا أفضل، لقد انخفضت الحرارة.
- همم. أشعر بتحسن كبير.

همست : قل لي، ما الذي ستفعله في المستقبل، إن أصبت بنوبة مرة أخرى من هذا النوع؟ فأنا لن أكون موجودة ساعتها.

- ستكون الأمور بخير. فهذه النوبات ليست مميته، غالباً ما ينتابني الشعور بأني سأموت، لكن في النهاية، أبقى دائماً على قيد الحياة.
- لكنك لا تستطيع فعل شيء إن كنت لوحدك.
- لديّ يوجي. أكّدت لها قائلاً: يحدث أن تأتي هذه الأزمة في النهار. لكن الأزمات الأشد خطراً لا تحدث إلا في الليل، عندئذ، يوجي يكون موجوداً.

Twitter: @ketab_n

- ثم أضفت قائلاً: هو لا يوحي بالثقة في ظاهره.

وافقت على كلامي بعد فترة من التفكير، وقالت:

- بالتأكيد، لكن ....
- ومن ثم، لن أتناول مطلقاً أي نوع من أنواع خافض الحرارة. فبسبب هذا الدواء أصبت بالنوبة. إن توقفت عن تناوله، فسيكون كل شيء بخير.
- قائمة الأشياء التي لا يجب عليك القيام بها تمتد أكثر من ذلك بقليل.
- هذا صحيح. فمن المهم أن أعرف ما المسموح وما الممنوع عليّ للقيام به. فأنا حين أتصرف دون أخذ العلم بالتحذيرات تحدث معي المشاكل.
- كما حصل اليوم؟
- تماماً.

قالت بأنها مع ذلك هي مازالت تشعر بالقلق.

- هذا يقلقني بشدة. أن أتركك وحدك.
- أنت دوماً كنت كذلك.
- ما الذي تعنيه؟
- من كثرة مخاوفك عليّ أهملت صحتك.
- هكذا أنا باختصار.
- على فكرة...
- ماذا؟
- لا... قلت وأنا أهزّ رأسي. لا .. لا شيء.

Twitter: @ketab_n

خلال بعض الوقت، لم أعد أشعر بأي حرارة. بعـد أن اختفـى الألم، جاء الشعور بالوحدة ليحلّ محلها في صدري.

- ناديتها: ميو.

كانت جالسة قرب وسادتي، مشغولة بتقطيع الفاصولياء.

- ماذا هناك؟

- تعالي، قلت لها، اجلسي هنا.

حـدقت في عينـيّ قبـل أن تعـاود النظـر إلى الفاصـولياء التـي بـين يديها. ذكرتني عيناها بالشابة التي كانت تنفخ في يـديها كي تـدفئهما، على رصيف المحطة، والتي بعد بضع لحظات من التردد قالت لي " إن كنت تسمح لي بذلك""

- أواه! كم هذا بارد!

- آه، صحيح.

أخرجت أكياس الثلج التي كانت تحيط بي في الفراش.

- سيكون الحال أفضل هكذا.

- أنت أيضاً تجمّدت.

- الرجل المتجمّد.

- نعم، تماماً .

أحطـت خصرهـا بيـدي كي أجـذبها نحـوي. انتفضـت انتفاضـة خفيفـة، كإشارة للممانعة، لكنها لم تلبث أن استرخت، قبل أن تدفن رأسها في رقبتي.

- أجل، هكذا. قلت.

Twitter: @ketab_n

- ماذا؟
- الوضع المثالي.
- هكذا؟
- تماماً، هذا هو.
- تصرفت هكذا بكل طبيعية، دون أن أفكر بالأمر.
- ذلك أننا كنا زوجين.
- لهذا السبب إذن. قالت مازحة.

ربما كانت تشعر ببعض الارتباك.

- كان يجب علينا القيام بذلك في وقت أبكر . قالت وهي تقبلني في رقبتي. إنه بالكاد عشق في ستة أسابيع.
- ماذا سنفعل؟ سألتها.
- سنفعل هذا. قالت. تماماً هذا.

دخل يوجي وهو يصيح : كوكو...ماما ؟

بالكاد كنا قد انفصلنا عن بعضنا عندما دخل يوجي إلى غرفة النوم. عند رؤيته لوالديه متشابكين في الفراش، أضاف قائلاً وسط حالة من الذعر والارتباك،: آه لالالا.

Twitter: @ketab_n

22

شيئاً فشيئاً راحت ميو تجهز لرحيلها عن هذا العالم. كل ما كانت تقوم به كان بهدف السماح لنا بعيش حياتنا بشكل صحيح،.يوجي وأنا. كانت تقول أنها سوف تحكي معه في الوقت المناسب، لكن بانتظار ذلك، استمرت تتصرف وكأن شيئاً لم يكن. قرأت الكثير من الكتب، وقامت بالكثير من الأبحاث فيما يخص المشاكل التي كانت تطغى عليّ. ثم، في أحد الأيام، استقلت القطار لتسافر مدة ساعتين وتعود بعدها مزودة بثلاث قوارير صغيرة وملونة.

" إنها زيوت مركّزة، شرحت لي قائلة . زيت الخزامى، وزيت الكينا، وزيت خشب الصندل.

- ما الذي يجب عليّ عمله بهذه الزيوت؟
- تتركها بكل بساطة مفتوحة ليفوح عبيرها.
- أهذا كل شيء؟

وافقت قائلة : إنها علاج لتلك المواد الكيميائية التي كنت لا تنفك تحدثني عنها طوال الوقت. فهي تتسرب إلى داخل جسمك، وتجعله يعمل. تطلب منك الاسترخاء.

- وإن لم يعاود العمل؟
- في هذه الحالة...

Twitter: @ketab_n

فكرت للحظات قبل أن تقول : لن يبقى أمامك سوى الغناء.

- أغني؟
- نعم، تغني أغنية من هذا النوع:

كان هناك فيل يلعب

وقع في شبكة عنكبوت

من شدة ما كان يتسلى

نادى للفيل الثاني.

- آه.. أعرف هذه الأغنية، علّمني إياها يوجي .
- يوجي؟
- قال لي بأنك أنت من علّمتها له.
- إن قال هذا...
- من أين تعرفين تلك الأغنية؟
- لا أذكر، لكن... عادت إليّ هكذا فجأة.
- قلت له أن يغنيها في الأوقات الصعبة.
- أنت أيضاً يجب عليك أن تغنيها دون شك.
- نعم، في الأوقات الصعبة.

سكبت ميو قطرة من عطر الخزامى المركّز على ورق. أخذته منها وقرّبته من أنفي.

- إذن؟
- همم. رائحته طيبة. هذه هي المرة الأولى التي أتنشق فيها هذا العطر. لكن، هذا غريب... فهو يجعلني أشعر بالحنين بشكل ما.
- ماذا تقصد أن تقول؟

Twitter: @ketab_n

- لست متأكداً، ففي طفولتي...
- في طفولتك؟
- آه، عرفت.

عدت لأمرر المنديل من أمام أنفي.

- نعم هذا هو الأمر، فعندما كنت صغيراً، كنت أشم هذه الرائحة عندما أعزف على الهارمونيكا.
- الهارمونيكا؟ هل كان لها الرائحة نفسها.
- إنها الهارمونيكا التي قدّمها لي ابن عمي، آله ضخمة من الفولاذ، مع صفّين من الثقوب. إنها الرائحة التي كانت تنتشر داخل منخريّ عندما كنت أضع شفتيّ على المعدن.

لم يبدُ عليها وكأنها قد اقتنعت من هذياني، لكنها مدّت إليّ بمنديل ثانية، مشبعاً بالمادة العطرية.

- آه... تذكرت.
- نعم؟
- إنها رائحة مروحة جدّتي.
- ما هذه القصّة أيضاً؟
- لا مجال هناك للخطأ، إنها رائحة مروحة جدتي. لم يكن هناك اثنتان منها.

هزّت رأسها قليلاً، ثم عقدت يديها وهي تقول " آه!"

- ربما هذا أفضل.
- وهل يذكّرك هذا بشيء ما، الصندل، هو من شجر الأرز الأبيض، أليس كذلك؟

Twitter: @ketab_n

- هممم. إذن؟
- الكثير من المراوح مصنوعة من شجر الأرز الأبيض.
- آه، فهمت. هذا حسن.

تابعت وهي تجرّب عطر الأوكاليبتوس.

- إنها رائحة المنثول. لا يمكن له إلا أن يكون هذا.

وافقتني الرأي بعد أن شمّت رائحته بدورها.

- هذا حقيقي. أنا معك. هذا لأجل زكامك المزمن. باستطاعتك أن تضع أيضاً قطرة منه في الماء وتغرغر به. أو يمكن لك أن تذيبه في زيت ليدعمه كي تدهن به حنجرتك.
- سمعاً وطاعة. سوف أقوم بذلك.
- بما أنك غير قادر على تناول أي دواء، فيجب عليك الانتباه كثيراً كي لا تصاب بالبرد.
- هممم.
- فمرضك أضعفَ نظام المناعة لديك.
- حقاً؟
- نعم. لهذا السبب يجب أن تنتبه أكثر من الآخرين. لا يجب عليك أن تأكل وجبات جاهزة، أيضاً، يجب عليك أن تقوم بتحضير وجبتك بنفسك كما يجب.
- همم.
- وكُلِ الكثير من الخضار. حتى وإن قال يوجي أنه لا يجب ذلك، فيجبَ عليك أن تحرص عليه أيضاً.
- ستجري الأمور بخير. يمكنك الاتّكال عليّ.

Twitter: @ketab_n

فكرت ميو قليلاً وهي تحدّق في وجهي. لكني كنت متأكداً بأن صورتي لا تنعكس في عينيها. على الأقل ليس " أنا " الحالي. ربما تلك " الأنا " التي كنت عليها منذ ستة أشهر. كانت تتأمل بالأحرى.

ثم قالت : هذا صحيح.

- آه، ماذا؟
- من الأفضل أن أقول ليوجي عوضاً عن قول كل ذلك لك.
- هذا يعني، أنك تثقين به أكثر من ثقتك بي؟

هزّت رأسها بسرعة.

- لقد سبق وقلت لك، أليس كذلك... فنصف يوجي آتٍ مني. لدي إحساس أن هذا النصف هو شخص ما بإمكاننا الاعتماد عليه.
- والنصف الآخر، إذن؟
- آه حسناً... فكرت ميو للحظات قبل أن تتابع: آه حسناً... إنه مسؤول عن اللطف.
- آه، فهمت.

منذ تلك اللحظة، قامت ميو بتعليم يوجي كل نوع من أنواع المعلومات الأساسية للمعيشة.

كيف يستعمل سكين المطبخ، كيف يختار بشكل جيد غذاءه، كيف يجب عليه في البداية فضّ الغسيل النظيف قبل تجفيفه، أشياء من هذا النوع.

ومن حسن الحظ، بدا على يوجي أن لديه ما يؤهله ليكون ربة بيت صغيرة ومثالية.

Twitter: @ketab_n

انتابني إحساس بأني لست إلا شخصاً من أصحاب الهوامش المؤقتة. محارب قديم، يجلس على مقاعد البدلاء، ويشاهد تلقي المجندين الشباب المشورة من مدربهم عن اللعب باليدين أو بالساقين. وهو يعضّ على طرف منديله من الغيرة.

لماذا كان هو دائماً المُبعد!

مع ذلك، فإنه لم يكن متوقعاً. حتى الآن، كان يوجي يساعدني في إدارة المنزل، لكن بما أنه كان يفعل ذلك وهو يراقب تصرفاتي الخرقاء، فعمله لم يكن متقناً هو الآخر. بينما في الوقت الحالي، وتحت وصاية معلّمة مثالية، فقد تكشّفت مواهبه الطبيعية دفعة واحدة.

ما بوسعنا قوله هو أن أفضل "نصف" لديه يعود إلى ميو، بالمقابل، النصف الذي كان دوماً يتساءل بطريقة ساهية " حقاً؟" كان دون شك من مسؤوليتي. في النهاية، ليس هذا بالشيء الخطير.

في المساء عندما كان يوجي يشاهد الرسوم المتحركة في التلفزيون، تدرّبت على خط بعض الكلمات.

- الآن عندما أفكر بذلك أتذكر أني من قبل أيضاً، كنت أفعل هذا، لأنك أنتِ من كان ينصحني القيام به.
- حقاً؟
- كنت تقولين... "ما هذا ؟ كل هذه الحروف لأجل هذه الكلمة "؟
- تقريباً.
- أشك قليلاً بذلك.

Twitter: @ketab_n

كانت ترغب مني إنهاء الرواية.

فرحت كثيراً عندما شرحت لها بنيّتي جعل يوجي يقرؤها. قلت لها: الصبي صغير لا يتعدّى الست سنوات. لابدّ وأنه سينسى كل شيء عندما يكبر.

- لأجل هذا السبب قالت: "أجد من المستحسن أن تترك له أثراً مكتوباً عن لقائنا، ولكن أيضاً حتى على ما أصبحنا عليه."

لكن لأجل هذا أيضاً، كان يجب علي أن أكتب بشكل مقروء كي يتسنّى له فك شيفرة حروفي. بعبارة أخرى هذا هو السبب.

- هل كلماتي صعبة القراءة؟
- نعم، لن أذهب أبعد من ذلك لمقارنتها بحجر الرشيد، لكنها لم تكن واضحة.
- آه، حسناً.
- أتعرفين ، عندما كان يوجي لم يزل رضيعاً...
- حدث هذا منذ زمن، تخيّل كم كان خطك سيكون مقروءاً اليوم لو تابعت التمرين.
- قمت بذلك خلال ثلاثة أشهر تقريباً. لكن في تلك الفترة كان يوجي قد بدأ يزحف في كل مكان، فانتهى بي الأمر بأن توقّفت.
- كان سيزعجك؟
- نعم، أو في أحسن الأحوال كان سيهتم بالأمر بشكل مضحك. سيتقدم، وهو يبدو وكأنه سيسأل: " ماذا تفعل؟" كي يحاول أن يمسك بقلمي.
- كم هو لطيف.

Twitter: @ketab_n

- نعم، بالتأكيد، لكن حسناً، بعد المرة المليون، سيفقد رشده في نهاية المطاف . لماذا لا يتوقف الأطفال عن ترديد الشيء ذاته دون توقف.

- ربما لأنهم ينسون فوراً ما قد فعلوه للتو، أليس كذلك؟

- يجوز. باختصار، كان هذا يغيظني بشدّة بشكل كنت أكدّس جبالاً من الفوتون كي أجهز خنادق ومتاريس، لكن ما كان هذا ليعيقه عن الزحف.

- كان طفلاً ممتلئاً بالطاقة.

- نعم، هذا صحيح، كل هذا لأنه كان يتغذى من حليبك عشرات الليترات يومياً، ويتحلى بقوة جديرة بروجر باينسيتر وهو في قمّته.

- من يكون هذا؟

- رجل أعرفه جيداً.

- آه صحيح؟

- لكن هو لم يعرفني أبداً.

- هذا تماماً ما اعتقدته.

إن رغبتم في معرفة كل شيء عن روجر بايتسيتر فهو رجل باستطاعته النزول والبقاء لمدة أربع دقائق على عمق 1500 متر. لدرجة أن إحدى المجلات قد صنّفته ضمن سلسلة أشهر مئة شخص في القرن العشرين. ربما تكون هذه المقارنة مغرية ليوجي.

Twitter: @ketab_n

23

جاءت عطلة نهاية الأسبوع. فذهبنا لنتعشّى في الحديقـة النباتيـة. أخذت الكاميرا القديمة التي ورثتها عن أبي، منذ زمن بعيد.

- أتساءلِ إن كنت حقاً سأظهر في الصورة.
- لا تهتمّي، سوف تظهرين، دون أدنى شك.

أخذتِ كالمعتاد مكانك خلفي عـلى الدراجـة بيـنما كنـت أقودهـا، وتبعنا يوجي على دراجة الأطفال خاصته.

- ألم تعد تستخدم السكوتر؟ سألتني ميو.
- همم، لقد بعتها منذ زمن طويل.

(كانت نوبات الخوف قد منعتني من قيادتها)

قلت لها: إنها ليست سيئة، لكنها خطرة.

- مع ذلك، كنت معتاداً على استخدامها. حتى من غير أن تضع حزاماً. ومن ثم أضافت، وحتى دون وسادة هوائية.
- هذا صحيح.

لنا مدة طويلة لم نأتِ فيها إلى الحديقة النباتية. عندما كانت ميـو لم تزل بصحة جيدة، كنا نذهب إليها مرة واحدة كل شهر.

Twitter: @ketab_n

ركنّا دراجتينا عند مدخل الحديقة واجتزنا المدخل كي نذهب إلى قلب المتنزه. كان الطريق المرصوف بالحجارة يمتد نحو خمسين متراً، وهناك لافتة منصوبة وسط العشب إلى اليمين، مكتوب عليها:" الأزهار التي يمكن رؤيتها في هذه الفترة من العام تحوي على عشرات الأنواع من الأزهار".

" كوميلينا مينيس، رافانو، ليزيماشيا، كومبانيل...

صرخ يوجي فرحاً: مكتوب هوستاسييه بولديانا... دوى صدى صوته في الحديقة كلها.

- هناك الكثير من الهوستا في هذه الحديقة، هوستا مونتانا - هوستا أندولاتا... هناك الكثير!

سألته ميو: هل تعرفها، إذن؟

- أنت من عرّفه بجميع أنواع هذه الأزهار.
- آه، صحيح؟
- همم، كنت تعرفين ما يقارب المئتي اسم من أنواع النباتات. أو ربما أكثر. على أي حال، كنتِ تعشقين الزهور.
- لدي إحساس بأني أتذكر الآن شيئاً من هذا القبيل، لكن...
- هيا، لنتقدّم أكثر.. هناك مكان تحبّينه كثيراً. ربما سيساعدك هذا.
- نعم، ربما.

مشينا ببطء بين الأشجار.

- هذه شجرة كستناء يابانية.

كنت أسمّي وأشير على كل شجرة من كل جانب نصل إليه. بالطبع، كان من بينها أسماء هي من كان قد أخبرني عنها .

Twitter: @ketab_n

- هذه هي الشيباكوا . قال يوجي.
- أجابت: شيباكوا... هذا غريب.
- يبدو لي أنهم يدعونها شيونانتوس ريتيسوس، وهذه التوليب.
- التوليب؟
- نعم، لكنها ليست توليب. ففي الربيع، تحمل أزهاراً تشبه التوليب. كنتِ ترغبين دوماً في المجيء إلى هنا عندما تتفتح أزهارها.
- وأنا؟ صرخ يوجي.
- أنت أيضاً كنت تأتي، مذ كنت صغيراً جداً، عندما كنت ما تزال في عربة الأطفال.
- حقاً؟
- حقاً.

تابعنا المسير عكس عقارب الساعة. في الوسط كان هناك نبتة " غليسين[11]" وتحت أقدامنا كان ذبات التريفل المتفتّح، وأزهار اللوسين تمدّ أمامنا بساطاً أبيض. أكلنا " البنتو" الذي كانا- ميو ويوجي - قد جهزاه معاً.

قال يوجي:

- أنا من قطع النقانق!
- أجبته قائلاً: إنها ناجحة جداً. كأنها أخطبوط حقيقي.
- أليس كذلك؟

بعد قليل قالت ميو: إن الهدوء يعمّ المكان، لا يوجد أحد تقريباً.

---

[11] Glycinne: نبتة متعرشة ذات عناقيد متدلية من الأزهار البيضاء أو الأرجوانية أو الحمراء.

Twitter: @ketab_n

- يتجمع الناس حول الأزهار الأكثر شيوعاً. مثل الأرطانسيا والخزامى، وأيضاً الورود. القليل منهم فقط من يأتي خصيصاً لرؤية نبتة الـ كومّولينا كومّونس. في أغلب الأحيان يكون المكان هادئاً هنا.

- يعجبني هذا المكان.

- هذا ما كنتِ تقولينه دائماً. ألا يذكرك هذا بشيء.

- لا أعرف... لكنني أشعر بما يشبه الألم في أعماق قلبي. ربما هذا ما يسمّى بالحنين؟

- دون شك.

- بعد أن انتهينا من البنتو. ركض يوجي حتى بركة كبيرة محاطة بالآجر، حيث كانت كمية من الأسماك تسبح في البركة المغطاة بالنيلوفر وتفيض بشكل لولبي.

- قالت ميو: يبدو سعيداً.

- إنها زاويته المفضلة. يستطيع البقاء بشكل دائم هنا من غير أن يملّ من تأمل الماء.

- آه، صحيح؟

- هممم.

تمطت ميو مع "آه" قبل أن تتمدّد على البساط. استلقيت قربها.

- هذا رائع.

- أليس كذلك.

دوت أصوات أطفال من بعيد. جاءت نحلات وطارت بالقرب من آذاننا قبل أن تبتعد من جديد.

قلت: أستطيع أن أغفو.

Twitter: @ketab_n

عندما التفتُّ ناحيتها التقى نظري بعينيها تتأمّلني بعمق.

- قالت: قريباً سينتهي موسم المطر.
- بالفعل.
- لا أرغب أن أترككما.

أحطت وجهها بيدي: هممم.

- أتمنى أن يكون هذا مجرّد حلم.
- حقاً؟
- أن أستيقظ لأجدك بالقرب مني في الصف.
- همم.
- عندئذ، سوف أقول لك: " سوف نتزوج ويكون لدينا طفل له هيئة أمير انكليزي"
- همم.
- ماذا كنت ستقول في ذلك الوقت.
- أترك الأمر لعنايتكم الكريمة. إن كنتِ ترغبين حقاً بالزواج مني.

تعانقنا، وقبّلنا بعضنا.

- هذه قبلتي الأولى. قالت ميو.
- إنها البهجة، قلت قبل أن أستطرد: هل أستطيع أن أخدم نفسي؟

أخذنا صوراً، نحن الثلاثة معاً. أخذنا العديد منها بمساعدة مبطئ الحركة. والكاميرا موضوعة على حجر النافورة. أنا وميو ويوجي في الوسط. أمسكنا بأيدي بعضنا البعض. خلفنا ارتفعت زنابق من الهند، مغطاة بأزهار بكر.

Twitter: @ketab_n

اشترينا نبتة بأصيص من الحديقة الموجودة تماماً أمام الحديقة النباتية. كان موعد تفتّحها في الخريف.

- ما اسمها؟ سأل يوجي.
- كاغوياهيم.
- نعم، ها أنا أتعهّد بعنايتها لسموك.
- أنا؟
- نعم، سوف تهتمّ بها جيداً، كي تزهر في الخريف.
- أي نوع من الأزهار ستعطي ؟
- أزهار صفراء، يقولون إن رائحتها طيبة جداً. شرحت له قائلاً.
- همم، في هذه الحال سوف أبذل كل ما في وسعي. سأحاول.
- أرجوك.

عدنا للمنزل حاملين النبتة.

Twitter: @ketab_n

24

مرّت الأيام الباقية أسرع بكثير مما كنا نأمل.

علمت ميو يوجي كيف يطبخ، وعندما يحلّ المساء، كنت أتابع تمارين الكتابة. ونحن عائدون من التسوّق كنا نمرّ عبر الحديقة رقم 17 التي أصبحت في الوقت الحاضر فارغة من نومبر وبووه. (نُقل الأستاذ إلى تلك المنشأة البعيدة بينما كنت طريح الفراش أعاني من الحمّى. عرفنا ذلك في وقت متأخر جداً من هذا التاريخ).

بعد العشاء، كنا نذهب للتنزّه نحن الثلاثة قرب القناة. عندما كان يوجي يغفل بنظره عنا كنا نتبادل القبل.

بحسب توقعات المناخ في التلفزيون فإن موسم المطر قد شارف على نهايته. ذات صباح، قبل انبلاج الفجر، حدثت عاصفة أعقبها انهمار شديد للأمطار. لكنه كان الانهمار الذي يعلن نهاية موسم المطر. كان سيدوم هذا يومين على أكثر تقدير.

كان يوجي، المأخوذ بالتهام عشائه يسمع الخبر.

نظر إلى ميو.

كانت تحرّك رأسها وهي على وشك البكاء.

Twitter: @ketab_n

(أرجوك، قليلاً بعد...)

يوجي تابع التهام طعامه، دون أن يلحظ ذلك. في هذه الليلة، مارسنا الحب والجنس معاً، أنا وميو. فبعد أن تأكّدت من أن يوجي كان يتنفّس تنفسه المعتاد عندما يغفو، جاءت وانزلقت في فراشي.

" في المرة السابقة، اقتضى منا ذلك ست سنوات كي نصل إلى هنا"

- هذه المرة، لم يأخذ منا هذا سوى ستة أسابيع. هذا لا يُصدّق. تمتلئ البلد دون شك بزوجين لا ينتظران سوى ستة أسابيع.

نزعت عن ميو منامتها القطنية تحت الغطاء. تركتني أفعل ذلك بجسد مسترخي.

- قالت: أنت معتاد على فعل ذلك .
- شكراً. لقد تدرّبت كثيراً معك.

بعد أن خلعت عنها منامتها وملابسها الداخلية. جعلت منهم كرة لولبية ورميتهم خارج الفراش. مرتبكة، مدّت يدها لتخفي ما كانت تخبئه ثيابها الداخلية البيضاء تحت منامتها.

رأيت نهديها يرتجفان. عندما لاحظت نظرتي الموّجهة إليهما، رفعت الغطاء حتى كتفيها.

- ماذا دهاني. قالت. دون هذه الثياب أشعر بالكثير من القلق، أشعر وكأني معطوبة.
- حقاً؟
- نعم، هيا اخلع ثيابك، لا أريد أن أكون الوحيدة التي تفعل ذلك.
- سمعاً وطاعة.

Twitter: @ketab_n

خلعت منامتي ولباسي الداخلي ورميته كالكرة خارج الفراش.

- ها نحن أصبحنا اثنين.

التفتنا كي نواجه بعضنا، ثم، وببطء، وصمت، اقترب الواحد منا من جسد الآخر.

تنهّدت ميو.

- هكذا هو الأمر إذن.
- بالفعل. لكن لا يوجد غير هذا.
- هذا مزعج. هل يكون باستطاعتي فعل ذلك؟
- كل شيء سيكون على ما يرام. على الأقل، سار كل شيء بشكل حسن في السابق.
- في هذه الحالة سوف أبذل جهدي.
- هل هي حقاً قضية؟
- أنا أتساءل...

مع ذلك لم تسر الأمور سيراً حسناً على الإطلاق. وسببت الكثير من الألم.

- قالت: هذا يسبب الألم، لكن...
- غير ممكن.
- أؤكّد لك.
- لكن...
- ربما تكون قد أخطأت بالمكان؟

حاولت أن أركّز كل انتباهي نحو نقطة واحدة.

- كلا لم أخطئ.

Twitter: @ketab_n

- إذن، لماذا...؟

نظرت إليّ وأنا فوقها بقلق، فكرت لبرهة وأنا أثبّت جسمي بكلتا يدي.

- أتساءل، إذا، أيكون بمغادرتك هذه المجرة للمرة الأولى، وإعادة تجهيزك للعودة من جديد، قد تم تهيئة كل شيء من جديد مرة أخرى؟

- إعادة تهيئة؟

- كما الحال في لعبة ما. فخبرتك فيها تعود إلى الصفر.

- أتعتقد ذلك؟

- لهذا ليس لديك لا ذاكرة ولا تجارب. تابعت قائلاً، لا بدّ وأن الأمِر هكذا. اكتفوا بدمج العناصر الضرورية فقط. وأعيد تشغيلك بناء عليها.

- إذن في هذه الحالة سأكون عذراء؟

- نوعاً ما، نعم.

بدت مشتّتة الذهن، وكان هذا أمراً طبيعياً. فأي أم لفتى في السادسة من عمره سوف ستحتار وهي تسمع بأنها لم تزل عذراء.

قلت لها: كل شيء سيكون بخير إن وثقتِ بي. فأنا مدرّب بشكل جيّد.

عند هذه الكلمات استرخت تعابيرها أخيراً.

- هذا صحيح، أنت محق.

عندئذ أغلقت عينيها، وتركت جسدها كلّه يسترخي كإشارة على الاستسلام. تقوّست بينما كنت أغرق ببطء، وهي تجعلني أرى رقبتها البيضاء. همست، وشفتاها نصف منفرجتين :

- أرجوك، برقّة، ببطء.

Twitter: @ketab_n

مع ذلك، لم أكن أعتقد أن لي القدرة على إظهار اجتهادي كما كانت ترغب. وجدت أن المرة الأولى التي قمنا بها بذلك، كل تلك السنوات، كانت أفضل. ففي ذلك الوقت، لم يكن لدي شعور التركيز عليها، و انتهى كل شيء حتى قبل أن يستطيع أيّ منّا فهم ما جرى وحدث. هذه المرة، مع ذلك، ولنتيجة الخبرة المتراكمة، أخطأت من فرط حماسي. في النهاية لم تبد المعاناة بالنسبة لها إلا فترة أطول.

تأمّلت ذاهلاً صدر ميو الشاحب وهي تتحرّك هنا، مرتبكة دون دفاع. بدا نهداها المبللان بالعرق كقطة مولودة حديثاً.

قلت لها: كنت رائعة، أعطيتني نفسك بشكل كامل.

فتحت عينيها، وارتسمت ابتسامة واهنة على وجهها.

- هل تتضايق إن قلت لك باني لم أشعر بأي شيء؟
- لا لن أتضايق، لقد أعطيتني نفسك بشكل تام.
- شكراً.
- العفو.

استلقينا عاريين جنباً إلى جنب، ونظرنا متجه نحو السقف ذي اللون البرتقالي.

تمتمت ميو: أنا سعيدة.

- حقاً؟
- لقد قضيت ستة أسابيع رائعة.
- هممم.
- وقعنا مجدداً في الحب.

Twitter: @ketab_n

- صحيح.
- أمسكنا بأيدي بعضنا، قبلنا بعضنا.
- وحتى أننا مارسنا الحب معاً.
- ثم، أصبحت أماً.

ثم لم تلبث أن أضافت : هذا يعني الكثير. لم أعد أرغب بأكثر من ذلك.

- هممم...
- سرّني أن ألتقي بكما، أنت ويوجي.
- همم

عقدت يديها فوق صدرها، وتابعت:

- ربما بدا لك الأمر غريباً، لكن...

أدارت رأسها كي تنظر إليّ واستطردت تقول:

- في البداية كنت غيورة من زوجتك.
- أنت زوجتي.

هزّت رأسها بالنفي.

- أنا مجرّد فتاة ولدت في هذا العالم منذ ستة أسابيع.
- همم. فهمت. هذا ما تشعرين به.
- قلت لنفسي، كم يبدو الأمر رائعاً أن أكون محبوبة من كلٍ منكما، وأن أملك كل تلك الذكريات.
- همم.

Twitter: @ketab_n

- كنتما تنظران إليّ بعيون مفعمة بالعاطفة، لكن لم يكن هذا أنا، إنما كانت تلك المرأة التي في ذاكرتكما. لهذا، تابعت قائلة، حاولت بذل أقصى ما استطعت لألعب د ور الزوجة الطيبة، كي تعتزّون بي.

- حقاً؟

- كان قلبي يخفق بشدّة، فقد وقعت مجدّداً في الحب.

بكِ أنت يا من وُلد للتو.

نظرت إليّ ميو كالمبهورة. احتفظ وجهها بابتسامة متشنجة، وكأنه على وشك البكاء وقالت:

- أحبك بشدّة لدرجة لم أعد أعرف ماذا أفعل.

مددت يدي كي أسحبها نحوي. كان عرقها بارداً، وجسمها ندياً.

- أنا أيضاً. أنا متأكّد بأننا لن نتوقّف أبداً عن الوقوع بحب بعضنا البعض من جديد، وسوف نعاود مرة أخرى للانجذاب الواحد منا نحو الآخر.

- في يوم ما، في مكان ما؟

- نعم، في يوم ما، في مكان ما. لكن في هذه اللحظة أريد أن أبقى قربك، فأنا مرتاح هنا.

- نعم، هذا صحيح، قالت، أنا أيضاً أتمنّى البقاء قربكما.

أسندت رأسها على ذقني.

- هذه هي الوضعية المفضّلة، أليس كذلك؟

بدا صوتها ضعيفاً جداً وهي حول ترقوتي.

- هذا لأننا زوجين.

Twitter: @ketab_n

- نعم هذا صحيح. قريباً، تمتمت قائلاً، قريباً سوف ينبلج الصبح.

سألتها إن لم تكن ناعسة. فأجابتني بالنفي.

- قلت: غداً يوم السبت، وأنا لا أعمل، وكل شيء سيكون على ما يرام.

- في هذه الحالة، ألا نستطيع البقاء هكذا قليلاً؟
- بالطبع سوف نبقى قليلاً.
- شكراً.
- العفو.

Twitter: @ketab_n

25

جاء يوم الغد، دون أي تغيير يُذكر مقارنة بالأمس. مع ذلـك، كـان هو اليوم الذي أعلـن كيـوم مـأتمٍ بالنسـبة لنـا. كـما الحـال في العـام السابق، في التاريخ نفسه.

هذا لا يعني أن كل مرحلة كانـت بالضرورة مـن النعـيم الكامـل. كان هناك أيضاً بعـض المراحـل الحزينـة. أغلبيـة تلـك المراحـل كانـت تحوي قصّة فراق. لم يُصادف لي حتى الآن أن سمعت بقصّة واحدة لا يتخللها الفراق.

كان الجو ضبابياً والمطر يهطل بصمت على الأرض، تلونـت السـماء بلون أبيض. كانت سماء مكفهرة، دون مساحة ولا عمق.

سرنا باتجاه الغابة محتمـين بمظلّة. انتشرت المستنقعات في كل مكان تقريباً. لم يستطع يوجي مقاومة إغراء السير في كلّ واحدة منهم.

كان معمـل السـاكي القـديم الموجـود عنـد مـدخل الغابـة يصـدر قرقرته المعهودة : بوم، بوم، سبيشت. تقدمنا على طول طريق الغابـة التي تناثرت فوقه عدّة طبقات من الأوراق الرطبة. احتجبـت السـماء خلـف أوراق الأشـجار المبللـة، وأحاطـت أزهـار الحمّـيض الصـفراء الصغيرة بالدّرب. لمعت جذور أشجار الصنوبر التي انبثقت من الأرض

Twitter: @ketab_n

باللون الوردي. لم تكن الأمطار المتساقطة من قمّة الأشجار لتصل إلينا. أغلقت المظلّة. سار يوجي وميو يداً بيد.

- أتمنى معاودة رؤية أزهار الهوستاس، قالت ميو.
- نكاد نصل إليها. إنها على مسافة قصيرة من هنا.

لكن عندما وصلنا، كانت الأزهار قد اختفت، وكانت الأوراق الرائعة ترتجف تحت وقع المطر.

قالت ميو: يبدو أن موسم الأزهار قد ولّى.

- نعم، يبدو كذلك.

ذهبنا حتى طرف الغابة. كان الطريق يتبع انحداراً بسيطاً، والغابة تتموضع على مسافة أبعد قليلاً. أبطأت ميو من سرعتها، ونظرها مثبّت على يوجي الذي كان يمشي بجانبها.

- ما الأمر؟ سأل يوجي وقد لفتت انتباهه نظرتها.
- أنا...
- هممم

لكنها كانت غير قادرة على الكلام.

- ما الخطب؟

ألقى يوجي نحو أمه نظرة بدت وكأنها تتردّد بين الأسى والأمل.

- أنا...

استطاعت في النهاية صياغة أفكارها.

Twitter: @ketab_n

- سوف أقول لكم قريباً وداعاً.

فجأة، انمحى أي تعبير عن صفحة وجه يوجي . ارتجفت شفتاه المواربة، تأمّل مطوّلاً وجه أمه، ثم أخفض رأسه ببطء، كما لو كان يتابع مسير أوراق ميتة.

- أهذا يعني أن وقت الوداع صار قريباً؟ سأل وعيناه مثبتة على الأرض.

- أخفضت ميو رأسها: أنا أيضاً لا أعلم.

- هل قررتِ في أي يوم ستغادرين؟ هل عادوا وطلبوكِ من جديد؟

- ليس هذا هو الأمر. إنّ والدك هو من حدّثني بالأمر.

- لكننا قطعنا عهداً على ألا نقول شيئاً، تمتم يوجي، ووجهه لم يزل منخفضاً.

- أنا من طلب إليه أن يشرح لي.

- حقاً.

- نعم.

ثم صمت الاثنان، وتقدّما ببطء، يداً بيد، وهما يسيران بهيئة واحدة. بدا لمن يراهما وكأنهما أول - أو آخر- شخصين على وجه البسيطة. لا أحد كان بإمكانه أن يحلّ محلهما. أم وابنها يسيران ملتصقين الواحد بالآخر كشخص واحد.

تأمّلت، ساه، ظهريهما وأنا أسير وراءهما. كانت ميو ترتدي سترتها الصوفية المزّهرة بأزهار الكرز فوق ثوبها الأبيض. رداء ذلك اليوم نفسه.

Twitter: @ketab_n

أما يوجي فقد كان يرتدي بنطالاً قصيراً وبلوزة صفراء ذات أكمام طويلة. انحشرت قدماه الرقيقتان في جزمة تنسجم مع بلوزته، رُسم عليها صورة كلب يشبه كثيراً بووه. كانت ميو هي من اشترتها له. كان يتجوّل بها كثيراً حتى أثناء الطقس الجيّد.

- ماما؟

فتح أخيراً يوجي فمه، كان صوته يشبه كثيراً صوت ميو وهو يبدل ثلاث نغمات نحو الأعلى.

- ماما، أنا آسف. قال.

وقفت ميو وأخفضت رأسها كي تنظر مباشرة في عينيه.

- لماذا تعتذر؟

قرّبت وجهها من وجه ابنها البريء وهي ترفع له شعره المبلل.

- لم ترتكب أي خطأ.

أخفض يوجي رأسه بصمت.

- بلى، لقد قمت بشيء ما سيء. قال وهو يتمتم، مشدّداً على مخارج الكلمات. خانت لهجته معاناته في ضبط النفس. شيء ما صعد إلى حلقه.

- أنت فتى طيّب. لا تعد لقول أشياء كهذه.

داعبت ميو خدّه بلطف . تلوّن أنف يوجي باللون الأحمر، وأخذ يرفرف بعينيه عدّة مرات.

- إنه خطأي أليس كذلك؟ قال بصوت مرتجف. هل هذا خطأي أنك متّ؟

Twitter: @ketab_n

رفعت ميو رأسها كي تنظر إليّ.

أومأتُ برأسي بسرعة نافياً، ومن ثم لم ألبث أن أذعنتُ ببطء.

لكن لا، لا دخل لكِ أنت في الأمر.

ألا تعلمين أن أفكاري مشابهة تماماً للكلمات التي قرأتها في روايتي. هو... يوجي نقيّ كالثلج الذي لم يصل بعد إلى الأرض."

أذعنت بدورها للأمر.

" نعم أعرف ذلك جيداً. فكرت في الشيء ذاته."

قالت ونظرتها تغوص في عيني يوجي: هذا ليس صحيحاً.

بدت هيئتها جدّية أكثر من أي وقت مضى.

- هذا خطأ.
- لا بل صحيح، أنا أعرف ذلك جيداً.

جفف يوجي دموعه المتناثرة بقبضة يديه الناعمتين.

- قال لي أحدهم. كان موتك بسبب ولادتي.

رفع رأسه لينظر إلى ميو. كانت الدمع يسيل على وجنتيه الحمراوتين، وأخذ فمه الورديّ شكل دائرة وهو يتوسّل لوالدته قائلاً :

- لم أكن أعرف ذلك خلال كل ذلك الوقت.

رمش بعينيه الأكثر جمالاً وتابع:

- لم أكن أعلم بكل هذه الأمور، لو كنت أعلم، لكنت لطيفاً أكثر. أنا آسف.

Twitter: @ketab_n

تمخط يوجي وعاد ليقول: كنت أريد الاعتذار منذ زمن. أنا آسف.

- لا تتأسّف. قالت ميو. لم تفعل شيئاً سيئاً على الإطلاق. أنتَ صبيٌ لطيف. ألطف صبيٍ في العالم.

لم يبدُ صوتها وكأنه تماما لها. كان صوتاً غير مستقرّ البتّة، وأجش.

- لكن.. تنشّق يوجي. لو لم أولد، لكنتِ بقيتِ مع تاك-كون للأبد. أليس كذلك؟

- هذا ليس صحيحاً.

مررت ميو أصابعها في شعر يوجي المبلل، وتابعت:

- أتعلم، حتى لو لم أرزق بك، فأنا أعتقد أن الأمور كانت ستجري بالطريقة ذاتها.

توقف يوجي عن رفرفة أجفانه.

- ثم، أنا لا أستطيع تخيّل حياتي من دونك. فبفضلك استطعت أخيراً أن أعيش حياتي الخاصة. أنا مقتنعة تماماً بهذا.

- حقاً؟

- نعم. لو لم ألتقِ بك لما شعرت أبداً بهذا الشعور بالإنجاز، حتى لو عشت خمسين عاماً.

- أكيد؟

- طبعاً. لهذا السبب التقينا أنا ووالدك، كي نتعرّف عليك.

- أنا؟

- نعم، أنتِ. أنت الذي لا يشبه أحداً على الإطلاق. يا أميري الإنكليزي الصغير.

Twitter: @ketab_n

- من يكون هذا؟

- إنه صبيّ صغير له أنف دائم السيلان، يجب أن يجمع نفايات لا فائدة منها، وله عادة أن يسأل دوماً "حقاً؟" في كافة المناسبات.

- حقاً؟

- حقاً يا كنزي الغالي.

- كل هذا، هو أنا؟

- نعم، أنت.

فركت وجنتها بوجنة يوجي:

- وسوف تغدو فتى راشداً رائعاً. هاه؟

قبّلت خدّه. ومن ثم رفعت شعره، ووضعت قبلة أخـرى عـلى جبهته.

- لن يكون باستطاعتي العودة لأرى هذا، لكنني سـوف أتمنـى لأجلك دوماً أجمل الأمنيات، لتكون حياتك ملأى بالحب.

- وأنت على كوكب الأرشيف؟

- تماماً. على كوكب الأرشيف سوف أفكر بكما أنتما الاثنين.

- أنا لن أنساك أبداً يا ماما. تمتم يوجي قائلاً، وهو يتعلق برقبة أمه. سوف أتذكّرك دوماً، كي يستطيع تاك- كون رؤيتك عندما يذهب بدوره إلى كوكب الأرشيف.

- شكراً. وأنا أيضاً، لن أنساك يا رجلي الصغير. أحبك.

هذا ما قالته وهي تحتضنه مرة أخرى.

Twitter: @ketab_n

- كانت حياتي قصيرة، لكن بفضل وجودك، قضيت أياماً بهيّة. شكراً.

- سأترك والدك في عهدتك. اعتنِ به لأجلي.
- همم، سمعاً وطاعة.

جففت ميو دموع وأنف يوجي بمنديل.

- لن أغادر فوراً. قالت. لا تقلق.

رضخ يوجي للأمر، وعاود الاثنان سيرهما يداً بيد.

ثم انحسرت الغابة وانكشفت السماء.

بدأ يوجي يفتّش عن كنوزه بأقصى قدر من الجدّية، كنوزه التي تشمل اللوالب، أو التي كانت تتعلق بأسنان صغيرة.

كان تهديد المطر يضغط علينا.

أبعدت ميو خصلات شعرها المبللة بيديها، رفعت جبهتها الرائعة التي لم أتوقف يوماً عن الإعجاب بها مذ كنت في الخامسة عشرة. بقيت بعض الخصلات السوداء المتمردة تلتصق بجبهتها.

- أتساءل إن كانت هذه فكرة جيدة. قالت.
- همم. بإمكان يوجي أن يسامح نفسه بعد الذي قلته له.
- إنه يتألم بشدة.
- ألوم نفسي لعدم ملاحظة هذا الأمر. كان يجب عليّ الإصغاء إليه بانتباه.
- إنها ليست غلطتك. قالت بلهجة لا مبالية.

Twitter: @ketab_n

هذا غنيّ عن القول، ولكني أقوله لكَ مع ذلك. هذا ما قالته أذعنت وقلبي متحرر من أثقاله.

استندنا إلى الجدار المتهدّم، وراءنا تماماً كان يوجد الباب رقم 5، بالقرب منا انتصبت علبة الرسائل بشكل مائل. تبلل كل شيء بالمطر وبدا أقدم مما هو في الواقع.

- عزيزي. قالت ميو.
- همم.

بدا صوتها لم يتغير وأجبتها أنا كعادتي.

قالت: يبدو أن وقت الفراق قد حان.

بدا صوتها لا مبالياً كما لو أننا نقول إلى اللقاء إلى هذا المساء.

لكن لم يكن الوضع هكذا.

مدّت يدها اليمنى نحوي. بدأت رؤوس أصابعها بالاختفاء بدءاً من السلامية الثانية. لم يتبقَّ منها سوى ملامح غير واضحة، كما لو أن محتوياتها قد ذهبت إلى أماكن أخرى. كانت الغابة مرئية عبر أصابعها الشفافة.

سمعت القاطع يتشابك في صدري. كليك.

شعرت بالصمامات مفتوحة وبمؤشر السرعة يصاب بالذعر من جديد.

- ألا تشعرين بالألم؟

Twitter: @ketab_n

كان صوتي يرتجف من القلق.

تأملت سلامياتها (أو بالأحرى المكان الذي كان يجب أن تشغله) باستغراب.

- لا، هذا لا يؤلمني. لكن أصابع يدي باردة.
- إذن فهم ما زالوا موجودين؟
- نعم، بالتّأكيد في مكان ما.
- أنت أيضاً ستغادرين؟
- يبدو ذلك.
- ماذا يمكنني أن أفعل؟
- أمسك يدي.

رسمت ابتسامة يائسة وتابعت: أرجوك، أمسك بيدي حتى اللحظة الأخيرة.

- سمعاً وطاعة.

أمسكت يد ميو اليسرى بيدي اليمنى بقوة كما لو كنت أعتقد بأني أستطيع بذلك تثبيتها في هذا العالم.

شدّت ميو بدورها على يدي. كانت أصابعها ترتجف قليلاً. كانت خائفة. شعرت بأسىً عميق. على الرغم من ذلك، كانت تُظهر لي السكينة . قلت في نفسي: كن قوياً لأجلها.

- كل شيء سيسير على ما يرام. أنا هنا.

أومأت ميو برأسها، وسحنتها شاحبة.

Twitter: @ketab_n

ثم، ونحن نمسك يداً بيد، توحّد قلبانا ليصبحا قلباً واحداً، تجاوزنا العاصفة الأولى من الحزن.

عاد الهدوء من جديد، بشكل مؤقت.

- عزيزي، قالت، اعتنِ بيوجي.
- همم.
- أحببه لأجلي أنا أيضاً.
- همم.

سرعان ما توقفت كلماتها. عضّت على شفتيها ورأسها منخفض. ظهرت قواطعها الأمامية من بين شفتيها الناعمتين. وطفرت دمعة من عينيها المغلقتين.

- هذا صعب، قالت، لا رغبة لدي في الذهاب. أريد البقاء هنا، أريد أن أرى يوجي وهو يكبر، أريد أن أبقى معك على الدوام.

تنهّدت قبل أن ترفع رأسها وتتابع:

- لا أستطيع. أنا فقط أجعل الأمر أكثر صعوبة بالنسبة لك بقولي ذلك.
- لا بأس. قولي ما الذي يختلج في قلبك من أحاسيس.

حرّكت قليلاً رأسها، وعيناها مغلقتان.

- لا... لا أستطيع، احكِ لي أنت حكاية.
- أنا...

Twitter: @ketab_n

الكلمات الأخيرة التي خرجت أخيراً من شفتي كانت هي تلك الكلمات التي طالما كنت محتفظاً بها في قلبي.

- أنا أريد أن أجعلك سعيدة.

ضغطتُ على يدها بقوة، فبادلتني بالمثل.

- أريد أن آخذك إلى السينما، أريد أن أتأمّل النجوم معك من أعلى بناء، أن أشرب الخمر أو أي شيء آخر. تماماً كأي زوجين عاديين. أريد أن أكون كأي إنسان طبيعي. لكني لم أستطع تحقيق ذلك.

انتهت حياة ميو القصيرة في تلك المدينة الصغيرة. فهي التي لم تبتعد عن المكان الذي وُجد فيه زوجها، أيا كانت فرصتها لتجوب ضمن هذا العالم الفسيح. عاشت حياتها راضية بالمتع الصغيرة، متعّ من هذه الأنواع البسيطة التي لا أحد بإمكانه أن يعتبرها كافية.

كصورة ذاتية ضمن إطار رخيص الثمن مثلاً.

- أنا آسف. قلت.

تأمّلتني بعيون نديّة، راسمة ابتسامة متوترة.

- لماذا؟.. تمتمت قائلة، وقد أصبح صوتها يخرج من أنفها بسبب البكاء. لماذا يحاول رجال هذه العائلة الاعتذار كثيراً؟

كانت شفتاها الرقيقتا ن، اللتان فرّ اللون منهما، ترتعشان ببطء.

- أنا سعيدة، لست بحاجة إلى شيء. كل ما رغبت به هو أن أبقى قربكما. هل كنت تعلم ذلك؟ هنا تكمن أكبر سعادة في العالم.

- حقاً؟

Twitter: @ketab_n

- نعم. قالت، ثق بنفسك. أنت شخص رائع.
- لا أحد غيرك يقول أشياء كهذه.
- هذا غير صحيح.
- بلى. هذا صحيح. أنت مختلفة، لكِ ذوق شنيع جداً.

لم تحر أي جواب. تأمّلتني برقة، وبصمت.

- قل لي.. سألت، هل استطعت أن أجعلك سعيداً؟
- أنا سعيد، لا بل أكثر من سعيد. يكفي أنك تزوجتِ بي ليجعلني هذا سعيداً أكثر بكثير مما كنت أتصوّر.
- حقاً؟
- همم.

كانت اليد اليمنى لميو قد اختفت في الوقت الحاضر حتى المرفق. لم يبقَ لنا الكثير من الوقت.

- انتبه لصحتك. قالت.

امتلأت عيناها بالدموع. وراح حول عينيها يأخذ لوناً وردياً.

- إنه قلقي الوحيد.
- سأكون حذراً، سوف أبذل كل جهدي لذلك.
- عش حياتك على أكمل وجه.
- همم.
- أنت تحمل عبئاً ثقيلاً أكثر من الآخرين، هذا كل ما في الأمر. أنا متأكدة إن أنتَ قدّمت أفضل ما لديك، لأمكنك الذهاب إلى أبعد مما تريد.

Twitter: @ketab_n

- همم، معك حق.

بدأت صورتها فجأة بالاهتزاز. أصبح الإحساس بأصابعنا المتشابكة أكثر هشاشة. كان نصفها الأيمن قد اختفى. مع ذلك، بقيت تحاول الكلام كما لو أن حياتها كانت تتعلّق به.

- أشعر براحة هائلة وأنا بالقرب منك.. لو استطعت، لبقيت العمر كله بجانبك..

- همم.
- أحبك، أحبك كثيراً. أنا سعيدة لأني كنت زوجتك.
- أنا أيضاً.. أنا أيضاً.

رسمت ابتسامة كبيرة. فقط نصف ابتسامة.

- شكراً يا حبيبي. أترانا سنلتقي مجدداً في يوم ما، في مكان ما..

كانت الكلمات وحدها هي التي تطفو في مكان ما وسط اللاشيء.

نظرت إلى يدي اليمنى المنغلقة على الفراغ، حيث لم يبقَ سوى ضباب وردي يشبه ظلّها، والذي، حملته الرياح بعيداً هو الآخر.

لم يتبقَ غير رائحتها.

تلك الرائحة هي الرسالة الأكثر حميمية التي نقلتها إليّ. الرسالة الوحيدة في العالم.

ميو.. قالت. أهكذا سوف يكون اسمي؟

في الواقع نعم. هذا هو اسمك. الاسم الوحيد في العالم للمرأة التي أحببت من كل قلبي.

Twitter: @ketab_n

الوداع، ميو

ركض يوجي متقطع الأنفاس.

- انظر.

كان يمسك بيده المرفوعة مسنناً صغيراً.

- أليس هذا رائعاً؟ سوف أعطيه لماما. أين ماما؟

اكتفيت بالإيماء مراراً وأنا غير قادر على النطق، محاولاً رسم ابتسامة ملتوية كي أداري بها دموعي.

- أين هي؟ هلاّ قلت لي؟

مع ذلك بقيت واقفاً هنا، بفم مغلق، وعاد يوجي ليركض من جديد.

- ماما؟ أين أنت؟ انظري، لقد وجدت واحداً، سوف أعطيك إياه.

ماما، أين أنت؟ ماما؟

Twitter: @ketab_n

26

بعد يومين من رحيل ميو، أعلنوا نهاية موسم الأمطار. كما لو كانت هي الأخرى في عجلة من أمرها لمتابعة سفرها.

وهكذا، استأنفنا حياتنا، فقط نحن الاثنان.

مع ذلك، بقي هناك ذكريات منها لم تزل طافية في كل مكان في الشقة. ذكريات امرأة رحلت في نهاية الأسبوع السادس.

وأنت؟ سألتني. هل كنت سعيداً؟ هل جعلتك سعيداً؟

في كل مرّة أستعيد فيها كلماتها، كنت أناديها، وهي على الكوكب البعيد.

لم تتوقفي يوماً عن سؤالي إن كنت قد أسعدتني. يكفي أن يكون لي زوجة تفكر هكذا لأكون سعيداً. لكن ربما لم تكوني تعرفين ذلك.

" بذلت أكثر مما استطعت، كنت رائعاً"

كانت تلك جملٌ أخرى من جملك المفضلة.

جعلني التفكير بأني لن أسمع ذلك مرة ثانية تعيساً جداً. فبفضل تشجيعك هذا كنت قادراً على بذل كل ما في استطاعتي. كان بإمكاني الصعود في صاروخ والذهاب حتى بلوتو. لكن لو كنتُ قد قلتُ لك

Twitter: @ketab_n

ذلك، لكنتِ قد رمشتِ عينيكِ عدّة مرت بشكل مبالغ فيه، وهيئة عدم التصديق تعلو وجهك.

بما أننا عدنا لنصبح وحدنا من جديد، رحنا نبذل قصارى جهدنا. كان يوجي قد أصبح شريكاً يمكن الاعتماد عليه أكثر بكثير من قبل، بل حتى إ نه أصبح أكثر نضجاً. هو الذي طالما نام بوضعية طفولية، راح مؤخّراً ينام ووجهه متجه نحو الأرض كما السّجود لأجل الخلاص، رافعاً مرفق يده اليمنى، وأطراف أصابعه ملتصقة بصدغه. يبدو هذا غير مريح على الإطلاق.

لكن كان يبدو عليه وكأنه ينام بعمق في هذه الوضعية. أتساءل إلى من كان يؤدي التحية كل ليلة؟

عند الاستيقاظ، كان أول ما يقوم به هو الذهاب ليلقي التحية على الصورة الموضوعة فوق الخزانة. تلك التي أخذناها في الحديقة النباتية. كنا نبتسم ونحن جنباً إلى جنب أنا وميو، وبيننا يقف يوجي. بدونا سعداء، تحت أزهار ليلك الهند النقية. يبدو من نظرتنا وكأننا كنا نرى عالماً رائعاً لم يزل غير معروف من الجميع، يمتد أمامنا. ومن ثم كان يوجي يسقي نبتة الكاغوياهيم، قبل أن يباشر بمساعدتي في رمي القمامة.

أخذنا نغير ملابسنا كل يوم. أثناء تناول الطعام، كنا ننتبه كي لا نلوث ثيابنا، وعندما ننشر الغسيل، لا ننسى أن نفضّه مسبقاً.

عندما يحل المساء، كنت أتابع تماريني في الكتابة قبل المباشرة في تسجيل نهاية روايتي. ثم، قبل أن ننام، كنت أقرأ " جيم بوتون " ليوجي . في نهاية الأسبوع، كنا نخرج من الغابة ونبحث عن البراغي قرب المعمل المتهدم.

Twitter: @ketab_n

كل صباح، آخذ دراجتي الهوائية كي أذهب إلى المكتب، حيث كالمعتاد، كنت أشرع في العمل وأنا أقرأ الملاحظات التي كتبتها بنفسي، ولنفسي. لم تعد ناغاز-صان تتصرف بغرابة. لم أعد أنسى ارتداء الرداء المناسب لكل فصل من السنة، حتى أني أخذت أقصّ شعري مرة كل شهر. بقي الرئيس ينام على مكتبه كالمعتاد، وقد أصبح يشبه أكثر فأكثر القديس برنار.

وهكذا، رحنا نبتعد رويداً رويداً عن " ذلك اليوم " ومع ذلك، كانت ميو لم تزل معنا، بالقرب منا. كنا نشعر أنها هنا.

عندما أقوم بتمريناتي الكتابية، أشعر بوجودها وهي ترمي نظرة من وراء كتفي، أشم رائحتها، ويتهيأ لي سماع صوتها تناديني " حبيبي". فكنت ألتفت في كل مرة.

في الليل، عندما أخلد للفراش، أشعر بحرارة جسدها بالقرب مني، رقبتها تدغدغني، وأسمع همسها تقوقئ وهي تسألني: هل هذه هي الوضعية الأنسب ؟

سرعان ما تناهى إلينا صوت فصل الخريف.

غناء الزيز، صوت حفيف سنابل الأرز وهي تتأرجح متمايلة في نسمات الريح.

امتلأت نبتة الكاغويا-هيم بأزهار صفراء أخاذة ذات عطر رقيق.

-إنها ماما، قال يوجي. على أي حال، إنها رائحتها.

- هذا صحيح.

كانت ميو دوماً بالقرب منا.

Twitter: @ketab_n

29

تحت سماء صافية في بداية الخريف الذي كان يمتد على مدّ النظر، قدنا دراجتينا متجهين نحو المحطة. كنا ذاهبين لزيارة نومبر في البلدة التي قرب البحر، على بعد ساعتين بالقطار.

كانت تلك أمنية ميو أيضاً. كانت دائماً مشغولة البال تجاه نومبر.

" ألا تعتقد أنه يشعر بالوحدة؟"

"ألا تعتقد أن هذا صعب عليه؟"

وصل الأمر بأن قررت الذهاب لرؤيته. لكن في النهاية كانت صحة نومبر تتدهور بسرعة، ولم ينجح المشروع.

قبل أن ترحل، توسلت إليّ أن أذهب لرؤيته. ومن ثم لم يطل الأمر أن شعرت أنا الآخر بالرغبة للقاء به. كان لدي الكثير لأحكيه، عن ميو، عن بووه، وعن الرواية.

باختصار، لهذا السبب قررت الذهاب. لكن في اللحظة التي قررت فيها ذلك، راح إيقاع نبضي يتسارع لأكثر من عشرين ضربة.

رائع.

إنه حنين رائد الفضاء للذهاب إلى بلوتو. هذا ما شعرت به.

Twitter: @ketab_n

عند وصولنا إلى المحطة، تفاجأت في البداية بوضع البوابات الآلية. خلال العشر سنوات الأخيرة من الفراغ في ذاكرتي المؤقتة، كانت هذه الآلات قد تطورت بشكل كبير. على أي حال، كانت أعداد الأزرار قد تضاعفت تقريباً. زيادة على أنها كانت قد جُهِّزت بشاشة بلورية سائلة، وكان يتوجب عليك المرور بعدّة مراحل شاقة كي تستطيع شراء تذكرة لطفل. كانت القسائم التي تخرج منها رقيقة وبدت كأنها آتية من لعبة، وعلى ما يبدو، كان يجب إدخالها من فتحة الباب الدوّار.

كنت قد عرفت بوجود هذه الأبواب الدوّارة من التلفزيون. لكن عندما أصبحت أمامها شعرت بتوتر كبير يجتاحني، لم أكن قد خبرت توتراً كهذا منذ المرة الأخيرة التي وجدت نفسي- فيها أمام الباب الدوّار لأحد الفنادق. مع ذلك، فقد نجحت في اجتيازها ولا أعرف بأي طريقة كانت. عند هذه النقطة، كنت قد أصبحت مرهقاً بالفعل.

قلت ليوجي:

- سوف نأخذ الخط العادي. هاه.
- القطار السريع يسير بسرعة أكبر.
- لا، القطار السريع ليس فكرة جيدة. فالمسافات بين الاستراحات شاسعة جداً.
- وأين تكمن المشكلة؟
- لا أعتقد أنها تشكّل مشكلة، لكن إن كان هذا هو الحال، فسوف تكون الرحلة مملة جداً.

Twitter: @ketab_n

- حقاً؟
- حقاً.

باستخدامنا الخط العادي كان هناك أربعون محطة للوقوف. ثم، وبصوت haaa التي تشبه تنهيدة عميقة استأنف القطار سيره على الوتيرة ذاتها، متكررة أربعون مرة، حتى وقف عند المحطة. بدا الأمر وكأنها مسيرة حياة شخص ما.

haaa

وصل القطار أخيراً، وصعدنا إليه.

وبما أنه كان يجب علينا أن ننتظر، فقد كانت قدماي ترتجفان. تمسّكت بيد يوجي بكل قوتي.

- تاك-كون، قال يوجي.
- ماذا؟
- يدك تتعرق بشدة.

وغني عن القول بأن ذلك كان عرقاً بارداً.

أغلقت الأبواب، وفي اللحظة التي كان القطار سيسير فيها، سمعت صوت " كليك" هذا الصوت المألوف، بين قلبي ومعدتي. أخرجت زجاجة زيت خشب الصندل التي أحملها معي، ووضعت بضع قطرات على منديل بواسطة الماصة. ثم رفعتها حتى فمي. انتشر عطر خفيف في جيوبي الأنفية، فُتحت الصمّامات، لكن تم تخفيض كمية المواد الكيميائية الصادرة إلى الحد الأدنى.

Twitter: @ketab_n

ركّزت انتباهي، وأنا واقف تماماً أمام الباب، على المناظر الطبيعية من الجهة الأخرى للنافذة الزجاجية.

- قال يوجي: هيا بنا نجلس، فهناك مكان فارغ.
- لا.. أفضل البقاء واقفاً.
- حقاً؟
- همم، أشعر أني أفضل هكذا.
- يا للأمر المؤسف.
- كما قلت.

قررت أن أعدّ السيارات على الطريق المحاذي لسكة الحديد. أن أفعل أي شيء بالأحرى بدل أن أتذكّر أني داخل قطار.

- واحد.. اثنان... ثلاثة..
- ما الأمر؟
- أعدّ السيارات.
- يبدو هذا مسلياً. سوف أساعدك.
- إن أردت ذلك.

وهكذا تحوّل الأمر إلى لعبة. فكرت بأن هذا لا يُعدّ وسيلة ناجعة لنسيان أني في قطار، لكنه كان فعلاً أمراً مسلياً. في النهاية لم أتوقف عن ترديد " إنها لعبة " وهذا النوع من الألعاب لم يكن مسلياً البتّة.

بسرعة، بدت المشاهد الريفية تتالى دون نهاية، واختفت السيارات نهائياً، وكلما كان العدد يتناقص، كلما كنت أشعر بكمية المواد

Twitter: @ketab_n

الكيميائية المحررة تبدأ بالتزايد. وضعت يدي على صدري كي أتحقق من نبضي، أخذت نفساً عميقاً، وزفرته ببطء.

عاقد شفتيّ، رحت أخرج صوت بو،بو، بون.

- ما هذا؟ بو، بو، بو.
- إنه بو.
- لكن ماذا يعني. قل لي.
- هذا يساعدني كي أهدأ، عندما أقول بو.. بو هكذا
- حقاً؟
- جرب ذلك أنت أيضاً.
- بو، بو، بو.
- بو، بو، بو.
- انظر كل الناس تراقبنا.
- إنهم ينظرون إليك لأنك ولد لطيف.
- لا، ليس هذا هو الأمر.
- حقاً..
- الأحرى بنا أن نغني.
- نغني؟
- أغنية ماما. تلك التي علّمتنا إيّاها.
- بالطبع، تلك الأغنية...
- هل نغنيها معاً؟
- أجل هيا بنا..
- لكن بصوت منخفض، هاه، لأن صوتك خشنٌ تاك كون.

Twitter: @ketab_n

- حاضر.

كان فيل يلعب

علِق في شبكة عنكبوت

من شدة ما كان يتسلى

نادى للفيل الثاني...

على كل حال، بهذه الطريقة وصلنا إلى نهاية الطريق، وأنا أتنشّق زيت الصندل، وأعدّ السيارات، وأتمتم بو بو بو، ومن ثم أغني مع يوجي. أثناء الطريق، كان يجب عليّ التوقّف ثلاث مرات، لأترك العديد من القطارات تمرّ، بانتظار أن أهدأ، وكان يوجي يرافقني بصمت، دون أي شكوى.

كما توقّعت، كان بلوتو بالأحرى كوكباً شاسعاً.

هاهاها.

كان المستوصف يقع عند منحدر الجبل، مع إطلالة على البحر، وهو عبارة عن بناء من خمسة طوابق. سألت موظف الاستقبال عن غرفة البروفيسور. أشار إلى غرفة في نهاية الممر، في الطابق الثاني. صعدنا على الدرج حتى الطابق الثاني.

- يوجد مصعد.
- بالتأكيد، لكني أفضّل الصعود على قدميّ.
- لماذا؟
- لأننا لا نعرف أبداً إلى أين يقودنا المصعد.

Twitter: @ketab_n

- حقاً؟

- علاوة على أنه لا نوافذ فيه، والأبواب تغلق دفعة واحدة، ولا نعود نعرف إلى أين نحن ذاهبون. يمكن له أن يتوقّف على كوكب المريخ.

- حقاً؟

- حقاً. إنه أسوأ وسيلة للنقل.

- أنت غريب الأطوار.

كان نومبر في غرفته، يقرأ كتاباً، جالساً على أحد الأربعة أسرّة الموجودة في الغرفة، قرب النافذة. لم يكن هناك أثر لمرضى آخرين.

- بروفيسور.

رفع نظره عن الكتاب عندما سمع صوتي.

- أوه. صرخ كما لو أنه فشل في أن يهتف قبل أن يقوم بحركة من رأسه. أتيت لتراني!

- بالطبع. أجاب يوجي.

وضع نومبر كتابه على الطاولة التي قرب سريره قبل أن يدور على قفاه كي يضع قدميه على الأرض.

- هيّا إلى السطح، اقترح قائلاً. إنه أفضل مكان. المنظر رائع من هناك.

نهض ببطء وحذر، وأخذ عصاه المسنودة عند قدم السرير.

- هيّا بنا:

Twitter: @ketab_n

افتتح المسير بالرغم من ألم قدمه اليسرى التي كان بالكاد يجرّها، والتفت وهو يشرح لنا.

- إن كنت أستطيع السير على قدميّ الآن فهذا بسبب إعادة التأهيل.

كانت هيئته تبدو حسنة، وصوته متماسك.

- قلت له: يبدو أنك بحالة جيّدة.
- صحيح، طريقة حياتي القديمة كانت سيئة للغاية. صحتي الآن أفضل بكثير.
- يبدو هذا واضحاً.

أخذ نومبر ويوجي المصعد، بينما أصررت أنا على استخدام الدرج. في اللحظة التي فُتح فيها الباب المفضي إلى السطح، ملأ اللون اللازورديّ مجال رؤيتي بالكامل. ضحك نومبر ويوجي عند رؤيتي.

- لقد استغرقت وقتاً طويلاً.
- لم أرغب في الصعود إلى المريخ.
- أنت غريب الأطوار.

كان السطح مغطى بالكامل بالعشب الاصطناعي المزدان بمقاعد عديدة. كان هناك مجموعة من المرضى المسنين، وأشخاص من المفترض أنهم زوار من عائلاتهم يتحدّثون بصوت منخفض وهم يتأمّلون المحيط.

- يا للمنظر الرائع.
- أليس كذلك.

Twitter: @ketab_n

- كم عاماً مضى لم أر فيه البحر؟ بالنسبة إليك يوجي أعتقد أنها المرة الأولى؟

- هذا صحيح. أمر مخيف قليلاً.

- نعم، وهذا ما يجعله مكلفاً.

كانت السحب تتماوج في السماء الزرقاء الصافية. وبدت وكأن الغيوم تتبع نقطة ما وراء الأفق. طارت العصافير المهاجرة في طريقها نحو الجنوب، وهبّت رياح بحرية حرّكت خصلات شعر يوجي العسلية.

- هل رجعت ميو - صان.

أومأت برأسي موافقاً على سؤال نومبر. كنت قد كتبت له مسبقاً في رسالة اختصرت فيها كل الأحداث.

- بطريقة ما، انتهى كل شيء بطرفة عين. وصلت مع المطر، وغادرت مع...

- امرأة زهر الأرطانسيا. تمتم نومبر.

- لكنّني وقعت في حبّها مرة أخرى.

- همم، همم. أقرّ نومبر قائلاً.

عدت لأقول: لم يدم حبّنا إلا ستة أسابيع، كنت فيها في غاية السعادة. رفع نومبر رأسه نحو السحب الهائمة في صفحة السماء.

- تاك - كون.

- نعم؟

- باعتقادك كم من الأشخاص في العالم لهم الحظ بتحقيق لقاء كهذا؟

Twitter: @ketab_n

أخفض ببطء نظرته قبل أن يتسنّى لي الابتسام. في أعماق عينيه الرطبتين كانت حدقتاه تلمعان بوميض ناعم، وهمس:

- عند كل لقاء، أصبح منجذباً نحوها، أكثر فأكثر.

كان إصبعه يرتجف وهو يشير نحو الأفق.

- إن كان الأمر كما هو هناك. حيث السماء والبحر لا يعودان إلا واحداً، في أي وقت، وفي أي مكان، فكلنا سنواصل دون توقف البحث عن شريك فريد. (هل من أحد؟ يبحث عن الشريك العاشق). أنت وجدته.

- يبدو ذلك واضحاً.
- كوضوح البحر.
- كوضوح السماء.

نقلت إليه أيضاً قصة بووه وحاولت أن تكون بأقل تفاصيلها.

- ذاك، قال البروفيسور، قبل أن يُصغي للقصّة حتى نهايتها. على أي حال، هو كان يتمتّع دوماً بعقلية حرة. سوف يرفض دون شك أن يربطه أحد..
- هل تعتقد بأنه لا يزال على قيد الحياة.
- لست قلقاً عليه. أنا متأكد أنه يعيش الآن في مكان ما كما يريد ويبغي.
- فوويك؟ قال يوجي.

نظر نومبر إليه بهيئة استفهامية : ما هذا ؟

فوويك ؟ كرر يوجي عدة مرات منتصراً قبل أن يقول : أتعلم ؟ كان بووه يعرف كيف يغني هكذا ؟

Twitter: @ketab_n

قلد يوجي بكاء بووه تقليداً تاماً، بشكل كنت أنا نفسي عاجزاً عن فعله، ليس فقط لأنه نوع من الانتحال، إنما لأنه صوت غريب، مشابه لصوت يطلقه شخص ساعة اختناقه.

- مثل هذا النوع من الأصوات ؟ سأل نومبر.

- تماماً. كان يبكي، قال يوجي.

- عندما غادرنا منزلك كانت تلك هي المرة الأولى التي أسمعه فيها يتأوه هكذا.

- لم أكن أعرف، قال نومبر. يا للخائن! أمضى كل ذلك الوقت وهو يتصرف وكأنه لا يعرف الكلام ؟

بدت هيئته حزينة. فتابعت قائلاً : رفض بالرغم من غيابك مغادرة المنزل.

- إنه الشيء ذاته بالنسبة لي. أنا أشعر بوطأة الوحدة من دونه. لكن ما العمل ؟ تابع نومبر، يجب متابعة العيش على الرغم من أي فراق أو أي منفى....

هيا ...لنعد، أصبح الطقس بارداً.

عندما عدنا إلى غرفته أخرج نومبر مغلفاً أبيض من جارور منضدة صغيرة قرب سريره.

- إنه لك.

أخذته منه، وعندما قلبته استطعت أن أقرأ : " آيو- ميو " على ظهره.

Twitter: @ketab_n

- لقد أعطتني إياه ميو قبل ثلاثة أيام من دخولها المستشفى. كانت قد مرت في المتنزه. رغبت أن أسلمه لك بعد عام من ذلك التاريخ، بعد انتهاء موسم الأمطار.

جلس على سريره، وأسند عصاه جانباً، وتابع :

- لا أعرف شيئاً عن محتواه، ولا هي قالت لي أيضاً. كنت قلقاً بشأن تلك الرسالة، لكن، أشعر الآن بالارتياح لأني سلمتك إياها.

نظرت إلى المغلف من كافة زواياه، ثم وضعته في جيب سترتي.

- شكرا بروفيسور. لك كل الشكر لأنك احتفظت به كل هذا الوقت.

- أوه، أرجوك، لكن كنت فعلاً قلقاً، كنت أتساءل عما سيحدث إن أنا متّ قبل أن أستطيع تسليمك الأمانة.

- لا تقل هذا...

- بلى، بلى. على أية حال، ها أنا قد أتممت الآن مهمتي.

- لكن، ماذا يمكن أن يكون ؟ ولماذا الآن ؟

- بدت وكأن لديها رؤية. أعتقد بأنها كانت تعرف شيئاً ما وأرادت منك أن تقرأه اليوم.

- لا بد أنك على حق.

بسرعة، جاءت اللحظة التي كان يجب فيها أن نغادر، فنهضنا وأنا أقول : سنعود لرؤيتك مرة أخرى.

- إن أردت ذلك. لقد سُعدت برؤيتكم، ومعرفتي أنكم ستعودون لزيارتي مرة أخرى يمنحني شعوراً آخر بالبهجة.

Twitter: @ketab_n

- أفهم مشاعرك.

أعدت على مسامعه مرة أخرى تفهّمنا للأمر، وضغطت بكلتا يدي على صدري.

- هيا.
- اعذروني إن لم أستطع مرافقتكما.
- بالطبع.

ابتعدنا عن سرير نومبر، قبل أن نعود إلى وسط الغرفة متجهين نحو الباب. ونحن مغادران، قمنا بالتفاتة، لنرى بأنه لم يفارقنا بنظره.

- باي باي. قال يوجي. فأجاب نومبر بإشارة من يده المرتعشة.

" تاك-كون، كيف حالك ؟ هل أنت بصحة جيدة؟"

في طريق العودة، وأنا ممسك الحاجز بإحكام الذي قرب الباب، قرأت رسالة ميو. كان يوجي بدوره يعدّ السيارات على الطريق المحاذي لسكة الحديد.

" تاك-كون، كيف حالك؟ هل أنت بصحة جيدة ؟

خلال ثلاثة أيام سوف أدخل المستشفى، لهذا فقد قررت الكتابة لك طالما لم أزل أستطيع التحرك من تلقاء نفسي.

في هذه اللحظة أنت موجود في المكتب. في غضون ساعة سوف يعود يوجي من الحضانة. إذا قُيض لي إنهاء هذه الرسالة فسوف أعهد بها لنومبر وأنا عائدة من التسوق لأجل العشاء.

Twitter: @ketab_n

سوف أطلب منه أن يعطيها لك بعد عام من هذا التاريخ، عندما ينتهي موسم المطر.

أعلم تماماً أني في هذا الوقت سوف لن أكون بالقرب منك.

هل سأكون قد رحلت إلى كوكب الأرشيف؟ هل يفاجئك هذا ؟

هل تعلم أن باستطاعتي التنبؤ بالغيب؟

لا...هذا ليس صحيحاً.

إنها مزحة.

حتى الطالب المثالي والجدي مثلي يستطيع أن يروي بعض الفكاهة.

لكن ما أقصد كتابته لك هو حقيقي. ربما ستُصدم من هذه الحقيقة أكثر. لكني أؤكد لك أنها الحقيقة الصافية، الحقيقة لكل ما جرى وحصل لي.

كي تستطيع فهم كل شيء، سأضطر لبدء حكايتي من الوقت الذي كنا فيه في العشرين من العمر.

اتفقنا ؟

اقرأ جيداً، أرجوك.

إذن، لنبدأ من عند رسالتك الأخيرة التي وصلتني وقد تضمّنت ما يلي :

" ....بسبب ظروف خارجة عن إرادتي تمنعني من متابعة الكتابة إليك. الوداع " هكذا سطّرت لي بقلمك الحبر الأسود.

Twitter: @ketab_n

لم تتجاوز الرسالة كلها أكثر من ثلاثة أسطر.

إذن، هذا كل شيء، هل انتهت علاقتنا هكذا؟

ماذا تقصد بعبارة " ظروف خارجة عن إرادتي " ؟

أعدت قراءة هذه الرسالة عدة مرات، وفي كل مرة كنت أقرؤها، كنت أبكي .

الشيء الوحيد الذي كان باستطاعتي فعله هو متابعة الكتابة. تظاهرتُ - مبتلعة كل الأسئلة التي كانت تتقافز حتى فمي- بعدم فهم محاولتك في الانفصال، وتابعت الكتابة إليك، وإرسال بعض الملاحظات التي لا معنى لها عن حياتي اليومية.

شكّل ذلك نشاطاً أكثر وحدة من كوني قد استدعيت إلى كوكب بعيد.

بقراءتك لما أكتب، لا بد لك أن تتساءل سؤالك المعتاد : أحقاً ؟ " مصحوبة بابتسامة حالمة. عند تفكيري بتلك الابتسامة كنت أبتسم بدوري معك.

ثم، في ذلك اليوم المشؤوم، ولعدم استطاعتي تحمل الألم لمدة أطول، ذهبت لأراك في مكان عملك، وقد تطلّب مني هذا شحذ كل شجاعتي.

هنا، شرحت لي.

" سيكون لطيفاً أن نعود فنلتقي في يوم ما، قلت لي. ثم أضفت قائلاً : " أثناء حفل الزواج المحترم لكلٍ منا ".

هل تذكر؟

Twitter: @ketab_n

شعرت وكأن الأرض قد انشقت وابتلعتني.

فكرت أنه بما أنك قد تلفظت بكلمات باردة بهذا الشكل، فذلك كي تبقيني بعيدة عنك، أليس كذلك ؟

لكنك لم تكن تعلم بذلك.

كنت أبدي مقاومة شديدة أكثر بكثير مما كان يبدو لك، ولا أستطيع التفكير إلا بإتباع القواعد الصارمة. لا، ليس من السهل عليّ نسيان شخص كنت أحبه، ولا البدء في كرهه. بمشيئة الله، لن أعرف إلا حباً واحداً ووحيداً في حياتي. لهذا كنت أستمر في العيش يوماً بعد يوم، وأنا أفكر بك.

كان لا بد لهذا الرفض من سبب. هذا ما فكرت به، وأنا أتعلق بخيط أمل ضعيف.

مرّ عام، وجاء اليوم المرتقب أخيراً.

حدث ذلك في يوم من أيام حزيران الماطرة، وأنا عائدة من العمل، أقود دراجتي. صدمتني سيارة على الطريق الريفي قرب منزلي. لم يكن ذلك حادثاً خطيراً. وقعت عن دراجتي، لكن لم أصب بأي أذى واضح. نهضت على الفور، واستطعت أن أسير لبضعة خطوات قبل أن أغيب عن الوعي.

من الصعب عليّ الوصف بدقة تدفق الوعي الذي اجتاحني في تلك اللحظة. سوف أحاول الآن أن أصف لك ببساطة ما اعتقدت في وقت لاحق أنه سيكون مجرى الحدث في حياتي.

Twitter: @ketab_n

وهذا ما يقودني إلى المشهد التالي.

عندما عدت إلى وعيي كنت أجثم قرب معمل متهدم تحت المطر.

هل تفهم ؟

هذا هو السر الذي أخفيته عنك طوال تلك السنين.

في صيف عيد ميلادي الواحد والعشرين، اصطدمت بي سيارة، فعدت إلى الأرض بعد ثماني سنوات في المستقبل.

اقفزي .

هكذا صرخ بي موطن قوتي.

لكن مع ذلك، كانت تلك القفزة مقدسة، بالنسبة لك، أنت الذي من يقرأ رسالتي الآن، وها أنا أقص عليك ما حصل.

ألم الرأس الذي كنت أشكو منه حينئذ كان من وقع الصدمة أثناء الحادث الذي حدث معي. أخبرني الأطباء لاحقاً بأنه قد حصل معي نزيف صغير في الدماغ، وقد يحصل أن أفكر بالمقابل أنه السبب أيضاً لفقداني الذاكرة.

لكن إليك الأفكار التي توصلت إليها من جرّاء ذلك.

لم ينشأ القلب الإنساني كي يتخطى الزمن، وإذا ما حصل لنا يوماً هذا وفقدنا الذاكرة، فذلك دون شك كي نحتفظ بعقلنا، لأنه، بعد كل شيء، لو أنا بقيت أحتفظ بذكرياتي لعاينت الكثير من الارتباك.

ثم، عندما سأعود إلى عالمي الأصلي، سأعود لأفقد ذاكرتي مرة جديدة. ذكريات تلك ستة الأشهر التي قضيتها معك ومع يوجي.

Twitter: @ketab_n

لم أتعافَ من ذكرياتي إلا بعد شهرين من ذلك الوقت.

من الممكن أيضاً، لو كانت تلك القفزة الطريفة من عمل " أحد ما"، ذلك الذي صمّم عالمنا، ففقدان ذاكرتي كان أكبر دليل على أن هذا " الأحد ما " كان يهتم بي.

الآن وأنا أكتب إليك، وأتذكر تلك الفترة من حياتي، لا أستطيع منع نفسي من الاعتقاد بوجود " إرادة ما " تحاول أن تحرك قدر الإنسان. لأن تلك الأسابيع الستة قد غيرت مجرى حياتي.

لم يكن ذلك محض صدفة إن كان قد قُرّر لهذه " الوثبة " التي قمت بها وأنا في الواحدة والعشرين من العمر أن تكون وجهتها لذلك الوقت وذلك الزمان.

لا بد وأن هذا " الأحد ما " والذي أخذته الرأفة بي، مدّ لي يده، كي يجعلني أفهم بوضوح، أنا التي كنت آمل بشدة فهم الأسباب التي حرّفت كلامك منذ عام مضى.

وهذا ما اعتقده حتى اليوم.

على كل حال، عندما رأيت نفسي- وقد التقيت بك بعد ثماني سنوات، كنت بحالة مضحكة، أنت ويوجي تعيشان في تلك الشقة القذرة والغير مرتبة، ترتديان ثياباً ملأى ببقع الطعام، مع شعر أشعث كالناس البدائيين، وفي أذني يوجي كمية من الصملاخ تعادل ما يتجمع منها خلال عام كامل.

عندما فكرت بأن هذا هو الوضع الذي لن تلبثا أن تجدا نفسيكما فيه، اجتاحني القلق.

Twitter: @ketab_n

لكن كل شيء سوف يجري بشكل جيد. لا بد وأنك سوف تتدبر الأمر من دوني، وستتكاتفان وتعيشان حياتكما إلى أقصى مداها.

أنا على ثقة من ذلك.

في تلك الفترة، شكلت أزمتك الصحية صدمة كبيرة بالنسبة إليّ. أنا الآن معتادة عليها، لكنها في ذلك الوقت كانت تلك هي المرة الأولى التي نحتك بها؟ قلت لك ألا تأخذ خافض الحرارة، لكني اعتقدت أنك لابد وقد نسيت. أتراها اللوائح تحظر علينا تغيير التاريخ؟

أنت بالفعل تفهم، وأنت تقرأ هذا الاعتراف، لماذا كانت نظارتي تحتاج إلى تعد يل، ولماذا أيضاً لم يكن لي أي تجربة جنسية.

مع ذلك، يا للقصة المضحكة.

ميو، ذات الواحد والعشرين عاماً، عرفت أول معانقة وخسرت عذريتها مع تاكومي الذي يبلغ التاسعة والعشرين من العمر. ثم لاحقاً، بعد شهرين، وجدت نفسها بين ذراعيه مرة أخرى. عندئذ يجب أن تفكر بأنها كانت المرة الأولى بالنسبة لكلينا، ومن المؤكد أن ذلك لم يكن صحيحاً.

لهذا السبب لم يكن لدينا أي مشاكل في أن أفعل ذلك، هذه المرة.

أتساءل، كيف فكرت بالأمر. هل سببت لك الألم؟

فكرت مع ذلك أن كل هذا كان مثالياً. لكنك سوف تقول بأني أفكر بطريقة عملية جداً.

مرّت ستة الأسابيع بسرعة. كنت سعيدة. وقعت بحبك مرة أخرى وشعرت بالفرح لاكتشافي أننا كنا أبطال المسرحية.

Twitter: @ketab_n

رجلي الصغير، صاحب السمو، الأمير الانكليزي. هكذا بدا لي يوجي الذي يذهب إلى المدرسة الابتدائية وهو جريء أكثر من يوجي الحالي الذي سيعود بعد قليل من الحضانة.

كانا ينضجان بسرعة كبيرة.

أنا على ثقة بأنه سيصبح فتىً راشداً رائعاً. وأنا أبتهج لهذا مسبقاً.

هناك أيضاً شيء آخر قد تعلّمته من الرؤية، وأنا غائبة عن الوعي، وهو أن قدري قد أودع في روايتك على أنني سوف أغادر هذا العالم في سن الثامنة والعشرين وأني لست أكثر من شبح.

بالطبع، هذا كان خطأ من طرفك، لكن في ذلك الوقت، كنت أعتقد بهذا الأمر تماماً.

كان ينتابني باستمرار الشعور بأني معلقة، خارج الواقع. تصرفاتكما أنتما الاثنان كانت تبدو غير طبيعية للغاية. ثم عندما كنا نخرج، غالباً ما كنت ألاحظ درجة من الشك في نظرتك. آه، لكن كل ذلك، كان بسبب أني كنت شبحاً.

أنا أيضاً اعتقدت بذلك، اعتقاداً قاسياً كالحديد.

فجأة، عندما حان موعد الفراق كان فعلاً أمراً صعباً جداً. فكرت بصدق أنه يجب عليّ الذهاب إلى كوكب الأرشيف. شعرت بالوحدة لمجرّد فكرة بعدي عنك. ثم، شعرت بالرعب من فكرة اختفائي عن هذا العالم.

لن أنسى أيضاً شكوك يوجي، وهو غارق في الدمع. عندما أفكر بكل ذلك الألم الذي سوف اضطر لتحميله له، ينقبض قلبي. أودّ في يوم ما، عندما يصبح أكبر قليلاً، أن تنقل إليه وتقول له بأني أفكر به.

Twitter: @ketab_n

أتمنّى أن تنقل إليه أفكاري، تلك التي عبّرت عنها في رسالتي هذه، آمل بالتالي أن يغدو أكثر قوّة ويصير قادراً على مواجهة صعوبات الحياة التي تواجهه.

سأتابع حكايتي.

بعد أن افترقت عنك هناك، واستعدت وعيي، عدتُ مرة أخرى إلى زمني الحاضر .

كنت مستلقية على سرير في المستشفى. كان قد مضى ساعات قليلة على وقوع الحادث. كنت قد قفزت قفزة على بعد ثماني سنوات، كي أعود بعدها إلى هنا، من حيث انطلقت. لا شك أن غيابي لم يدم أكثر من جزء من الثانية.

لم يلحظ الرجل الذي كان يقود لحظة الحادث أي دلائل غريبة. أما بالنسبة إليّ، فقد كنت قد فقدت الذاكرة تماماً.

ذكريات تلك ستة الأسابيع التي قضيتها معك كانت في الواقع قد اختفت. لم أعد أعلم من أنا، وكنت أقطع الأيام وأنا أنظر للساعات وهي تمرّ، وعيناي شاردتان تنظران إلى سقف غرفتي في المستشفى.

فكرت في البداية أن هذه الذكريات لا يمكن لها أن تكون أكثر من تخيلات، فقد كانت مخيلتي تبتكر الكثير منها. كنت أنا نفسي مسحورة، عاجزة عن فهم قصة تلك ستة الأسابيع التي قضيتها معك.

نزهاتنا في الغابة. هذا الطفل الساحر الذي من المفترض أن يكون ابني. ضربات قلبي الغير قابلة للضبط عندما كنا نمارس الجنس. ثم، كان ما كان يؤثر على عواطفي أكثر من أي شيء، هذا الشعور بأن كل

Twitter: @ketab_n

جزء من تلك الذكريات ربما كان حقيقياً. هـل يمكـن لهـذا الفـرح أن يكون بالفعل حقيقياً؟

الأسى، والحزن للفراق. الحزن الذي بدا في عينيك وأنت تقـول لي " أردت أن أجعلك سعيدة"

لم أتوقف يوماً عن استعادة تلك الأيام بيني وبين نفسي، وانتهى بي الأمر أن اقتنعت أن الحقيقة كانت تتمثّل هنـا، وأني قـد قمـت فعليـاً بالقفز ثماني سـنوات في المسـتقبل قبـل أن أعـود مـرة أخـرى. وأيضـاً، عندما شفيت تماماً، غادرت المستشفى، وكـان أول رد فعـل قمـت بـه هو الاتصال بك.

حينئذ قالـت لي والـدتك " تـاكومي مسـافر " تماماً كـما حـدث في القصة التي كنت قد قلتها لي.

هذه الأقوال أكّدت قناعاتي الخفية. عندئذ تركت رسـالة لـك عنـد والدتك:

" لا بـد لي مـن التحـدث معـك، لهـذا اعمـل معروفـاً واتصـل بي. سأنتظر، لا يهمّ متى".

منذ تلك اللحظة قضيت وقتي أنتظر، فقط أنتظر دون الإتيان بأي حركة.

ستتصـل بي، كنـت متأكّـدة مـن ذلـك. وسـوف نتواعـد لنلتقـي في مدينة قرب البحيرة.

عندئـذ، رنّ الهـاتف، فرفعـت السـماعة بعـد الرنـة الأولى. لم أكـن أنتظر شيئاً، لكني كنت متأكدة أنه أنت.

Twitter: @ketab_n

لهذا، ودون تردّد، قلت " أيو- كون ؟"

بدا صوتك ممتلئاً بالأسى والقلق، لهذا فقد أسرعت لأطمئنك قائلة: " لا تقلق كل شيء بخير"

في تلك البلدة قرب البحيرة، كما في نفق المشاة، عدت لأقول لـك " كل شيء على ما يرام " كنت أعلـم أن هـذه الكلـمات سـوف تقنعـك بالزواج مني.

لاحقاً، عندما سألتني عـن هـذا الموضـوع، أجبتـك أني لا أعـرف، لكن لم يكن هذا صحيحاً. فالحقيقـة، هـي مـا كنـت أتـذكره فعليـاً بشكل جيد تماماً.

لأنه في الواقع، كانت هذه الكلمات، طريقتي في طلب يدك للزواج.

منذ تلك اللحظـة، أصبح يتواجـد في أيـامي كـل أنـواع الأشـخاص الذين كنت أنتظر مقابلتهم في يوم قادم.

سوف أستطيع رؤية البروفيسور نومبر من جديـد. لم يبـدُ مختلفـاً كثيراً عن الهيئة التي رأيته بها منذ عام سابق. بـووه بالمقابـل، كـان لم يزل فتياً وممتلئاً بالحيوية. كان اسمه الحقيقـي آلـيكس، كـما علمـت لحظة لقائهما.

ولد يوجي، ومضت الأيام بهناء.

في تلك الفترة، بدت ستة الأسابيع التي جاءتني كرؤيـة، بعيـدة جداً، كانت ذاكرتي غامضة، وانتهت بـأن سـألت نفسي- إن لم يكـن كل ذلك مجرّد خيالات. يحصل لي أحياناً أن أفكر بهـا كلـما تـزامن

Twitter: @ketab_n

الواقع مع الذكرى، واحداً تلو الآخر، أقول لنفسي- أن ذلك لم يكن ببساطة أكثر من شعور بأنه مشهد مكرر. ربما يكون باستطاعتي اختراق حائط الثامنة والعشرين، ومتابعة الحياة إلى ما بعده، دون أن يكون لديك علم بالأمر. ورحت آخذ جرعات من الأعشاب الطبية لتقوية بنيتي.

ومع ذلك.

حلّت الساعة بالرغم من كل شيء.

يبدو أننا غير قادرين على الهروب من الأقدار المحدّدة لنا. أعتقد بأنك سوف تفهم دون شك السبب الذي من أجله لم أتحدث بأي من هذه الأمور.

لم أكن أرغب في أن تعرف أي مستقبل مؤلم سيكون بانتظارك. كنت أريد أن نعيش كأي زوجين عاديين مصحوبين بالفرح والابتسامة، محتفظين بإيماننا بالمستقبل.

ثم، كان هناك هاجس آخر يراودني. كيف سيكون رد فعلك عندما تعلم أن اتصالي في ذلك اليوم كان مدفوعاً من قصّة سبق وألّفتها عن سعادتنا؟ ماذا ستفعل؟

كنت ستحاول إقناعي، أنا، ميو، الآتية من الماضي، ألا أتزوجك. ربما كنت ستقصّ عليّ حكاية خيالية أخرى لتدفعني بعيداً عنك، حتى إذا ما عدت مجدداً لهذا العالم، فلا أتجاوز حدودي. بما أنه، بعد سبع سنين من لقائنا على شاطئ البحيرة، وبعد ثلاثة أسابيع، من كتابتي لك هذه الرسالة، سوف أغادر هذا العالم، أليس كذلك؟

Twitter: @ketab_n

ستحاول جاهداً إقناعي خلاف ذلك، ربما فكرت أيضاً أن زواجنا سيتم لأجل سبب ما، بما أن حياتي كانت تقترب من نهايتها، ربما أحجمت عن الرغبة في أن يكون لنا ولد.

أليس هذا صحيحاً؟

مع ذلك، عندما أفكر بكل هذا، تختلط الأمور في رأسي، ولا أعود أفهم شيئاً. على أي حال، إن كذبت عليك، وإن أحجمت عن الزواج منك، فلن أكون هنا، في هذه اللحظة، أكتب لك رسالة. مع ذلك فقد تزوجتك بالفعل، ليس في هذا أدنى شك، وحملت بيوجي. فلو كنت قد أظهرت لك هذه الرسالة من باب المغامرة، هذا المساء بعد عودتك من المكتب، فما الذي كان سيحدث لنا؟

هل سنختفي نحن الاثنين في طرفة عين؟

وإن كنا قد عشنا حياتنا، كل واحد منّا في جهة، هل كان يوجي سيأتي إلى هذا العالم؟

هذا في منتهى الغموض، ولا أستطيع التوصّل في تفكيري، لتحديد الأجوبة.

لهذا، وبعد كل شيء، فقد قررت التزام الصمت، لأني سأكره مجرّد فكرة ألا أكون أبداً معك، وسأكره حياة لا وجود ليوجي فيها.

وإن لم أذهب إلى تلك البلدة على شاطئ البحيرة، ما الذي بإمكانه أن يحصل؟

فقد حصل لي مرات عديدة، اللعب بمثل هذا النوع من الأفكار.

Twitter: @ketab_n

في ذلك اليوم، حتى وأنا مستقلة القطار باتجاه البحيرة، كنت أفكر بذلك.

فإن حدث في تلك الفترة، ونزلت في مكان آخر، ولم أجدك، فأي اتجاه ستأخذ حياتي؟

هل سأتزوج أحداً ما غيرك؟

هل سأعيش سنيناً طويلة مع ذاك الشخص حتى أصل إلى عمر متقدم في السن؟

ربما سيكون بانتظاري أياماً هانئة، وسعيدة بشكل معقول، لكن عندما كنت سأصبح جدّة ربما سأتساءل: هل هي الحياة التي اخترتها؟

كنت أرغب بشدّة في هذه الحياة، إلى درجة أن أضحي فيها بكل بشيء مهم. المستقبل الذي كنت أراه في موسم المطر ذلك، صيف عامي الواحد والعشرين. الزوج الطفولي الذي يبدو وجهه حزيناً عندما لم أعد موجودة هنا.

ثم سموّه أميري الانكليزي، سوف أخسر للأبد الوقت الذي كان يجب عليّ القضاء معه. سوف أكون نادمة، دون أدنى شك.

لم أكن أعرف جيداً.

لقد تعرّفت عليكما بالفعل، ودون هذه الذكرى المدفونة في صدري لم أكن لأحتمل حياة أخرى.

أتزوجك، ألد يوجي.

أرافقك، أنت ورجلي الصغير، في هذا العالم.

Twitter: @ketab_n

ثم، ذكريات تلك الأيام السعيدة التي تملأ قلبي، وأغادر، وابتسامة رضا ترتسم على شفتي. وهكذا قررت في أعماقي ألا أنزل من القطار قبل وجهتي المحددة، وأن أذهب لملاقاتك.

كنت أرغب في عيش تلك الرؤية مرة أخرى .

كان يحدث أن يعتريني خوف شديد مما كان على وشك الحدوث لجسدي لدرجة لم أكن أعلم فيها ماذا أفعل.

أنا حزينة جداً أنه لن يكون بإمكاني التواجد هنا كي أنظر إلى يوجي وهو يغدو رجلاً رائعاً.

لكنها الحياة التي اخترت.

لهذا...

آه... يوجي سوف ينصرف بعد قليل من المدرسة، يجب عليّ الذهاب لاصطحابه. ثم سأقوم بالتسوّق وأجهّز غداءكما. هذا المساء ستكون وجبة يوجي المفضلة، أرز بالكاري.

لم يتبقَ لي أكثر من عدة وجبات لتجهيزها وتقديمها. كنت أحب لو كان باستطاعتي أن أجهز لكما أيضاً قدر ما أستطيع من أطايب الطعام.

أنا آسفة، لن يعود بمقدوري فعل ذلك.

هذه الرسالة اقتربت من نهايتها.

سينفذ حبر قلمي ولن يكون باستطاعتي أن أقول لك كل ما أرغب في قوله.

Twitter: @ketab_n

تلك الأربعة عشر عاماً التي قضيتها معك كانت جداً رائعة. لا يهم إن نحن لم نذهب مطلقاً في رحلة صيد ما، وإن لم نتأمّل السماء الممتلئة بالنجوم من فوق سطح الأبنية المرتفعة، فمجرّد أني كنت بالقرب منك جعلني هذا من أسعد الناس.

سأسبقك قليلاً إلى كوكب الأرشيف، سنجد بعضنا هناك في يوم ما. وسوف أحتفظ لك بمكان بالقرب مني. لهذا، انتبه لصحتك، اتفقنا؟

أعهد لك بيوجي.

شكراً جزيلاً.

أحبك من أعماق قلبي.

الوداع.

في المغلّف كان يوجد أيضاً صفحة منزوعة من الجريدة اليومية.

كانت تحمل تاريخ 15 أغسطس.

" *ها هي الساعة قد حلّت.*

يجب عليّ الذهاب إلى المحطة، قرب البحيرة، أنا متأكّدة بأنه سيكون بانتظاري.

ها هو مستقبلي الرائع بين يديّ.

انتظراني، يا رجليّ الصغيرين.

ها أنا قادمة للقائكما. "

Twitter: @ketab_n

خاتمة

عدنا إلى الغابة اليوم.

كان قميص يوجي، وهو يقود عجلته، يشرق بلون ناصع البياض، وشعره المقصوص يتطاير بشكل جميل في الريح.

" أرأيتِ ، نحن نبذل جهدنا شيئاً فشيئاً، نعمل ما في وسعنا كي نصبح كما كنتِ تأملين منّا. شيئاً فشيئاً، أليس كذلك؟

بوكو بوكو.

هذه الحياة التي تركتها وراءك، أقوم أنا باستثمارها. نشتاق إليك."

هذا ما كتبته كخاتمة للفصل الأخير، عندما أنهيت هذه الرواية.

ركضت بهدوء لمدة أربعين دقيقة في الغابة. أرتدي سروالي القصير النظيف، والـ تي شيرت KSC، ويوجي يتبعني وهو فوق دراجة الأطفال خاصّته.

لم يعد يطلب مني أن أتباطأ. كان يقود بمهارة تجعل المرء يعتقد بأنه وُلد على دراجة. ثم خرجنا من الغابة ووصلنا إلى بقايا المعمل.

هنا، راح يوجي يبحث عن براغي، وعزقات وزنبركات حلزونية.

جلست في ركنٍ بعيد عنه قليلاً، حيث غفوت.

لكني كنت أعلم، أن يوجي كان يخبئ رسالة في جيبه، ليرسلها إلى كوكب الأرشيف.

Twitter: @ketab_n

بكتابته الخرقاء(كان يشبهني للأسف) سطر عنوانها إلى " آيو ميو، الأرشيف"

ومن الخلف كتب: آيو يوجي.

رمى الرسالة في الصندوق المنحرف قرب الباب رقم 5. (كان يعتقد بأنه صندوق بريد) ولسبب أجهله، كان يخفي هذا الأمر عني. لهذا، عندما تاه في بحثه عن البراغي، استعدت الرسالة من العلبة، مراعياً ألا يراني.

لن أفتح تلك الرسائل، ولن أقرأها أبداً. سأحاول أن أجمعها في علبه الحذاء داخل الخزانة.

في زيارتنا القادمة، سوف يعتقد بالتأكيد وهو ينظر داخل العلبة بأن رسالته قد ذهبت إلى وجهتها. كنت أراقبه عن قرب وأنا أتصنّع النوم.

وهكذا تابع في سرد قصّته لك، أنت التي ذهبتِ إلى كوكب الأرشيف.

في عطلة نهاية الأسبوع الماطرة، كان يبدو توّاقاً بشكل خاص للذهاب إلى المعمل المتهدّم. لم نكن عندئذ نملك الخيار غير أن نحمل مظلتنا ونخرج سيراً على الأقدام.

أنشر غطاءً من البلاستيك فوق بقايا قاعدة التمثال كي أجلس، ويوجي يتظاهر بالبحث عن البراغي وهو يقترب خطوة فخطوة نحو الباب رقم 5. ثم، وبصوته الهامس، يناديكِ.

ماما؟

كان يوجي يعتقد بوجودك، يعتقد بأنه في يوم ما، سوف تظهرين من هذا الباب، وتعودين معنا إلى المنزل.

سيكون ذلك بالتأكيد في يوم ماطر.

اليوم أيضاً، ناداك هذا الأمير الانكليزي وهو تحت مظلّته الصفراء.

ماما؟

ماما؟

Twitter: @ketab_n

تعقيب

ساعود مع المطر هو كتاب سيرة ذاتية.

يبدو أن العديد من الكتّاب يريدون نفي جزء السيرة الذاتية لخيالاتهم. لكنّي لست من هذا الرأي. أرغب ببساطة أن أسمي الأشياء بمسمّياتها.

عندما وصلت مبيعات كتابي إلى المليون نسخة في اليابان، تمحورت أغلبية الأسئلة التي سألوني إياها حول نقطتين:

- " أي مقطع من الكتاب هو صادق؟ وما رأيك بالحب الحقيقي؟"

كنت أجيب عن السؤال الأول كالتالي : " العناصر التي تبدو طبيعية، هي العناصر الخيالية، وتلك التي في الغالب تبدو غير قابلة للتصديق هي العناصر الحقيقية ".

(غني عن القول أن زوجتي لم تظهر لي بشكل طيفي. فهي لم تزل بقربي سعيدة، وبأحسن عافية).

Twitter: @ketab_n

قد يبدو مستغرباً أن يقوم رجل في العقد الرابع من عمره، والذي طالما شعر بأنه على هامش الحياة الاجتماعية التقليدية، بكتابة رواية تحكي عن العلاقة التي تربطه بزوجته، وأن تصبح هذه الرواية المثيرة للجدل على قائمة الروايات الأكثر مبيعاً، وتترجم للعديد من اللغات وتباع في العالم أجمع. تماماً، مثلما يبدو أنه من المستحيل، أو من الخيالي، أن مجرد قلم منسي- داخل صفحات دفتر صغير، يمكن له أن يؤدي إلى لمّ شمل اثنين من الكائنات، كانت علاقتهما على وشك التبخر.

شكلت علاقتي مع والدتي وزوجتي الأساس الذي ارتكزت عليه في بناء روايتي، فقد خاطرت والدتي بحياتها كي تجعلني أرى النور. فبعد أن استنفد الحمل قواها، وأرهقت الولادة صحتها وقلبت حياتها لاحقاً، كيف لابن -مثلي- أن يتكيف مع ما حدث؟ وما الذي بالإمكان قوله عن زوجتي التي اتخذت القرار ورضيت بمشاركة الحياة مع رجل مثلي، رجل ذو عيوب ومشاكل صحية متعددة؟

من هذا المنطلق، كتبت هذه الرواية، لنقل، بشكل أوتوماتيكي.

شاءت المصادفة أن يتزامن صدور كتابي هذا في اليابان مع حركة روايات " الحب النقي "، فحملتني تلك الموجة في طريقها. كنت مدركاً بأني قد أكون أي شيء عدا كوني مثالاً نموذجياً، ومجرد أن يكون باستطاعة زوجتي أن تعشق رجلاً مثلي، كان دون أدنى شك أمراً استثنائياً من طرفها. كان مجرد التفكير بعلاقتنا وكيف أنها تبدو علاقة مثالية في الحب الذي يربط بين شخصين طبيعيين، يمسني في العمق.

Twitter: @ketab_n

قلت العديد من الأشياء المختلفة كأجوبة عن استفهامات الحضور، لكن في أعمق أعماقي كنت أفكر " بأن هذه ليست بظاهرة جرت وفقاً لرغباتي "

من الناحية الشخصية كنت أحاول دوماً الابتعاد عن الوقوع بالأقلية . أعتقد بأن كل مجتمع يحوي دون شك أفراداً مشابهين لي. أشخاصاً غير قادرين على التحكم بمشاعرهم. ربما هؤلاء الأشخاص هم أكثر من يفهم تصرفات من يؤيدني.

لم يكن في نيّتي أبداً أن أكتب لفئة محددة من القرّاء، بل كان هدفي الأول والأخير هو كتابة قصّة مسلية. يستطيع كل الناس قراءتها بمتعة.

تتبع هذه الرواية درب قصّة شبح تقليدية لتستحضر الزمن والذاكرة. إنها لا تحمل إساءةً ولا عنفاً. وبكلمة واحدة إنها رواية شاعرية. من وجهة نظري، هذا ما يعطيها واقعيتها. أنا مندهش، وسعيد بأن صوتاً منبعثاً بشكل طبيعي من أعماقي استطاع أن يصل إلى مقاطعات بعيدة جداً، وفي الوقت نفسه آمل بشدّة أن أكون قد نجحت في نقل عبق حقيقي لهذه الرواية لكم بسلاسة.

Twitter: @ketab_n

تتبع هذه الرواية درب قصّة شبح تقليدية

لتستحضر الزمن والذاكرة.

إنها لا تحمل إساءةً ولا عنفاً.

وبكلمة واحدة إنها رواية شاعرية.

من وجهة نظري، هذا ما يعطيها واقعيتها.

أنا مندهش، وسعيد بأن صوتاً منبعثاً

بشكل طبيعي من أعماقي استطاع أن يصل

إلى مقاطعات بعيدة جداً،

وفي الوقت نفسه آمل بشدّة أن أكون

قد نجحت في نقل عبق حقيقي

لهذه الرواية لكم بسلاسة.